



مبادئ القيادة

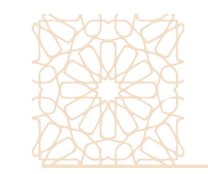
في قصتي طالوت وداود في القرآن الكريم

أ.د. حسين بن علي الزومي

أستاذ التفسير بجامعة القصيم


بسم الله الرحمن الرحيم





تقديم



الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وصحبه وبعد:

فإن مما لا شك فيه أن كتاب الله هو منهج حياة الأمة في جميع جوانبها، والناظر فيه بعمق يجد فقها واسعا لظروف الحياة ومنطلقاتها، ولذلك أمرنا الله في أكثر من آية بالتدبر والتفكر والنظر في القرآن الكريم، ولا يخالطنا أدنىٰ شك أنه دستور الحياة الخالد، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ ذلك أنه كلام الله المحفوظ، الذي يمكن أن يطلق عليه أنه الكون المسطور، المتضمن علم الكون المنظور.

ومن أبرز ما يتضمنه القرآن الكريم، القصص القرآنية التي تحكي التاريخ والتجارب السابقة لأمم وأفراد، علىٰ تنوع مشاربها وعقائدها وأديانها، وهي تجارب حافلة بالعظات والعبر في مجالات شتىٰ، ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ [يوسف:١١١].

فالقصص تجارب ظاهرة في الخير والشر، والعاقل من وعظ بغيره ومن استفاد من الوقائع والأحداث، والخبرات الإنسانية تتراكم مع مرور الأيام والأحداث.

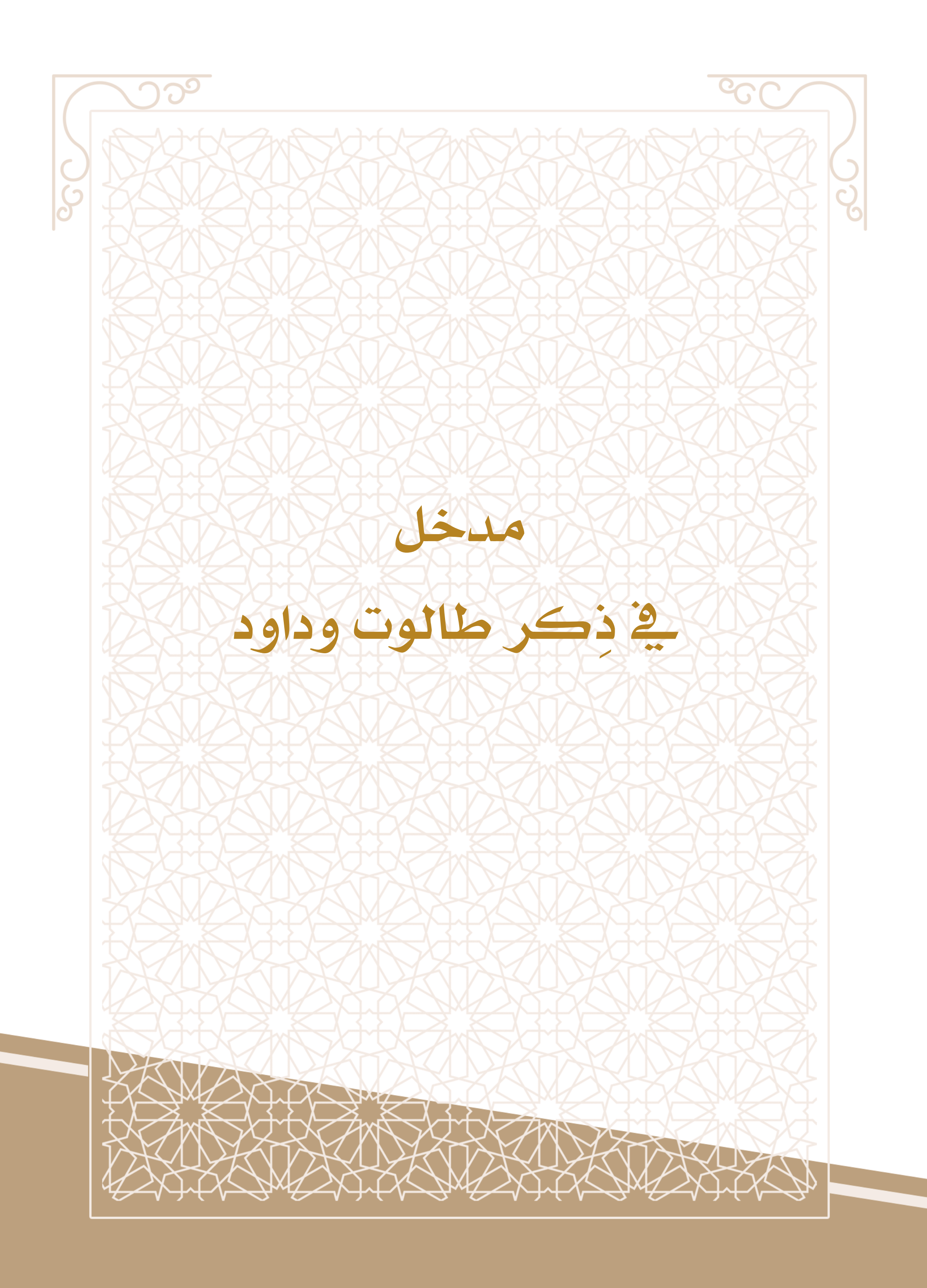
وقد وضع الله لنا في كتابه تجارب قيادية متنوعة في الخير والشر، ومن أهم تلك التجارب القيادية ما جاء في قصة طالوت وفي قصة داود، سواء في سورة البقرة التي ورد فيها ذكر طالوت من غير تكرار في غيرها، أو في سورة

البقرة وفي غيرها بالنسبة لذكر داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وفي هذا الكتاب هدفتُ إلىٰ بيان المبادئ القيادية المهمة التي يمكن أن تستفاد من قصتيهما، في ضوء الآيات التي ذكرتهما، مع إطلالات علىٰ خلفيات بعض الأحداث المتعلقة بهما وبزمانهما، في إطار مرجعية القرآن والسنة النبوية، وما لا يتناقض معهما في العهد القديم، مبينا ما يمكن قبوله من ذلك وما لا يمكن قبوله في ضوء القرآن الكريم.

وقبل الولوج إلىٰ الحديث عن المبادئ القيادية رأيت أنه من المهم عمل مدخل مبسط عن طالوت وداود في القرآن الكريم، كلمحة لا بد منها قبل بيان المبادئ القيادية المستفادة من قصتيهما.

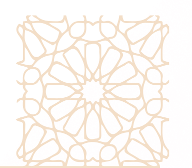
وأرجو الله أن أكون قد وفقت في بيان تلك المبادئ القيادية، وأن يجعل الله تعالىٰ لعملنا القبول فهو خير مأمول وأرجىٰ مسؤول.

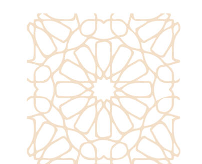


مدخل
في ذِكر طالوت وداود



المبحث الأول





قصّة طالوت وبناؤها الفني

أولا: من هو طالوت:

(طَالُوتَ) هو اسمٌ أَعجميّ لُقِّب به، وكان اسمه في الأَصل سارا، وقيل ساوا، وقيل له: طالُوت لطول قامَته، ومعنىٰ طالوت في اللُّغة العِبْرِية طَوِيلٌ، وقد خصّه الله تعالىٰ بزيادة بَسْطة في العِلْم والجِسْم[١].

وكان طالوت من سِبط لم يكن الملك فيهم، من أولاد بنيامين بن يعقوب، وقد زعم الكتابيون أن طالوت هو المعروف عندهم بشاول[٢].

ثانيا: قصة طالوت:

ذكر القرآن الكريم طالوت وقصته مرة واحدة في سورة البقرة، ولم

---

(١) الفيروزآبادي، مجدالدين محمّد بن يعقوب، ١٤١٦ه-١٩٩٦م، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، تحقيق: محمّد علي النجار وعبد العليم الطحاوي، مصر: المجلس الأعلىٰ للشؤون الإسلامية، ط٦، (٦/ ٨٢).

(٢) انظر: القاسمي، محمّد جمال الدين، ١٣٧٦ه-١٩٥٧م، **محاسن التأويل**، تحقيق: محمّد فؤاد عبدالباقي، القاهرة: مطبعة عيسىٰ البابي الحلبي، ط١، (٢/ ١٧٩) وأبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني، الهداية إلىٰ بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة. الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م (١/ ٨١٨).

تتكرر قصته مرة أخرىٰ، وبيّن في قصته أنه كان ملكا لبني إسرائيل في فترة من الفترات المهمة في حياة أمة بني إسرائيل، وكانت هي فترة تأسيس المُلك فيهم، وذكرت القصة جوانب من السمات القيادية التي استحق بها طالوت الملك علىٰ بني إسرائيل، كما بينت القصة الخطوات التي وصل من خلالها طالوت إلىٰ موقع الملك والقيادة، وكيف نهج في قيادته لبني إسرائيل وما هي الإنجازات والأعمال التي أنجزها وقام بها في فترة ملكه.

وقصة طالوت بعكس قصة داود؛ فقد تكرر ذكر داود في مواضع عديدة من القرآن الكريم، كما سنشير إليه، وفي كل مرة يذكر القرآن شيئا من أحوال داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، كما سيتبين ذلك خلال هذا الكتاب.

ثالثا: عناصر القصة الفنية:

لقد بُنيت قصّة طالوت بناءً محكمًا من لبنات الحقيقة المطلقة، التي لا يطوف بحماها طائف من خيال، ولا يطرقها طارقٌ منه، وإن عرْض القرآن لقصّة طالوت إنما هو بعث لها علىٰ حقيقتها، وإعادة لوجودها، في نظم معجز ينقل إلينا الماضي أو ينقلنا إليه، فنطالع هناك وجوه الحياة، في زمانها ومكانها، حتىٰ الكائنات أبناء ذلك الزمان.

إن قصّة طالوت لا تقف بالتصوير عند حدّ تصوير الأشخاص والعواطف والانفعالات؛ بل هي كذلك تصوّر الأحداث المتتالية والموقف في كل حدث، فتقدّمها قصّة ذات مشاهد حيّة، تتراءىٰ فيها النبضات والخفقات والحركات والسكنات، ويُسمع ما يدور فيها من حوار، وما يتردّد فيها من حديث ورأي، وما يقع من صواب أو خطأ،

حتىٰ يخيّل إليك أنك أحد أبطالها ورجالها[1].

ونستطيع من خلال النصّ القرآني أن نجمل عناصر هذه القصّة في ثلاثة محاور:

أ/ الأشخاص. ب/ عنصر الزمان. جـ/ عنصر المكان.

أ: الأشخاص: ونحن نلاحظ في قصّتنا أن شخصيات القصّة غلبت علىٰ الحدث، فالشخصيات: النبي صموئيل، وطالوت، والنبي وداود عليهم السلام من فصيل الخير، وجالوت من فصيل الشر، هذه الشخصيات هي محور الحركة في القصّة، وهي متعلّق الأحداث الجارية فيها. فالشخصيّة هي الفلك الذي تدور في دائرته الأحداث.

والأشخاص يعرضهم القرآن كنماذج بشريّة في مجال الحياة الخيّرة أو الشريرة، وفي صراعها بين الخير والشر، وفي تجاوبها أو عنادها مع الأخيار والأشرار.

إن الشخصيّة في القصّة القرآنية، إنما ينظر إليها بهذا الاعتبار الذي تؤدي فيه دورها كشاهد من شواهد الإنسانية، في قوتها أو ضعفها، وفي استقامتها أو انحرافها، وفي هداها أو ضلالها، وفي رشدها أو غيّها، وفي حكمتها أو سفاهتها... إلىٰ غير ذلك مما تندرج تحته عوالم الإنسانية، وتتشعّب فيه مذاهب سعيها ومسلكها في مضطرب الحياة![2].

---

(١) الخنين، ناصر بن عبد الرحمن بن ناصر، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، **النظم القرآني في آيات الجهاد**، الرياض: مكتبة التوبة، ط١ (ص ٥٤٢).

(٢) الخطيب، عبد الكريم، ١٣٩٥ه-١٩٧٥م، **القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**، بيروت: دارالمعرفة، ط٢ (ص٤٠-٤١) بتصرف.

أما بطل قصّتنا فظاهر، وهو طالوت بشخصيّته القياديّة التربويّة، وإن كان علىٰ مسرح الأحداث من هو أرفع مكانة منه، كالنبي الذي اختاره وداود عليهما السلام، إلا أن الشخصيّة المحوريّة التي يدور عليها هدف إيراد القصّة هو طالوت.

إن طالوت هو البطل في قصّتنا لأنه هو الأسوة لغيره من القادة، وهو القدوة لمن يقتدي به، ولأنه أثبت في قوله وعمله علىٰ أن الإيمان هو الطريق الصحيح لمسيرة البشر نحو هدف جماعي، ونصر محقّق، وأن التربية والإرادة هي مصدر قوّة الأمم، وقاعدة أمنها وازدهارها، كما أثبت أن الأمم لا تسقط بعد إيمانها وقوّتها إلا بالعصيان الذي يجرّ إلىٰ الخذلان.

ب: عنصر الزمان: هذا العنصر له مكانه الملحوظ دائماً في سير الأحداث، وفي تنميتها وإنضاجها، وخروج الحدث عن حدود الزمن وقيوده يجعله في عزلة عن الحياة.

ولهذا تقوم قصّتنا علىٰ ملاحظة العنصر الزمني ملاحظة دقيقة واعية، منذ مفتتح القصّة «من بعد موسىٰ»، وهي تمسك بالخيوط الزمنيّة بكل جزئياتها، وتحركها بميقات معلوم في ثنايا القصّة.

وقد تقفز أو تتجاوز بعض الأزمنة، لأن القرآن يأخذ منه القدْر المناسب للحال المناسب، بدون إشعارٍ للقارئ بالفجوة الزمنيّة المحيّرة.

إن القرآن ينظر إلىٰ الزمن علىٰ أنه اليد الحاملة للأحداث والمحركة لها، وبغيره تهوي الأحداث وتتساقط ميتة بلا حراك![1].

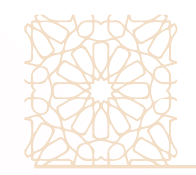
---

(١) الخطيب، مرجع سابق، (ص ٨٣).

ج: عنصر المكان: لم يلتفت النصّ القرآني إلىٰ المكان كثيراً في الحدث الذي معنا، ولم يذكر من الأماكن إلا ما أثّر في سير الحدث ﴿وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا﴾ [البقرة: ٢٤٦]، أو أبرز ملامح الخطّة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ﴾[البقرة: ٢٤٩].. ومع أن أحداث القصّة تدور في **الأرض المقدّسة**، إلا أن هدف القصّة الرئيس يتجاوز تلك الحدود إلىٰ كل دار ذهبت من أيدي المسلمين، وإلىٰ كل استعمار سلب ديار الضعفاء والمساكين.

إن **المكان** وإن كان قوّة عاملة في تشكيل الأحداث، وإبراز معالمها فإنه يجيء في المنزلة بعد الزمن بمراحل بعيدة، وذلك أن المكان ليس له ذاك الأثر البعيد في صنع الحدث، وفي تطوره، ومع أن استصحاب المكان في قصّتنا بالأرض المقدسة قد يظنّ القارئ أنّه من الأهمّية بمكان، وأن لهذا المكان طبيعة خاصة قد يتأثّر بها الحدث.. ولكن سنن الله لا تحابي في الأماكن، والأرض المقدّسة لا تقدّس أحداً وطئها، وإنما يقدّس الإنسان عمله.

المبحث الثاني




علاقة قصة طالوت بسورة البقرة

أولا: محور سورة البقرة:

اختلفت رؤى المفسّرين حول محور سورة البقرة ووحدتها الموضوعية على أقاويل متعدّدة، كل يراها من وجهة نظره أنّها هي الأقرب، ومع التفاوت الواقع بين المفسّرين في ذلك إلا أن أقربها للنظرة الكلية للسورة بإمكاننا أن نحصره في ثلاثة أقوال:

القول الأوّل: تقرير الشريعة والدفاع عنها:

وممّن ذهب إلى هذا المعنى **أبو جعفر بن الزبير الغرناطي**(١)، **وابن تيمية** (٢)، **والطاهر بن عاشور**(٣). وكذلك **الشيخ محمود شلتوت**(٤)، وغيرهم.

---

(١) الغرناطي، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير، **البرهان في تناسب سور القرآن**، تحقيق: سعيد بن جمعة الفلاح، ط١، (السعودية: دار ابن الجوزي، ١٤٢٨ه)، (ص ٨٨).

(٢) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية**، تحقيق: د. محمّد السيد الجليند، ط٢، (دمشق: مؤسسة علوم القرآن، ١٤٠٤ه)، (١/ ١٩٥).

(٣) ابن عاشور، محمّد الطاهر التونسي، ١٩٩٧م، **التحرير والتنوير**، تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع. (١/ ٢٠٣).

(٤) شلتوت، محمود، **تفسير القرآن الكريم:الأجزاء العشرة الأولى**، ط١٢، (القاهرة: دار الشروق،١٤٢٤ه-٢٠٠٤م)، (ص ٥١-٥٢).

القول الثاني: قضية البعث، والإحياء والإماتة:

وقد قال بهذا: **برهان الدين البقاعي**(١)، وأشار له **الإمام ابن كثير**(٢). وفي قصص السورة صور تؤكد هذا.

القول الثالث: الخلافة والاستخلاف:

وقد قال بهذا: **البقاعي من القدامىٰ**(٣)، ويكاد يتّفق جمهور المعاصرين علىٰ أنّ محور السورة يدور حول الخلافة في الأرض ومقوّماتها وأهلها.

وهذا يتوافق مع مضمون السورة إلىٰ حدّ كبير؛ وقد تواطأ عليه بعض القدامىٰ وجمهرة المعاصرين؛ وذلك أن السورة استفتحت بالحديث عن القرآن وموقف الناس حياله، ثم تحدثت عن خلافة آدم، وتحدثت عن بني إسرائيل، وذكرت طرفًا من مثالبهم، مما كان داعيًا لئلّا ينالوا عهد الله، ثم انتقل الحديث إلىٰ المسلمين ليخاطبهم بموجبات الخلافة.

وقد رأىٰ بعض المعاصرين أن يكون المحور: (منهج خلافة الله في الأرض بين من أضاعوه ومن أقاموه). وأن هذا المحور يتناسب مع موضوعات السورة وملابسات نزولها؛ فسورة البقرة أوّل سورة نزلت بالمدينة، وقد صار للمسلمين عندئذٍ دولة وأرض، فناسب أن يخاطبوا

---

(١) البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم، ١٣٩١ه، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، الهند، حيدرآباد الدّكن: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط١ (١/ ٥٥).

(٢) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمّد سلامة، ط٢، (الرياض: دار طيبة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، (١/ ١١٢).

(٣) البقاعي، مرجع سابق، (١/ ٥٦٠).

لوراثة الاستخلاف الإلهي[1].

ثانيا: محور السورة بين (الخلافة) و(المدافعة):

الذي يبدو بعد نظر وتأمّل أن المحور الرئيس لسورة البقرة هو **المدافعة**، وهو معنىٰ قريب جداً من مفهوم **الخلافة والاستخلاف**، والذي هو مؤدّىٰ ونتيجة المدافعة، وسنّة الله في **الدّفع** و**الدفاع** قائمة علىٰ استجلاب عوامل النصر وفهم حقيقة الصراع.

وخطّ المدافعة لا ينتظم فقط سورة البقرة؛ بل ينتظم أيضًا سورة آل عمران، فكلا السورتين تدور في فَلَك شرح سنّة التدافع، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد جمع بينهما في أكثر من حديث، فكل سورة مكمّلة للأخرىٰ ومتمّمة لها.

ولذلك فيمكن القول بأن سرّ سورة البقرة ومفتاحها في قوله سبحانه: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١]، ومما يقوي هذا أن الله سبحانه لخّص سورة البقرة في آخر آية منها، ولنتأمّل فيها:

أ/ ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦]: ولا شك أن إقامة الشريعة، والقيام بالتكاليف من أعظم مقوّمات النصر، وسورة البقرة هي سورة التكاليف التي كلفت بها الجماعة المؤمنة، فمن علم هذه التكاليف وعمل بها كان جديراً أن يكون خليفة الله

(١) مصطفىٰ مسلم ومجموعة باحثين، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ط١، (الإمارات: جامعة الشارقة، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠ م)، (١/ ٢٧).

في الأرض[1].

وإذا لاحظنا آحاد ومفردات التكاليف الشرعية في سورة البقرة سنجد شمولها لأركان الإسلام الخمسة، وأحكام وتكاليف أخرىٰ في العبادات والمعاملات، وهي في مجموعها تكاليف ومهام شرعية ترفع مستوىٰ الأمّة ولا ترهقها، لتكون علىٰ المستوىٰ الحضاري المطلوب للنصر، وبواجب المدافعة.

ب/ ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى﴾ [البقرة: ٢٨٦]: محاولة المؤمنين تلمّس طريق النصر من بين ركام الأخطاء والمزلّات في الطريق، مع الاستفادة من تجارب الامم الماضية وعلىٰ رأسها بني إسرائيل في نهضة الأمم، وألّا تكرر الأمّة المحمّدية تلك الأخطاء التي وقع فيها من قبلنا، الذين لم يفهموا حقيقة **المدافعة** إلا فترة قصيرة من الزمن، وانتظروا حصول النصر بدون بذل سببه، وارتقبوا دفع الباطل بصيحة من السماء لا بأيديهم الدافعة.

ج/ ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ﴾ [البقرة: ٢٨٦]: أنّها قمّة الالتزام بالتكاليف وأسباب النصر، وربط إرادتهم بإمر الله سبحانه، مع تحقيق غاية اللجوء والتوكّل علىٰ الله، فمهما عمل البشر فهم ليسوا في غنىٰ عن الرحيم الذي ييسر الأمور ويعين علىٰ صوارف الدهر،

---

(١) عباس، فضل حسن، **القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته**، ط ١، (عمان: دار الفرقان، ١٩٨٥م)، (ص ٥٤).

ويقدّر الأقدار بدفع الباطل وإحقاق الحق. وأن الباطل مهما تمادىٰ فلن يستأصل شأفة الحق بالكلية، ويقع مالا طاقة لنا به.

د / ﴿ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٦]: فإذا ما حقّقنا أسباب النصر، وجعلنا الله مولانا ومرجعنا في تصوّراتنا وأعمالنا، فإننا حينذاك سنرتقب النصر ودفع الباطل.

لقد وفّقت الأمّة المحمّدية لهذا الدعاء الذي جاء في خاتمة سورة البقرة، ليدلّل علىٰ أن هذه الأمّة بعثت استجابة لدعوة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ومن المعلوم أن هذا الدعاء العظيم الضارع لم يكن نتيجة الوهن والضعف، وإنما كان نتيجة إحساس بضخامة وعظم المسؤولية الملقاة علىٰ عاتق الأمّة المحمّدية.

ثالثا: مناسبة قصّة طالوت لسورة البقرة:

من المؤكد أن القصص إنما يرِد في سياق السورة ليؤدي وظيفة فيه، ويرد من القصّة غالبًا ما يناسب موضوع السورة ومحورها وأهدافها، وهذا مظهر واضح من مظاهر وحدة السورة وتناسب معانيها[١].

وبحسب ترجيحنا بأن المحور الرئيس هو **المدافعة**، فإننا نجد أن قصّة طالوت تحدثت عن المدافعة، وبيان أنها الوسيلة المثلىٰ لرفع الفساد من الأرض ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ [البقرة: ٢٥١]، ولن يزاح الفساد إلا بالمدافعة الشاملة،

(١) أحمد أبو زيد، **التناسب البياني في القرآن**، (الرباط: مطبوعات جامعة محمّد الخامس، ١٩٩٢م)، (ص ٦٧).

التي يتضمن بذل الجهد والطاقة وتقدير الموقف، وتتضمن كل جوانب المدافعة التي تحتاجها الأمة.

وتؤكد القصّة أيضـًا أن الظالمين لا يستحقون النصر ولا التمكين، كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٦]، ومثل هؤلاء الذين لم يطبقوا سنن الله في المدافعة، لا يستحقون التمكين.

وأن من أراد التمكين فعليه بأخذ أسبابه ومن ذلك **العلم** و**القوّة**، وهو سبب اختيار طالوت للمُلْك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، وبذلك استحقت تلك الفئة المؤمنة أن تحقّق مقوّمات النصر، وتأهّلت للريادة، بعد أن كادت تموت تلك الأمّة.

وتؤكّد القصّة أيضـًا أن طبيعة الصراع والمدافعة بين الحق والباطل، وبين أهل الكفر وأهل الإيمان حتميّة لازمة ما دام هناك مؤمنون مصلحون، وكافرون مفسدون، ولا شكّ أن عهد طالوت بالنسبة لبني إسرائيل قد كان بداية التمكين الدنيوي الكبير في الأرض.

وهذه سنة الله في الإحياء الحضاري للأمم والمجتمعات، خصوصـًا وأن السورة تخاطب الأمّة الأمّية من العرب التي اختارها الله لحمل هذه الرسالة، وكأنّ هذه الرسالة تقول لهم كما قالت لبني إسرائيل: إن الله تعالىٰ لا يعجزه أن ينقل العرب الممزّقين الذين ليس لهم وزن حضاري إلىٰ صدارة البشريّة[١].

---

(١) حميدة، طارق مصطفىٰ محمّد، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م، **التناسب في سورة البقرة**، رسالة دكتوراه، القدس: جامعة القدس.ق، (ص ١١٥) بتصرف.

رابعا: السياق التاريخي في سورة البقرة وقصّة طالوت:

جاءت القصّة متناغمة مع الأحداث التاريخية في سياق ترتيب الآيات، فقد بدأت بقصّة **آدم** واستخلافه في الأرض، وبدء البشريّة والدور المنوط بها في إصلاح الأرض ودفع الفساد ثم «جاءت التجربة الأولىٰ للصراع والمدافعة بين قوىٰ الشر والفساد ممثلة في إبليس، وقوىٰ الخير والصلاح والبناء ممثلة في الإنسان المعتصم بالإيمان»[1].

ثم جاء بعده الحديث عن أمّة **بني إسرائيل** في عهد موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، والذي أوكلت إليهم مهمة القيام بهذا الدين، وذكرت الآيات عهد الله معهم ونكثهم له، وبيّنت كيف أن الله سبحانه هيّأ لهم كل أسباب التمكين وموجبات النصر، وأغدق عليهم من النّعم ما لا يجحده عاقل، ومن أهمّها نعمة الإنجاء من بطش فرعون، ونعمة الطعام والشراب، ونعمة قبول التوبة.. والتي مؤدّاها الأمن بعد الخوف، والشبع بعد الجوع، والرضا من الله بعد السخط، وهي ثلاث ركائز إذا توفرت في أمّة ولم تستفد منها لتحقيق التمكين،كان حقـًا علىٰ سنن الله التي لا تحابي أحداً أن ترمي بهم في مزبلة التاريخ، ورميم الأمم.

وهذا ما حلّ فعلاً بأمّة بني إسرائيل، فقد أتْبعوا نعم الله جحوداً، وارتكبوا الاعتداءات المتتالية والمخالفات الشنيعة، وصبغوا ذلك بصبغة اللجاج وكثرة الخصام، فجاء اعتداؤهم يوم السبت، وجاءت مخالفتهم في **قصّة البقرة**، إلىٰ أن جاءت النتيجة الواضحة أن هذه أمّة ميتة، ماتت

---

(١) حميدة، مرجع سابق، (ص ١١٦).

قلوبهم وقست، حتىٰ أضحت كالحجارة أو أشدّ قسوة، كل ذلك بتفصيل طويل في الآيات [٤٠ - ٧٩].

وترتب علىٰ هذا حرمانهم من التمكين، وكتبت عليهم الذلّة عشرات السنين، ووصل بهم الحال بعد ذلك إلىٰ قاع القاع في الذلّة حتىٰ صاروا في حكم **الموات** ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

ثم يشاء الله بفضله وسابغ نعمته أن يحييهم من جديد، بثلّة مؤمنة رابطت مع القائد (طالوت)، ولتسطّر هذه الفئة في كتاب العزّة ورفعة الأمّة، وفي لحظة من لحظات التاريخ أروع فصل للانطلاقة نحو الحياة ﴿ثُمَّ أَحْيَٰهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

وذلك الإحياء لم يكن فلتة من فلتات الدهر؛ كما يظن من لم يعرف نواميس الكون، ولكنها طبيعية لمن فقه السنن، واستلهم قوانين المدافعة.

ونحن نلحظ أن ذكرها جاء متأخّراً في النصّ عن الآيات السابقة فقد جاءت هذه الآيات ابتداءً من [٢٤٣]، وتلك انتهت عند الآية [٧٩]، وذلك لأمرين:

أ/ طول الفصل التاريخي علىٰ وجه الحقيقة بين عهد موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وعهد طالوت بأكثر من ٢٥٠ عاماً، وبعض المؤرخين يوصلها لأكثر من٤٠٠ عام.

ب/ هذه أمّة جديدة، بدأت حياتها بصفحة جديدة، أما تلك السابقة فقد حكم عليها بالتيه والضياع، وليس لها أدنىٰ فضل علىٰ الأجيال سوىٰ الخزي والعار.

نزول القصّة في أوّل العهد المدني:

من المعلوم أن سورة البقرة مدنيّة بالإجماع، فقد ورد في ذلك عدد من الآثار الصحيحة، منها ما ورد عن عبدالله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «نزلت بالمدينة سورة البقرة»[1].

بل الصحيح أيضاً أنّها أوّل سورة نزلت بالمدينة، قال ابن حجر: «واتفقوا علىٰ أنّها مدنية، وأنّها أوّل سورة نزلت بها»[2].

ولكن هذا لا يعني أن كلّ آياتها من أوّل ما نزل بالمدينة، فقد دلت أدّلة كثيرة علىٰ أن كثيراً من آياتها نزلت متأخرة[3].

أما آيات قصّة طالوت فلا شك أنّها من أوّل ما نزل من السورة في المدينة، ودليل ذلك أن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ كانوا يعرفون هذه القصّة قبل غزوة بدر، وغزوة بدر كما هو معلوم كانت في السنة الثانية من الهجرة، وقد قال الصحابي الجليل البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (كنّا أصحاب محمّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نتحدّث أن عدّة أصحاب بدر علىٰ عدّة أصحاب طالوت الذين

---

(١) أخرجه البيهقي في (**دلائل النبوة**)، [تحقيق: عبدالمعطي قلعجي، ط١، القاهرة: دار الريان للتراث، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م]، (٧/ ١٤٤)، وقال: ولهذا الحديث شاهد صحيح، وأخرجه أبو عُبيد القاسم بن سلاّم في (**فضائل القرآن**)،[تحقيق: مروان العطية ومحسن خرابة ووفاء تقي الدين، دمشق: دار ابن كثير، ١٤٢٠هـ]، برقم٨١٣ عن علي بن أبي طلحة، (ص٣٦٥)، وقال السيوطي: «وإسناده جيد، رجاله كلهم ثقات»، **الإتقان في علوم القرآن**، مرجع سابق، (١/ ٣٧).

(٢) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ)، (٨/ ١٦٠).

(٣) انظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، **مجموع الفتاوىٰ**، تحقيق: أنور الباز- عامر الجزار، مصر، المنصورة: دار الوفاء، ط٣، (١٧/ ١٩٣).

جاوزوا معه النهر، ولم يجاوز معه إلا مؤمن، بضعة عشر وثلاثمائة)[1]، فدلّ ذلك علىٰ معرفتهم بخبر طالوت قبل غزوة بدر.

والذي يهمّنا من ذلك أننا في سياق آيات سورة البقرة بعد ذكر قصّة موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ مع بني إسرائيل، نجد أن الخطاب القرآني يتركّز علىٰ انتقال رفع لواء الدين والتمكين للمسلمين، لأمّة جديدة هي الأمّة المحمّدية، ويمضي السياق علىٰ أربعة مسارات جاءت بمجموعها وترتيبها بمغزىٰ قرآني رائق، ولنتأمّل في المسارات بعد أن حكمت الآيات علىٰ أمّة بني إسرائيل بالسقوط الأخلاقي والحضاري:

المسار الأوّل: جاءت الآيات من [٧٥- ١٢٣] لتتحدث عن مواقف اليهود المعاصرين للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وجاء الخطاب فيه تيئيس للمسلمين من إيمانهم، بسبب ما كان منهم قديماً وما يكون منهم بعد ذلك، فذكرت الآيات كثيراً من أخلاقهم، وردت علىٰ افتراءاتهم، وبيّنت حقدهم وحسدهم، وأنّهم لا يستحقّون مكانة ولا تمكيناً، إلا أن يعودوا إلىٰ الإيمان برسالة خير الأنام، عليه الصلاة السلام.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، [المحقق: محمّد زهير الناصر، ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ]، كتاب المغازي، باب عدة أصحاب بدر، (٥/ ٧٣)، حديث رقم٣٩٧٥، وأخرجه الترمذي في سننه، [تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨م]، **أبواب السير عن رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، باب ما جاء في عدة أصحاب بدر، (٣/ ٢٠٤)، حديث رقم١٥٩٨، وابن ماجه في سننه، [تعليق: محمود خليل، القاهرة: مكتبة أبي المعاطي]، كتاب الجهاد (٤/ ٩٩)، حديث رقم٢٨٢٨، وأخرجه أحمد في مسنده، (القاهرة: مؤسسة قرطبة)، حديث رقم١٨٥٥٤، (٣٠/ ٤٢٥).

المسار الثاني: جاءت الآيات من [١٢٤ – ١٤١]، لتبيّن حقيقة دعوة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وتبرئها من ادعاءات أهل الكتاب، وأبطلت حجّتهم في الانتساب إليه، لأنه ليس مجرد نسب مادي بل هو نسب روحي أيضا، وما كان إبراهيم إلا مسلماً، وما أوصىٰ ذريته إلا بالإسلام، وكذلك كان يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فهم بريئون ممن كان علىٰ غير الإسلام، وكان الآيات تقول لهم إذا أردتم أن تتبعوهم فادخلوا في الإسلام، والحقوا بركب محمّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

كما تحدّث هذا المحور عن **بناء الكعبة**، وعن إمامة إبراهيم ودعائه الضارع بأن يبعث الله للعالمين، محمّداً خير الأنبياء والمرسلين.

المسار الثالث: جاءت الآيات من [١٤٢- ١٦٢] للحديث عن تحويل القبلة وأن تحويلها إيذان بتحويل الإمامة والقيادة لأهلها المستحقّين لها، وهم أمّة محمّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واستجابة دعوة نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وقد ردت الآيات علىٰ شبهات اليهود وأبطلتها كلّها، وقوّت قلوب المؤمنين، ومهدت لهم طريق المواجهة، وبينت أن الطريق للتمكين يحتاج إلىٰ جهاد وصبر.

المسار الرابع: الآيات من [١٦٣ – ٢٤٢] وقد بينت بعض التكاليف الخاصّة بهذه الأمّة، وأن حملها من الأمانة العظمىٰ، وابتدأت بالتأكيد علىٰ قضية التوحيد، وتخليص منهج التلقي لله رب العالمين، وأنه وحده هو المتفرّد بالتحليل والتحريم.

ثم سرَدَت الآيات جملة كبيرة من أمور البر والمواعظ، وتفاصيل

بعض أحكام الأسرة، لتشكل معًا مجمل التكاليف التي بها صلاح الأمّة وإصلاح الدنيا[1]، فإذا ما التزمت الأمّة وتهيأت لحمل هذه التكاليف، كان ذلك جالبًا لمفتاح النصر والتمكين، وهو ما تحدثت عنه الآيات التي في قصّتنا.

وإذا نظرنا لهذه المسارات الأربعة، سنجد هذا المعنىٰ المتسلسل بعناصره المترابطة، وسنصل إلىٰ نتيجة مؤداها: أن أمّة بني إسرائيل لما تركت القيام بأمر الدين، عاتبهم الله بالنصّ المستبين، وسلبهم مكانتهم بما كسبت أيديهم، وأنّىٰ لهم الرفعة وقد اتصفوا بكل رذيلة، وتمكّنت منهم عوامل الذلّة والمهانة.

وجاء الله بنور أمّة جديدة، هي نتاج دعوة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ صاحب الملة الحنيفة، من أطهر بقاع الأرض، ومهوىٰ أفئدة المسلمين، وقبلة المصلّين، ولتكون هذه الأمّة هي الوارثة بحق، لا بنسبها ولكن بما اتسمت به من صدق إخلاصها وجدّيتها في حمل تكاليف الأمانة، وإن كان نبيها من أبناء إبراهيم.

ثم تأتي بعد هذه المسارات قصّة طالوت، التي هي في حقيقتها بشارة لأصحاب محمّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالنصر في بدر، وهذا هو ما استشفّه الصحابة وفهموه، وهم يتداولون فيما بينهم خبر طالوت وجنده أثناء معركة بدر، إذ لم يكن اهتمامهم بالإحصاء للعدد، قدر اهتمامهم بمآل

(١) مصطفىٰ مسلم، التفسير الموضوعي، مرجع سابق (١/ ٣٠-٣٢)، وكذلك: الغزالي، محمّد، **نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم**، ط٤، (القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م)، (ص١٣-١٥).

المعركة ونتيجتها.

ومن العجيب أن مشابهة غزوة بدر (يوم الفرقان) لمعركة طالوت (فرقان بني إسرائيل) لم يكن فقط من حيث العدد؛ بل جاء من أوجه متعدّدة، يمكن أن تنحصر في الأوجه الآتية:

١) العدد ثلاثمائة وبضعة عشر.

٢) القلّة أمام عدد كبير من الأعداء.

٣) ترك الماء خلفهم.

٤) القائد لم يلزم الأفراد بالقتال قبل المعركة.

٥) البدء بالمبارزة الفردية.

٦) هلاك الطاغيتين (جالوت) و(أبوجهل).

٧) جالوت قتله فتىً صغير (داود) عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأبوجهل قتله فتىً صغير(ابن مسعود) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

٨) الدعاء والتضرّع قبل المعركة.

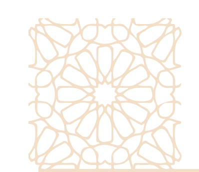
٩) نزول السكينة وتثبيت الصابرين

١٠) تثبيط المخذّلين والمنافقين قبل المعركة.

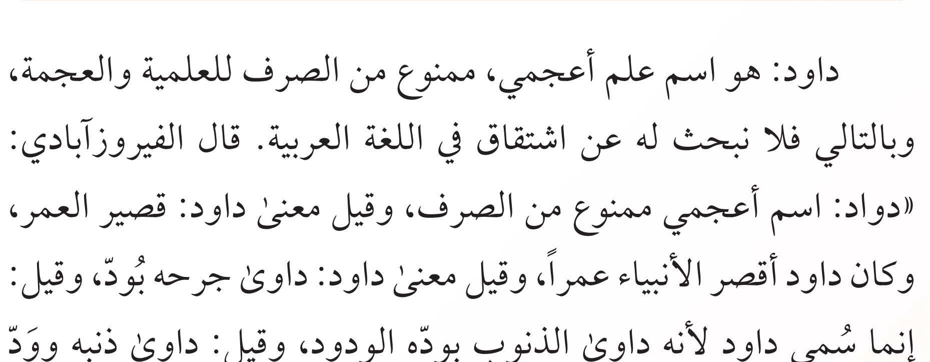
١١) الإذن بالقتال بسبب الإخراج من الديار.

١٢) أوّل نصر للجماعة المؤمنة.

كلّ ذلك يجعلنا نخمّن بل ونؤكّد أن التاريخ يعيد نفسه، وفق سنن الله المتعاقبة في سائر الدهور.



المبحث الثالث



لمحة عن نبي الله (داود) عَلَيْهِ السَّلَامُ

داود: هو اسم علم أعجمي، ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة، وبالتالي فلا نبحث له عن اشتقاق في اللغة العربية. قال الفيروزآبادي: «دواد: اسم أعجمي ممنوع من الصرف، وقيل معنىٰ داود: قصير العمر، وكان داود أقصر الأنبياء عمراً، وقيل معنىٰ داود: داوىٰ جرحه بُودّ، وقيل: إنما سُمي داود لأنه داوىٰ الذنوب بودّه الودود، وقيل: داوىٰ ذنبه ووَدّ ربه»[1].

ونلاحظ أن الذين ذهبوا للاشتقاق من العربية اعتبروه مكوّنًا من قسمين: (داوَ) بمعنىٰ المداواة والمعالجة، و(وُد) بمعنىٰ الحب، فكأن معناه: الذي يعالج بود وحب! وهذا اشتقاق مرفوض في اللغة العربية ومعاني أصولها، فلا نبحث له عن معنىٰ في لغتنا.

أما في اللغة العبرية فإن معناه (محبوب) أو (عزيز)[2].

ونسبه كما جاء عند الطبري وغيره هو: داود بن إيشىٰ بن عويد بن باعز بن سلمون بن نحشون بن عمي نادب بن رام بن حصرون بن فارص

---

(١) الفيروزآبادي، مرجع سابق، (٦/ ٨٣).

(٢) **قاموس أعلام الكتاب المقدس**، (القاهرة: دار الكتاب المقدس، مطبعة كنيسة الإخوة، ٢٠٠٦م)، (ص ٨٧) .

بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم[1].

أما نسبه كما ورد في التوراة فهو: داود بن يسىٰ بن عوبيد بن بوعز بن سلمون بن نحشون بن عمينا داب بن ارام بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن إسحاق بن إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ[2].

داود في أسفار اليهود:

وأكثر ما ورد من أخبار النبي داود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ كان قد ورد في سفري صموئيل الأول والثاني، وسفرا صموئيل الأول والثاني هما من الأسفار التاريخية للأنبياء الأقدمين عند اليهود، وقد كان سفرا صموئيل في الأصل العبري يضمهما سفر واحد، وقد تم تقسيم السفر إلىٰ سفرين في الترجمة السبعينية، وقد قيل في سبب التقسيم أنهم اعتبروا الجزء الأول منه منتهياً بموت شاول، وبدؤوا الثاني من جلوس داود علىٰ عرش المملكة[3]. فسفر صموئيل الثاني يختص برواية أخبار داود بعد أن صار ملكاً علىٰ شعب يهوذا، ثم علىٰ جميع إسرائيل، والصحيح أن سبب التقسيم كان سبباً فنّيا، حيث لم يجدوا درجاً كبيراً (Roll)، فاضطروا أن يقسموها

(١) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، **تاريخ الأمم والملوك**، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية،١٤٠٧هـ)، (١/ ٢٨١)؛ ابن الأثير، أبو الحسن علي، **الكامل في التاريخ**، ط٢، تحقيق: عبدالله القاضي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ)، (١/ ٧٣).

(٢) مقتبس من: **سفر راعوث** (٤: ١٨-٢٢).

(٣) مراد كامل، **الكتب التاريخية في العهد القديم**، د.ط، (جامعة الدول العربية: معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٨م)، (ص٦٨).

إلىٰ درجتين (Rolls) عوضـًا عن درج واحد[١].

وقد اتهم هذا السِّفر نبي الله داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بأنه خان قومه من بني إسرائيل، وتحالف مع الكفّار الوثنيين من أجل مناصرتهم علىٰ شاول وجنوده من المؤمنين، ولا شكّ أن تلك إحدىٰ الكُبَر في الدّين، ومما يخرج المسلم من دينه؛ فكيف بالنبي داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. لقد أسرف (السِّفر) في اتهام داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بتلك النقائص والمتناقضات.

وفرق كبير بين داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، الملِك الداعية، والخليفة الرباني، والعادل الصالح - كما صوّره القرآن الكريم - وبين داود الذي ارتكب -حسب تحريف اليهود- أفظع جرائم سفك الدماء وقتل الشعوب والانتهازية وسوء الأخلاق، يقول موريس بوكاي: «أما كتاب صموئيل وكتب الملوك، وهي أساسًا مجموعات من السير قيمتها التاريخية مشكوك فيها، تحوي أخطاء متعددة، بحيث تختلط الخطوط التاريخية بالأساطير»[٢].

وللتنبيه فقد تصرّف بعض رواة الإسرائيليات من المفسرين بتلطيف بعض عباراتها، وتغيير ما جاء فيها مما يتنافىٰ مع أصول الشريعة[٣]!

---

(١) ملاك محارب، **دليل العهد القديم**، د.ط، (مكتب النسر للطباعة، ١٩٩٧م)، (ص ٧١).

(٢) موريس بوكاي، **دراسة الكتب المقدسه في ضوء المعارف العلمية**، دار المعارف، (ص٣٧).

(٣) انظر: الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ)، (٢/ ٢٨٠).

اهتمام القرآن بداود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ:

الناظر في كتاب الله يلاحظ الاهتمام القرآني بذكر خبر داود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، في مواضع متعددة، فتارة يذكر خبره بالتفصيل، وتارة يُذكره عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في جملة الأنبياء وأنه من ذرية الأنبياء، وهو ما يدلّ دلالة واضحة علىٰ أن الله يريد منا أن نعي خبره ونستنبط الدروس منه؛ خصوصاً وأن أخباره جاءت في سياق قيادة أمة بني إسرائيل وإيصاله تلك الأمة إلىٰ مرحلة التمكين، في بادرة تحدث لأول مرة لأمة عنيدة في نضالهم الطويل، وأيضا في الآيات القرآنية إيحاءات كثيرة بتبرئة داود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ مما نسب إليه من نقائص واتهامات.

وقد ورد ذكر داود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في تسع سور في القرآن الكريم، كما هو موضح في الجدول التالي:

م	السورة	زمن النزول	أرقام الآيات	محتوىٰ الآيات
١	البقرة	مدنية	٢٥١	قتل داوود لجالوت وإيتاء الله الملك والحكمة له
٢	النساء	مدنية	١٦٣	أن الله أعطىٰ داوود الزبور
٣	المائدة	مدنية	٧٨	داوود لعن بني إسرائيل
٤	الأنعام	مكية	٨٤	داوود من ذرية الأنبياء
٥	الإسراء	مكية	٥٥	أن الله أعطىٰ داوود الزبور
٦	الأنبياء	مكية	٧٨ – ٧٩	حكم داوود وسليمان في الحرث

م	السورة	زمن النزول	أرقام الآيات	محتوىٰ الآيات
٧	النمل	مكية	١٥ – ١٦	أن الله أعطىٰ داوود علما وحكما وورثه سليمان
٨	سبأ	مكية	١٠ – ١١	بيان جانب مما أعطاه الله لداوود من المعجزات
٩	ص	مكية	١٧ – ٣٠	بيان جوانب من مقومات ملك داوود وصورة حكمه

وقد جعل الله أمام قادة هذه الأمّة، ومجدّدي الدعوة في أجيالها المتعاقبة، نماذج تطبيقية من القادة الذين ذلّلوا العقبات، وامتلكوا زمام رفعة الأمّة، ومن أرفع أولئك القادة (النبي الملك داود عَلَيْهِ السَّلَامُ).



الباب الأول
اختيار القائد

الفصل الأول: أهمّية القيادة

الفصل الثاني: التمكين القيادي لطالوت

الفصل الثالث: التمكين القيادي لداود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ

الفصل الرابع: نظرة (الظالمين) في الاختيار





الفصل الأول

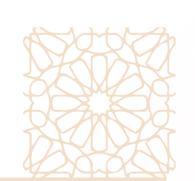
أهمّية القيادة

المبحث الأول: بين الملْك والقيادة

المبحث الثاني: ضرورة وجود القيادة

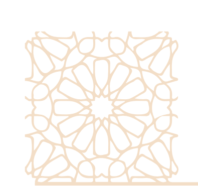
المبحث الثالث: أسباب طلب بني إسرائيل تنصيب (ملِك)





المبحث الأول:

بين المُلْك والقيادة



المطلب الأوّل: مصطلح (المَلِك) في القرآن

قال الراغب: «المَلك هو المتصرّف بالأمر والنهي»[1]، وقال الزجاج: «قال أصحاب المعاني: المَلك: النافذ الأمر في ملكه، إذ ليس كل مالك ينفذ أمر وتصّرفه فيما يملكه، فالملك أعمّ من المالك»[2].

وقد ذكر الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ في عدّة مواضع تسمية نفسه بـ (المَلِك)، فهو سبحانه «ملك جميع الخلق، إنسهم وجنّهم وغير ذلك، إعلاماً منه بذلك من كان يعظم الناس تعظيم المؤمنين ربهم، أنه مَلِك من يعظّمه، وأن ذلك في ملكه وسلطانه، تجري عليه قدرته، وأنه أولىٰ بالتعظيم، وأحق بالتعبّد له ممن يعظمه وتعبّد له من الناس» [3].

ومن المعلوم أن ملوك الدنيا ملكهم مُلْك سياسة ورعاية، لا مُلْك تملّك وتصرف، فحينما يقول الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا ...﴾ الآية [البقرة: ٢٤٧]، فذلك يعني أن طالوت ملك بتمليك الله إياه واصطفائه، وأن طالوت لا

(١) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمّد بن المفضل، ١٤١٢هـ، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دمشق: الدار الشامية، بيروت: دار العلم، (ص ٤٧٢).

(٢) الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد، **تفسير أسماء الله الحسنىٰ**، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، (دمشق: دار الثقافة العربية، ١٩٧٤م)، (ص ٣٠).

(٣) الطبري، **جامع البيان**، مرجع سابق، (٣٠/ ٣٥٤).

يملك الرعية وليس مالكـًا لأموالهم، وإنما هو ملك قيادة وإدارة وسياسة، بينما ملك الله تعالىٰ مُلْك خلقٍ وإيجاد وتصرف[1].

وقد ذهب **ابن خلدون** إلىٰ التفريق بين (الملْك) و(الخلافة)، فذكر أن « الملك الطبيعي هو حمل الكافة علىٰ مقتضىٰ النظر العقلي في جلب المصالح الدنيوية ودفع المضار، والخلافة هي حمل الكافة علىٰ مقتضىٰ النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها»[2].

ويرىٰ البعض أنّ «من الفروق أيضـًا الطريق التي يتم بها الملك أو الخلافة، فالملك يتم عادة عن طريق الغلبة والعهد من الآباء ونحو ذلك، أما الخلافة فلا تكون إلا بإقرار أهل الحل والعقد سواء عن طريق الاختيار أو عن طريق الاستخلاف»[3].

ولكن يبدو أن هناك خلطا بين المتعارف عليه عند المتأخرين، وبين المصطلح القرآني الذي لم يذم (المُلك) ولم يمدحه بإطلاق، ولكن وفق تصوّرات معيّنة كالتالي:

أ/ أن الأصل في الملك أنه نعمة وهبة من الله: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ﴾[آل عمران: ٢٦].

ب/ ليس عيبـًا ولا قدحـًا في الأخيار أن يكونوا ملوكـًا، بل ذلك فضل

---

(١) عطية محمد سالم، تتمة (**أضواء البيان**) للشنقيطي، (٩/ ١٧٦)، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

(٢) ابن خلدون، عبد الرحمن، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر**، تحقيق: خليل شحادة - سهيل ركاز، بيروت: دار الفكر، (١/ ٢٣٨).

(٣) الدميجي، عبد الله بن عمر بن سليمان، **الإمامة العظمىٰ عند أهل السنة والجماعة**، ط٢، (الرياض، دار طيبة)، (ص٤٠).

كبير لمن اتقىٰ وحكم بشرع الله، وقد كان بعض الأنبياء ملوكـًا في القرآن، كداود وسليمان عليهما السلام، وبعض الأخيار الصالحين كطالوت وذي القرنين وملكة سبأ، وبعض العادلين من الكافرين كـ(الملك) في قصّة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ.

جـ/ اصطفىٰ الله عدداً من خلقه وهيأهم أن يكونوا ملوكـًا، لما في (الملْك) من كمال التدبير للأمّة ورفعتها، وقد قال الله في خبر طالوت: ﴿قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ﴾[البقرة:٢٤٧]، وقال في آخر القصّة عن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[البقرة:٢٥١].

د/ أن الله سبحانه ساوىٰ بين مفهوم (الملك) و(الخلافة) في حديثه عن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقد وصفه بـ (الملك) في موضع، ووصفه في موضع آخر بأنه (خليفة): ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾[ص٢٦]، وهذا مما يؤكد لنا أن التفريق جاء عند المتأخرين وليس في المفهوم القرآني.

هـ/ بعض خلق الله من (الطواغيت)، ادعىٰ الأولوهية وزعم أن ملكه مُلْك استعباد للناس وعلىٰ رأسهم (فرعون) ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ﴾ [الزخرف: ٥١]، ومن قبله (النمرود): ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾[البقرة:٢٥٨] وبعض الملوك لا يزيد عن كونه ظالمـًا ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[الكهف:٧٩].

إذن فالمصطلح القرآني للفظ (ملك) هو أقرب ما يكون إلىٰ المعاني

الممدوحة في القرآن، حيث إن الله جعله منّة عظيمة علىٰ من وهبه الله إياه، ولما في الملك من الاستقرار والعظمة والظهور والامتناع، والإنسان بعد ذلك بسلوكه إما أن يسخّرها بالخير أو بالشر، وهبة (الملُك) هي مثل هبة (المال)، وكما أن النفس مجبولة علىٰ إمساك المال وحبّه والبخل به، فكذلك الملْك قد يورث الكبر والعجب والفساد، إلا من رحم الله، وقد قالت ملكة سبأ من قبلُ وأقرها الله سبحانه علىٰ ذلك: ﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾[النمل:٣٤].

فالقرآن إذاً لم يذم الملك لذاته وإنما ذم المفاسد الناشئة عنه من القهر والظلم والتمتع باللذات بغير حق، ولا شك أن هذه مفاسد، ولكنه بالجانب الآخر أثنىٰ علىٰ العدل وإقامة مراسم الدين والذب عنه، وهي كلها من توابع الملك[1].

وحينما امتنّ الله علىٰ بني إسرائيل بنعمة الحرّية والانعتاق من نَيْر فرعون واستعباده لهم، سماهم الله ملوكـًا: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[المائدة:٢٠]، يقول صاحب (تفسير المنار): «بنو إسرائيل لم يكن فيهم ملوك علىٰ عهد موسىٰ، وإنما كان أوّل ملوكهم بالمعنىٰ الحرفي لكلمة ملك وملوك (شاول بن قيس) ثم (داود) الذي جمع بين النبوة والملك، وإن من يفهم العربية حق الفهم يجزم بأنه ليس المراد بأنه جعل أوّلئك المخاطبين رؤساء للأمم والشعوب يسوسونها ويحكمون

(١) ابن خلدون، مرجع سابق، (١/ ٢٤٠).

بينها، ولا أنه جعل بعضهم ملوكًا لأنه قال: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ ولم يقل: وجعلنا فيكم ملوكًا كما قال: ﴿جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَآءَ﴾، فظاهر هذه العبارة أنهم صاروا ملوكًا وإن أريد بـ(كل) المجموع لا الجميع، أي معظم رجال الشعب صاروا ملوكًا بعد أن كانوا عبيداً للقبط، بل معنىٰ الملك هنا: الحر المالك لأمر نفسه، وتدبير أمر نفسه، وتدبير أمر أهله، فهو تعظيم لنعمة الحرية والاستقلال بعد ذلك الاستعباد»[1].

(١) رشيد رضا، محمّد، ١٣٥٠هـ، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، مصر: مطبعة المنار، ط٢، (٦/ ٣٦٧).

المطلب الثاني: تعريف القيادة

القيادة لغة:

القيادة: مصدر القائد، وكذلك القوْد، والقوْد نقيض السَّوْق: أي القَوْد من أمام والسَّوْق من خلف، والقائد: واحد القُوّاد والقادة، ويقال: القائدة من الإبل: أي التي تقدم الإبل وتألفها، والقائد من الجبل أي: أنفه، والأقواد من الناس: أي الذي إذا أقبل علىٰ الشئ بوجهه لم يكد يصرف وجهه عنه، وقاد الجيش قيادة: رأسه ودبر أمره، والانقياد: الخضوع، تقول: قُدْته فانقاد واستقاد لي[١].

المفهوم الاصطلاحي للقيادة:

علىٰ الرغم من أن موضوع القيادة من أهمّ مبادئ العلوم الإنسانية، إلا أنه لم يستقر رأي الباحثين علىٰ وضع تعريف جامع لمفهوم (القيادة)؛ ولكن مع تعدد التعاريف فإن هناك تقاربا ملحوظا بين هذه التعاريف، ومن أهمّ هذه التعاريف:

القيادة: «هي الفن الذي تستطيع بواسطته التأثير علىٰ توجيه الآخرين إلىٰ هدف معين، بطريقة تحصل بها علىٰ ثقتهم واحترامهم وطاعتهم

(١) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م)، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمّد هارون، بيروت: دار الفكر، (٥/ ٣٩)، وابن منظور، محمّد بن مكرم أبو الفضل جمال الدين الأنصاري الإفريقىٰ، (١٤١٤هـ)، **لسان العرب**، بيروت: دار صادر، ط٣، (٣/ ٣٧٠). مادة: ق و د.

وتعاونهم المخلص»[١].

القيادة: «هي ذلك السلوك الذي يقوم به شاغل مركز الخلافة، أثناء تفاعله مع غيره من أفراد الجماعة، فهي عملية سلوكية، وتفاعل اجتماعي فيه نشاط موجه ومؤثر، علاوة علىٰ كونه مركِز أو قوّة، والقيادة قبل ذلك مسؤولية» [٢].

القيادة هي: «الجهد أو العمل الذي يمارسه شخص للتأثير في الناس، وجعلهم يتعاونون لتحقيق هدف يرغبون كلهم في تحقيقه»[٣].

ويمكن **تعريف القيادة** بأنها: « قدرة الفرد في التأثير علىٰ شخص أو مجموعة وتوجيههم وإرشادهم؛ من أجل كسب تعاونهم وحفزهم علىٰ العمل بأعلىٰ درجة الكفاية في سبيل تحقيق الأهداف الموضوعة»[٤].

ومن هنا يمكننا أن نستنتج من التعريفات السابقة وغيرها أن القيادة هي: القدرة علىٰ التأثير علىٰ سلوك أفراد الجماعة، وتنسيق جهودهم وتوجيههم لبلوغ الغايات المنشودة.

---

(١) بصبوص، أحمد، **فن القيادة في الإسلام**، ط١، (الأردن: مكتبة المنار، (١٩٨٨م)، (ص٢٥).

(٢) الياسين، جاسم بن محمّد مهلهل، **القيادة: الأسباب الذاتية للتنمية القيادية**، ط١، (القاهرة: دار الوفاء، (١٩٩٨م)، (ص١٧).

(٣) الشريف، طلال عبد الملك، **الأنماط القيادية وعلاقتها بالأداء الوظيفي**، رسالة ماجستير لم تطبع، (السعودية: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، (١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م)، (ص ٤٣). نقلاً عن: Ordway Tead، 1963، p.19

(٤) المغربي، كامل محمد، **المدخل لإدارة الأعمال: «أسس ووظائف»**، مكتبة عمّان، عمّان، الأردن ١٩٧٤م، (ص٢٣٦- ٢٣٥).

ويتضح أيضـًا أن هناك ثلاثة عناصر أساسية لا بدّ من توافرها لوجود القيادة هي:

أ/ وجود جماعة من الأفراد.

ب/ وجود شخص من بين الجماعة قادر علىٰ التأثير الإيجابي في سلوكهم وتوجيههم.

جـ/ وجود هدف مشترك تسعىٰ الجماعة إلىٰ تحقيقه[1].

القيادة والإدارة:

مع أن الحديث عن القيادة قديم إلا أنه يعتبر اليوم أحد فروع (علم الإدارة) التي لم تنشأ إلا في العصور المتأخرة، وباستطاعتنا أن نميز بين القيادة والإدارة بأن اهتمام الإدارة يتركز في أربع عمليات رئيسة، هي:

١/ التخطيط. ٢/ التنظيم. ٣/ التوجيه والإشراف. ٤/ الرقابة.

بينما تهتم القيادة بثلاث عمليات أساسية وهي:

١/ تحديد الاتجاه والرؤية.

٢/ حشد القوىٰ تحت هذه الرؤية.

٣/ التحفيز وشحذ الهمم.

ومفهوما (القيادة) و(المُلْك) قد يلتبسا علىٰ البعض فلا يفرّق

(١) مجممي، ناصر محمّد ابراهيم، **أنماط القيادة في بعض المؤسسات الصناعية الخاصة**، رسالة ماجستير لم تطبع، الرياض: جامعة الملك سعود، (١٤٢٤هـ)، (ص١٩)، وانظر أيضـًا: الشريف، مرجع سابق، (ص ٤٦-٤٨) بتصرف.

بينهما، وذلك لتداخلهما أحيانـًا، ولأن المهمتين تحتلان مركزاً في أعلىٰ هرم المسؤولية، ومن تداخلهما، أن (القائد) قد يكون (ملكـًا) أو (الملك) قد يكون (قائداً) كما في حالة (طالوت) وداود، وهذه حال اندماجية أو تكاملية أعلىٰ من حالة انفراد صفة الملك أو صفة القيادة.

ويمكن للشخص أن يصل إلىٰ الحالة العليا من الدمج بين الملك والقيادة من خلال تبنيه مؤثرات شخصية وبرامجية عامة وخاصة، ومن ذلك:

أ/ اعتماد قوّة التأثير الشخصي، القائم علىٰ المهارات والمؤهلات الشاملة، في إدارة الناس.

ب/ اعتماد مبدأ قناعة الجماعة ورضا الأتباع من غير إفراط ولا تفريط.

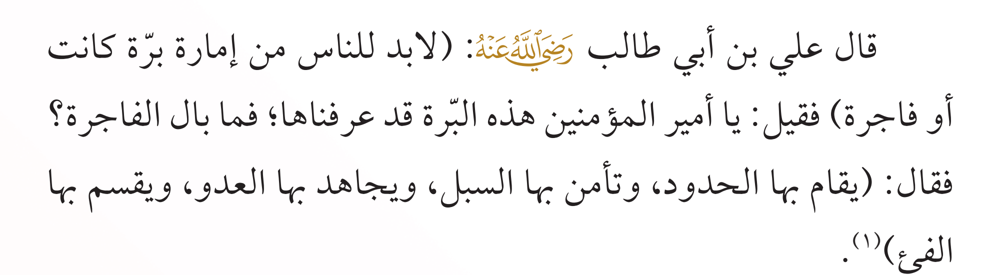
جـ/ الاهتمام بالجماعة وبتحقيق الأهداف العليا المشتركة بين الأفراد.

د/ اتخاذ أساليب إدارية منهجية تجمع ولا تفرق وتبني ولا تهدم.

هـ/ التركيز علىٰ رفع الروح المعنوية لدىٰ الأفراد؛ لضمان فاعليتهم في تحقيق الأهداف العليا [١].

(١) الشريف، مرجع سابق، (ص ٥٠-٥٢) بتصرف.

المبحث الثاني





ضرورة وجود القيادة

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لابد للناس من إمارة برّة كانت أو فاجرة) فقيل: يا أمير المؤمنين هذه البرّة قد عرفناها؛ فما بال الفاجرة؟ فقال: (يقام بها الحدود، وتأمن بها السبل، ويجاهد بها العدو، ويقسم بها الفئ)[1].

ولا شك أن أهمّية إيجاد قائد لأي مجموعة من البشر هو أمر من الأهمّية بمكان، وإلا أصبحوا قطيعاً من البهائم التي لا يسوسها راعي، وتنبع أهمّية تنصيب القيادة من مقدّمات، ألخصها في التالي:

المقدمة الأوّلى:

«أن الإنسان الواحد لا يمكنه أن يعيش وحده، لأنه مالم يخبز هذا لذاك ولا يطحن ذاك لهذا، ولا يبني هذا لذاك، ولا ينسج ذاك لهذا، لا تتم مصلحة الإنسان الواحد، ولا تتم إلا عند اجتماع جمع في موضع واحد، فلهذا قيل: الإنسان مدني بالطبع»[2]، فلا يمكن للبشر أن تستقيم حياتهم ووجودهم إلا

(١) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، (٢٨/ ٢٩٧).

(٢) الرازي، محمّد فخر الدين بن عمر المشتهر بـ (خطيب الريّ)، (١٤٠١هـ- ١٩٨١م)، **تفسير الفخر الرازي المشتهر بـ(التفسير الكبير ومفاتيح الغيب)**، بيروت: دار الفكر، ط١، (٦/ ٢٠٦).

باجتماعهم وتعاونهم علىٰ تحصيل قُوتِهم وضرورياتهم[1]، «إذ الواحد منهم لا يقدر وحده علىٰ جلب جميع منافعه، ودفع جميع مضاره»[2].

المقدمة الثانية:

إذا اجتمع الناس «دعت الضرورة إلىٰ المعاملة واقتضاء الحاجات ومَد كل واحد منهم يده إلىٰ حاجته، يأخذها من صاحبه، لما في الطبيعة الحيوانية من الظلم والعدوان بعضهم علىٰ بعض، ويمانعه الآخر عنها بمقتضىٰ الغضب والأَنفة ومقتضىٰ القوّة البشريّة في ذلك، فيقع التنازع المفضي إلىٰ المقاتلة، وهي تؤدي إلىٰ الهرج وسفك الدماء وإذهاب النفوس المفضي ذلك إلىٰ انقطاع النوع -وهو مما خصّه الباري سبحانه بالمحافظة - فاستحال بقاؤهم فوضىٰ دون حاكم يزع بعضهم عن بعض، واحتاجوا من أجل ذلك إلىٰ الوازع وهو الحاكم عليهم، وهو بمقتضىٰ الطبيعة البشريّة الملك القاهر المتحكّم»[3].

ولذلك نقل الطرطوشي في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾[البقرة:٢٥١] أنه قيل في معناه:

---

(١) ابن خلدون، مرجع سابق، (١/ ٢٣٤) بتصرف.

(٢) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، **السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية**، تحقيق: علي محمّد العمران، (من مطبوعات مجمع الفقه الاسلامي، دار عالم الفوائد)، (ص ٢٣٢).

(٣) ابن خلدون، مرجع سابق، (١/ ٢٣٥)؛ وكذلك: الماوردي، أبو الحسن علي بن محمّد بن حبيب، **أدب الدنيا والدين**، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م)، (ص١١٢).

لولا أن الله تعالىٰ أقام السلطان في الأرض يدفع القوي عن الضعيف، وينصف المظلوم من ظالمه، لتواثب الناس بعضهم علىٰ بعض، ثم امتن الله تعالىٰ علىٰ عباده بإقامة السلطان لهم بقوله تعالىٰ ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[البقرة:٢٥١].

قال الرازي: «ولهذا يدفع الله تعالىٰ عن المسلمين أنواع شرور الدنيا بسبب وضع الشرائع، وبسبب نصب الملوك وتقويتهم»[١] .

وقال الألوسي: «وفي هذا تنبيه علىٰ فضيلة الملك وأنه لولاه ما استتب أمر العالم، ولهذا قيل: الدين والملك توأمان ففي ارتفاع أحدهما ارتفاع الآخر، لأن الدين أسّ، والملك حارس، وما لا أسّ له فمهدوم، وما لا حارس له فضائع»[٢] .

وبذلك يتضح لنا جلياً أن أي جماعة بدون قائد هي كالجسد بدون رأس، وكالقطيع التائه علىٰ غير هدىٰ، وعند غياب القائد تسود الفوضىٰ التي لا تخلّف سوىٰ الدمار، بعيداً عن أي بناء أو تنظيم.

وإذا تركت مجموعة لبعض الوقت بدون قائد، فأنّها سوف تنقسم علىٰ ذاتها رغم الإرادات الطيبة لمجموع عناصرها، وبعد الخلاف يقع التشتت حتماً[٣].

---

(١) الرازي، مرجع سابق، (٦/ ٢٠٦).

(٢) الألوسي، شهاب الدين محمود البغدادي، د.ت، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (٢/ ١٧٤).

(٣) كورتوا، **الطريق إلىٰ القيادة وتنمية الشخصية**، ترجمة: سالم العيسىٰ، (ط١)، (دمشق: دار علاء الدين، ١٩٩٩م)، (ص٩) بتصرف.

قال الآمدي: «ولذلك نجد من لا سلطان لهم كالذئاب الشاردة والأسود الضارية، لا يبقىٰ بعضهم علىٰ بعض، ولا يحافظون علىٰ سنة ولا فرض»[١].

والتجربة تبيّن ذلك، فإن الوقت والمكان الذي يعدم فيه السلطان بموت أو قتل، ولم يقم غيره، يجري فيها من الفساد في الدين والدنيا، ويُفقد فيه من مصالح الدنيا والدين ما لا يعلمه إلا الله[٢].

المقدمة الثالثة:

أن في القيادة و(الملك) من المصالح الدنيوية والأخروية، والمنافع الكبيرة ما تجعل كل جماعة حريصة علىٰ إيجاده وتنصيبه، لأن الملكْ في حقيقته «رياسة تامّة، وزعامة، تتعلّق بالخاصة والعامّة في مهمات الدين والدنيا، متضمنها حفظ الحوزة ورعاية الرعية، وإقامة الدعوة بالحجة والسيف، وكف الجنف والحيف، والانتصاف للمظلومين من الظالمين، واستيفاء الحقوق من الممتنعين وإيفاؤها علىٰ المستحقين»[٣].

يقول **الشيزري** واصفًا نفع الملك بالمطر: «واعلم أن الرعية تستظمئ إلىٰ عدل الملك وتدبيره، استظماء أهل الجدْب إلىٰ الغيث الوابل، وينتعشون بطلعته عليهم كانتعاش النبت بما يناله من ذلك القَطْر،

---

(١) ابن الأزرق، شمس الدين أبو عبد الله محمّد بن علي الغرناطي، **بدائع السلك في طبائع الملك**، تحقيق: علي سامي النشار، ط١، (العراق: وزارة الاعلام، د.ت)، (ص٦٩).

(٢) ابن تيمية،السياسة الشرعية، مرجع سابق، (ص٢٣٣). بتصرف.

(٣) الجويني، إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله، **غياث الأمم في التياث الظُلَم**، تحقيق: مصطفىٰ حلمي - فؤادعبدالمنعم، (الاسكندرية: دار الدعوة، ١٤٠٠هـ، (ص١٥).

بل الرعية بالملك أعظم انتفاعـًا منها بالغيث، لأن للغيث وقتـًا معلومـًا، وسياسة الملك دائمة لا حّد لها ولا وقت»[١]، وكما أن القائد عنوان محسوس للسلطة، فهو أيضـًا عنوان للوحدة، فأوامره بمثابة التنظيم والتنسيق التي تمنع المجموعة من التفتت والانحلال والتلاشي[٢].

المقدمة الرابعة:

إن جميع الشرائع اتفقت علىٰ ضرورة نصب الملك والإمام، وأكثر العلماء علىٰ أن وجوب الإمامة الكبرىٰ بطريق الشرع وإجماع الصحابة[٣]، قال القرطبي: «ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمّة ولا بين الأئمة، إلا ما روي عن (الأصم)[٤] حيث كان عن الشريعة أصم، وكذلك كل من قال بقوله واتبعه علىٰ رأيه ومذهبه، قال: إنّها غير واجبة في الدين بل يسوغ ذلك، وأن الأمّة متىٰ أقاموا حجّهم وجهادهم، وتناصفوا فيما بينهم، وبذلوا الحق من أنفسهم، وقسموا الغنائم والفيء والصدقات علىٰ أهلها، وأقاموا الحدود علىٰ من وجبت عليه، أجزأهم ذلك، ولا

---

(١) الشيزري، عبد الرحمن بن عبد الله بن نصر، **المنهج المسلوك في سياسة الملوك**، تحقيق: علي عبد الله الموسىٰ، ط١، (الأردن، الزرقاء: مكتبة المنار، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م)، (ص ١٦٥- ١٦٦).

(٢) كورتوا، مرجع سابق، (ص٩).

(٣) الشنقيطىٰ، محمّد الأمين بن محمّد المختار بن عبد القادر الجكني، (١٤١٥هـ-١٩٩٥م)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، بيروت، دار الفكر، (١/ ٢٢).

(٤) الأصم: من كبار المعتزلة، واسمه أبو بكر عبد الرحمن بن كيسان. **لسان الميزان**، ابن حجر، (٣/ ٤٢٧).

يجب عليهم أن ينصبوا إماماً يتولىٰ ذلك»[1].

«وهؤلاء محجوجون بالإجماع، والذي حملهم علىٰ هذا المذهب إنما هو الفرار عن الملك ومذاهبه، من الاستطالة والتغلب والاستمتاع بالدنيا، لما رأوا الشريعة ممتلئة بذم ذلك والنعي علىٰ أهله ومرغبة في رفضه»[2].

وقد ردّ (الجويني) علىٰ (الأصم) رداً شديداً حين قال: «وذهب عبد الرحمن بن كيسان [يقصد الأصم] إلىٰ أنه لا يجب، ويجوز ترك الناس أخيافاً[3] يلتطمون ائتلافاً واختلافاً، لا يجمعهم ضابط، ولا يربط شتات رأيهم رابط.

وهذا الرجل هجوم علىٰ شق العصا، ومقابلة الحقوق بالعقوق، لا يهاب حجاب الإنصاف، ولا يستوعر[4] أصواب الاعتساف، ولا يسمىٰ إلا عند الانسلال عن رتبة الإجماع، والحيد عن سنن الاتباع، وهو مسبوق بإجماع من أشرقت عليه الشمس شارقة وغاربة، واتفاق مذاهب العلماء قاطبة»[5].

وعموماً فهذه الآيات من قصّة طالوت وأخبار داود، تدل بكل

---

(١) القرطبي، محمّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، (١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م)، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: سمير البخاري، الرياض: دار عالم الكتب، (١/ ٢٦٤).

(٢) ابن خلدون، مرجع سابق، (١/ ٢٤٠).

(٣) أي: خائفين.

(٤) يستوعر: من الوعورة، واستوعره وجده وَعْراً.

(٥) الجويني، مصدر سابق، (ص ١٥-١٦).

وضوح علىٰ أهمّية نصب الملك والقائد[1]، وفيها دليل شرعي لوجوب ذلك في كل الأعصار والأمصار، والصحيح المعلوم من علم الأصول أن شرع من قبلنا شرع لنا مالم يرد في شرعنا نسخه[2].

(١) من العجائب عند (الرافضة الإمامية) أنهم يستدلون بهذه الآيات أن منزلة الإمامة والملك أرفع من منزلة النبوة، وزعموا أنه لا يمكن للمفضول أن يحكم الفاضل، فكيف يحكم (طالوت) وهو الإمام النبي الوارد في القصة إلا إذا كان طالوت أفضل من النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ!

(٢) هذا هو المشهور عند الحنفية والمالكية والحنابلة، وهو أحد القولين عند الشافعية. انظر: السلمي، عياض بن نامي، **أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله**، (ط١)، (الرياض: دار التدمرية، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م)، (ص ١٩١).

المبحث الثالث



أسباب طلب بني إسرائيل تنصيب (مَلِك)

من المهم جداً قبل ذكر أسباب طلب بني اسرائيل تنصيب مَلك، أن نذكر ذلك الحدث الرهيب الذي هزّ كيان بني إسرائيل، وجعلهم يعيدون النظر في استشعار المسؤولية، والجدّية في معالجة الكارثة القادمة.

وذلك أن الفلسطينيين كانوا مسيطرين ومتسلطين علىٰ سائر البلاد، واشتدوا كثيراً، ودخلوا البلاد، فحدثت حرب في (أفيق) شمالي (أورشليم)، وانكسر بنو إسرائيل، وهلك منهم أربعة آلاف رجل، فحزنوا أشد الحزن، وأحضروا تابوت الله من (شيلوه)، ظانين أن الله سينصرهم إكراماً لتابوته وليس بالنظر إلىٰ أعمالهم التي كانت سيئة، فحدث غير ما ظنوا، فانكسروا وانهزموا هزيمة نكراء، وهلك منهم -بحسب التوراة- مائتي ألف رجل، والأكبر من ذلك أن الأعداء استولوا علىٰ (تابوت العهد)، ولما وصل الخبر إلىٰ أكبر قادتهم (عالي الكاهن) سقط عن كرسيه ومات. لقد كان هذا الحدث بمثابة هزيمة كبرىٰ تهدّد استئصال بني إسرائيل أجمعين.

حاول بنو إسرائيل بعدها أن يستردوا جزءاً من كرامتهم حينما صار (صموئيل) قاضياً ونبياً، وحسنت سيرته فيهم، والتفّ حوله كثير منهم، وجمعهم (صموئيل) في منطقة (المصفاة) وأنذرهم وحثهم علىٰ طاعة

الله فأجابوه، وكان يجول بين الأسباط يقضي بينهم وينصحهم حتىٰ احترمه كل الشعب، وبدأت أمورهم بالتحسن[1].

ولكن يبدو أن هناك ركيزة كانت ناقصّة لإكمال هذا البناء التربوي الذي غرسه (صموئيل) عَلَيْهِ السَّلَامُ، هذه الركيزة هي قضية إيجاد القيادة العسكرية الملكيّة.

لقد فقد بنو إسرائيل في تلك المعركة النكراء ثلاثة أشياء هامّة:

١/ التوراة. ٢/ الأرض. ٣/ الأبناء.

وفوق هذا كله فقدوا كرامتهم وحرّيتهم.

روىٰ الطبري بإسناده عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: هذا حين رفعت التوراة واستخرج أهل الإيمان، وكانت الجبابرة قد أخرجتهم من ديارهم وأبنائهم[2].

وفي ذلك يقول **البغوي** نقلاً عن وهب وابن اسحاق والكلبي وغيرهم: «ظهر لهم عدو يقال له (البلشاثا)، وهم قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين، وهم العمالقة، فظهروا علىٰ بني إسرائيل، وغلبوا علىٰ كثير من أرضهم، وسبوا كثيراً من ذراريهم، وأسروا من أبناء ملوكهم أربعين وأربعمائة غلامًا، فضربوا

---

(١) هارفي بورتر، **موسوعة مختصر التاريخ القديم**، ط١، (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٤١١هـ-١٩٩١م)، (ص ١٢٩).

(٢) الطبري، أبو جعفر محمّد بن جرير، (١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: محمود شاكر وأحمد شاكر، دمشق: مؤسسة الرسالة، ط١، (٥/ ٢٩٧).

عليهم الجزية وأخذوا توراتهم، ولقي بنو إسرائيل منهم بلاء وشدة»[1].

وبعد ما ذكرنا نستطيع أن نجمل أسباب طلب بني إسرائيل تنصيب ملك عليهم في الآتي:

أ/ تلك الهزيمة الكبرىٰ التي ذهبت بما تبقىٰ لهم من استقرار وأمان، والتي أيقظتهم من سباتهم.

ب/ محاولتهم استرجاع ما ذهب منهم من:

١/ تابوتهم المقدس. ٢/ أرضهم السليبة. ٣/ أبناؤهم الأسرىٰ.

جـ/ «ظنوا أن انتظام أمر الفلسطينيين، لم يكن إلا بسبب النظام الملكي»[2]، وهم أصلاً لم يعرفوا النظام الملكي إلا بما شاهدوه عند أعدائهم، فقد كان أوّل ملك عليهم هو (طالوت)، أما قبله «فلم يكن في إسرائيل ملوك في تلك الأيام، بل كل إنسان يفعل ما يراه صحيحًا»[3]، ولم يعرفوا ذلك النظام إلا عبر الأمم الأخرىٰ المجاورة، وخصوصاً عند ما رأوا قوّة مُلْك (جالوت).

---

(١) البغوي، أبو محمّد الحسين بن مسعود، (١٤١٧هـ- ١٩٩٧م)، **معالم التنزيل**، حققه: محمّد عبد الله النمر- عثمان جمعة ضميرية- سليمان مسلم الحرش، السعودية: دار طيبة، ط٤، (١/ ٢٩٦)؛ وكذلك: الطبري، **جامع البيان**، مرجع سابق (٥/ ٢٩٨)، الطبري، أبو جعفر محمّد بن جرير، ١٤٠٧هـ، **تاريخ الأمم والملوك**، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، (١/ ٢٧٦).

(٢) ابن عاشور، مرجع سابق، (٢/ ٤٨٨).

(٣) ديورانت، ويل، (١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م)، **قصّة الحضارة**، ترجمة: محمّد بدران، بيروت: دار الجيل، (٢/ ٣٣٠)، وقد ورد في سفر القضاة تكرر هذه المقالة: (ولم يكن في تلك الأيام ملك لإسرائيل).

فبينما كان بنو إسرائيل يدافعون عن اتحادهم المفكك الأوصال، معتمدين في قيادتهم علىٰ قيادات تبرز بينهم بشكل عفوي تلقائي، كانت الأمم المحيطة بهم تتمتع بنظم سياسية علىٰ درجة عالية من التنظيم والرقي[١].

د/ وجد بنو إسرائيل أنهم محاطون بمنافسين ذوي طابع عدواني يطمعون في احتلال مرتفعات أرض كنعان، وظهرت دول جديدة قوية في المنطقة مثل: بني عمّون، ومواب، وأدوم، وتسلل العمونيون والموآبيون إلىٰ أرضهم من جهة الشرق، كما شن الفلسطينيون عليهم الغارات من جهة الغرب[٢].

«وكانوا يومئذٍ يتوقعون هجوم (ناحاش) ملك العمونيين عليهم أيضـًا»[٣].

وبذلك يبدو أن خطر سيطرة الفلسطينيين علىٰ اليهود كان عاملاً مهمـًا في جمع الأسباط كلهم في وحدة شاملة، وحملهم علىٰ تعيين ملك ذي سلطان دائم عليهم[٤].

قال ابن الأزرق: «لما أُمِر بنو إسرائيل بقتال من غلبهم علىٰ الدين

---

(١) الأحمد، أحمد عيسىٰ، (١٤١٠هـ- ١٩٩٠م)، **داود وسليمان في العهد القديم والقرآن الكريم**/ دراسة لغوية تاريخية مقارنة، الكويت: مطبعة حكومة الكويت، د.ط، (ص٤١)، نقلاً عن: Albright، From The Stone Age to christionity، p.289

(٢) أرمسترونج، كارين،١٩٩٨م، **القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث**، ترجمة: فاطمة نصر، محمّد عناني، لبنان: سطور، د.ط، (ص٧٤). بتصرف.

(٣) ابن عاشور، مرجع سابق، (٢/ ٤٨٨).

(٤) ديورانت، مرجع سابق، (٢/ ٣٣٠).

طلبوا ملكـًا يتيسّر به بلوغ ذلك المرام»[١].

هذه كانت أهمّ الأسباب، ولكن الأمر الذي أودّ أن أؤكده هنا أن «إنشاء مملكة إسرائيل كان في الواقع يمثل أحد التطورات الطبيعية للأمم، بل وربما تطوراً حتمياً»[٢].

لقد أصبح نظام القضاة والمشيخة غير قادر علىٰ التعبير عن الأوضاع الجديدة، وكان من المهم جداً في ظل الهجمة الشرسة من أعدائهم، وتوحّد أعدائهم وتكالبهم عليهم، بينما بنو إسرائيل تضخّم أعداد أسباطهم، ونشأ جيل جديد يطمح بنظام جديد مركزي موحّد، يلم شتاتهم، فجاء النظام الملكي يساهم في إضعاف النظام القبلي بإنشاء سلطة مركزية، وتقسيم الأرض إلىٰ مناطق إدارية لا تتفق بالضرورة مع التقسيمات القبليّة السابقة، حتىٰ أصبحت القيادات القبلية مسألة رمزية أو شكلية ليست لها وظيفة محددة، وقد قوضت الملكية القيادة القبلية بإيجاد طبقة من الموظفين الملكيين الذين يعتمدون علىٰ الملك ويدينون له بالولاء خارج نطاق شبكة الولاء القبليّة[٣].

ومع هذا فإننا نلحظ التناقض الحاد في **العهد القديم** في الموقف من النظام الملكي، فنجد أنه يقول بأن الله جَلَّجَلَالُهُ يحذر منه، وكذلك

---

(١) ابن الأزرق، شمس الدين أبو عبد الله محمّد بن علي الغرناطي، د.ت، **بدائع السلك في طبائع الملك**، تحقيق: علي سامي النشار،، العراق: وزارة الاعلام، ط١، (ص١١٠).

(٢) ارمسترونج، مرجع سابق، (ص٧٤).

(٣) المسيري، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، المجلد الرابع، الجزء ١، الباب (١٣)، موضوع (الملوك والملكية)، (موقع الموسوعة في الشبكة).

بالتّبع نبيه **صموئيل**، يقول **سفر صموئيل الأوّل**: (فساء الأمر في عيني صموئيل، إذ قالوا أعطنا ملكاً يقضي لنا، وصلىٰ صموئيل إلىٰ الرب، فقال الرب لصموئيل: اسمع لصوت الشعب في كل ما يقولون لك، لأنهم لم يرفضوك أنت، بل إياي رفضوا حتىٰ لا أملك عليهم).

فتصوّر لنا (التوراة) أنّ (الملِك) المباشر كان هو الله جل شأنه! ثم إن الشعب نازع ربّه في الملكيّة، جلّ الله عما يقولون علواً كبيراً.

ثم يمضي النص: (فالآن اسمع لصوتهم ولكن اشهد عليهم، وأخبرهم بقضاء الملك الذي يملك عليهم، فكلم صموئيل الشعب الذين طلبوا منه ملكاً بجميع كلام الرب، وقال: هذا يكون قضاء الملك الذي يملك عليكم، يأخذ بنيكم ويجعلهم لنفسه ومراكبه وفرسانه، فيركضون أمام مراكبه، ويجعل لنفسه رؤساء ألوف ورؤساء خماسين، فيحرثون حراثته ويحصدون حصاده ويعملون عدّة حربه، وأدوات مراكبه، ويأخذ بناتكم عطارات وخبازات وطباخات، ويأخذ حقولكم وكرومكم وزيتونكم أجودها، ويعطيها لعبيده، ويعشّر زروعكم وكرومكم ويعطي لخصيانه وعبيده، ويأخذ عبيدكم وجواريكم وشبانكم الحسان وحميركم ويستعملهم لشغله، ويعشّر غنمكم وأنتم تكونون له عبيداً، فتصرخون في ذلك اليوم، من وجه ملككم الذي اخترتموه لأنفسكم فلا يستجيب لكم الرب في ذلك اليوم، فأبىٰ الشعب أن يستمعوا لصوت صموئيل، وقالوا: لا، بل يكون علينا ملك، فنكون نحن أيضاً مثل سائر الشعوب ويقضي لنا ملكنا، ويخرج أمامنا ويحارب حروبنا، فسمع صموئيل كل كلام الشعب، وتكلم به في أذني الرب، فقال الرب لصموئيل: اسمع لصوتهم وملّك عليهم

ملكـًا، فقال صموئيل لرجال إسرائيل: إذهبوا كل واحد إلىٰ مدينته)[1].

إن هذا النصّ المحرّف يشعرنا أن (صموئيل) بذل قصارىٰ جهده لكفّهم عما يسألون وتحذيرهم من عاقبة النظام الملكي، ويصوّر كذلك أن الله لم يسمع ما قاله الشعب إلا بعد أن تكلم بذلك (صموئيل) في أذني الربّ، وسيبيّن لنا النص بعد ذلك أن الله ندم علىٰ اتخاذ هذا القرار! تقدّس الله عن ذلك وتنزّه.

ونجد التناقض في النص التوراتي الذي يوحي في الإصحاح الذي يليه أن الملكية هبة ومنحة إلهية: (فامسحه رئيسًا لشعبي اسرائيل، فيخلّص شعبي من يد الفلسطينيين، لأني نظرت إلىٰ شعبي، لأن صراخهم قد جاء إليّ)[2].

ومع هذا التناقض في العهد القديم نجد في (النص القرآني) أن الله أراد ذلك الملك وقدّره، وهيأ للملك الجديد واصطفاه ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ﴾[البقرة:٢٤٧].

وأما النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فلم يعترض - بحسب النص القرآني - علىٰ طلبهم باختيار ملك عليهم، ولكنه أيّد ذلك، وكانت خشيته من عدم إيفائهم بالقتال مع الملك ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْ﴾ [البقرة:٢٤٦]، وهو «لما رأىٰ أن التغيير واجب سلّم وعمل بمقتضىٰ الحال»[3].

---

(١) سفر صموئيل١، **الإصحاح ٨**، مقطع (٦:٢٢).

(٢) سفر صموئيل، **الإصحاح ٩**، مقطع(١٦).

(٣) هارفي بورتر، (١٤١١هـ-١٩٩١م)، **موسوعة مختصر التاريخ القديم**، القاهرة:مكتبة مدبولي، ط١، (ص ١٢٩).





الفصل الثاني

التمكين القيادي لطالوت

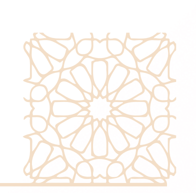
المبحث الأول: اختيار طالوت وأسباب تمكينه

المبحث الثاني: المؤهلات القيادية الذاتية والربانية

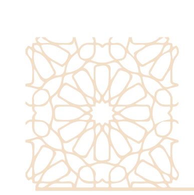
المبحث الثالث: المؤهلات القيادية الفكرية والإدارية



المبحث الأوّل:



اختيار طالوت وأسباب تمكينه



المطلب الأول: اختيار طالوت

بحسب النص القرآني، فإن المتبادر للذهن أن الله أوحىٰ إلىٰ النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ باسم طالوت ووصفه، وما كان من النبي إلا البلاغ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗا﴾[البقرة:٢٤٧]، قال أبو حيان: «قول النبي لهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ ﴾ لا يكون إلا بوحي، لأنهم سألوه أن يبعث لهم ملكـًا يقاتل في سبيل الله، فأخبر ذلك النبي أن الله قد بعثه، فيحتمل أن يكون ذلك بسؤال من النبي لله أن يبعثه، ويحتمل أن يكون ذلك بغير سؤاله، بل لما علم حاجتهم إليه بعثه»[(١)] .

كما أن لفظة (بعث) تفيدنا بعظيم منة الله عليهم بإرسال رجل من عامتهم، وفق الأسس الربّانية للاختيار، ليكون ملكـًا عليهم.

وتتفاوت الروايات الإسرائيلية في طريقة اختياره ومعرفته:

أ/ فتذكر بعض المرويّات أنه لم يسمّ أصلاً للنبي، وإنما ذكرت له بعض الدلائل والعلامات مثل:

١/ نشّ الدهن الذي في القَرْن.

(١) أبو حيان، محمّد بن يوسف الأندلسي، (١٤١٣هـ-١٩٩٣م)، **البحر المحيط**، تحقيق: عادل عبدالموجود - علي معوض، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، (٢/ ٢٦٥).

٢/ أن يكون طوله طول العصا التي مع النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

ولعلّ هذا مما تفرّد به (السدّي الكبير)[١]، وكل المفسّرين عالة عليه في روايته لبعض التفاصيل الغريبة في القصّة، ومن ذلك ما أسنده (الطبري) إليه بقوله: «فدعا الله [أي النبي] فأتي بعصا تكون مقداراً علىٰ طول الرجل الذي يبعث فيهم ملكًا، فقال: إن صاحبكم يكون طوله طول هذه العصا، فقاسوا أنفسهم بها فلم يكونوا مثلها، وكان طالوت رجلاً سقّاء يستقي علىٰ حمار له، فضلّ حماره، فانطلق يطلبه في الطريق، فلما رأوه دعوه فقاسوه بها، فكان مثلها»[٢].

ويروىٰ أيضًا أن الله أوحىٰ إلىٰ النبي أنه «إذا حضر عندك يفور هذا القرن الذي فيه من دهن القدس... ولما حضر طالوت عند شمويل فار ذلك القرن فدهنه وعيّنه للملك عليهم»[٣].

ب/ الرواية الأخرىٰ تدلّ علىٰ أن الله سمىٰ (طالوت) للنبي، وأن النبي كان بانتظاره، فقد روىٰ الطبري وغيره عن وهب بن منبّه قال: (أوحىٰ الله إلىٰ شمويل أن ابعث لهم طالوت ملكًا، وادهنه بدهن

---

(١) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي، المعروف بالسدّي الكبير، قرشي بالولاء، وهو تابعي، سمع أنسًا، وروىٰ لغيره من الصحابة، وعن كثير من التابعين، وهو ثقة، أخرج له مسلم في صحيحه، ووثّقه أحمد بن حنبل، وتوفي السدي سنة ١٢٧. [لاحظ كلام العلامة أحمد شاكر علىٰ إسناده هذا في **حاشية (تفسير الطبري)**، (١/ ١٥٦).

(٢) الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، مرجع سابق، (١/ ٢٧٨).

(٣) ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل الدمشقي، ١٤٠٨هـ، **البداية والنهاية**، القاهرة: دار الريان، ط١، (٢/ ٨)، وكذلك: ابن الأثير، أبو الحسن علي، **الكامل في التاريخ**، تحقيق: عبدالله القاضي، ط٢، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ)، (١/ ١٦٥).

القدس، فضلّت حمر لأبي طالوت فأرسله وغلاماً له يطلبانها فجاءا إلىٰ شمويل يسألانه عنها، فقال: إن الله قد بعثك ملكاً علىٰ بني إسرائيل، قال: أنا، قال: نعم، قال: أوما علمت أن سبطي أدنىٰ أسباط بني إسرائيل؟ قال: بلىٰ. قال: أفما علمت أن قبيلتي أدنىٰ قبائل سبطي؟ قال: بلىٰ. قال: أما علمت أن بيتي أدنىٰ بيوت قبيلتي؟ قال: بلىٰ، قال: فبأية آية؟ قال: بآية أنك ترجع وقد وجد أبوك حُمُره، وإذا كنت في مكان كذا وكذا نزل عليك الوحي، فدَهَنه بدهن القدس وقال لبني إسرائيل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗاۚ﴾[البقرة:٢٤٧][١].

وهذه الروايات قريبة جداً مما جاء في (العهد القديم) الذي بين أيدينا، وقد لخّص لنا (ابن العبري) ما جاء في (سفر صموئيل) بقوله: «كان شاباً لم يكن في بني إسرائيل أتم منه خلقة، فضلّت أُتُن لأبيه قيس، فخرج مع غلام له باحثين عنها، وانتهيا إلىٰ القرية التي فيها شمويل النبي، وقال الغلام لشاؤل: ههنا رجل عظيم نذهب إليه لعلّه يدلنا علىٰ الأتن، وعندما همّا بذلك خرج إليهم شمويل، فقالا له: دلنا علىٰ بيت النظّار، لأن في ذلك الزمان كانت تسمىٰ الأنبياء نظّارة[٢] فقال لهما: أنا النظّار، ادخلا إلىٰ منزلي، وكلا معي طعاماً وأنبئكما عن بغيتكما، فلما دخلا معه إلىٰ البيت قال لهما: لا تهتما بأمر الأُتن فقد وُجدت، ولم تكن لذة بني إسرائيل إلا لك ياشاؤل ولآل أبيك، فقال له شاؤل مستعفياً: قبيلتي أقل سبط بنيامين، وأخذ شمويل قرن الدهن وأفاضه علىٰ رأس شاؤل

(١) الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، مرجع سابق، (١/ ٢٧٨).

(٢) النظّارة: هو الذي ينظر المستقبل، وهو في التراجم الحديثة للعهد القديم يسمىٰ (الرائي).

قائلاً: إن الله اصطفاك لتكون ملكاً لميراثه، وستلقىٰ في طريقك زمرة من الأنبياء يتنبؤون وتتنبأ معهم، فمضىٰ شاؤل حتىٰ لقي الأنبياء وبين أيديهم صنوج ودفوف، فنزل عليه روح الرب وتنبأ معهم، فقال الناس: وشاؤل أيضاً بين الأنبياء، وصار ذلك مثلاً سائراً بينهم »[1].

ولعل هذه الرواية أقرب إلىٰ المفهوم القرآني في طريقة الاختيار، ولكننا نلحظ في هذه الرواية بعض الملاحظات منها:

أوّلاً: أنه ورد في رواية وهب: (وإذا كنت بمكان كذا وكذا نزل عليك الوحي) وفي رواية (سفر صموئيل)، (فنزل عليه روح الرب وتنبأ معهم، فقال الناس: وشاؤل أيضاً بين الأنبياء)؛ فهل كان (طالوت) نبياً؟

أ/ ذكر بعض المفسّرين احتمالية أن يكون (طالوت) نبياً، خصوصاً وأنه قال لهم قبل بلوغ النهر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ﴾[البقرة:٢٤٩]، وهذا لا يكون إلا بوحي، فهل كان الوحي إليه مباشرة؟ أم عن طريق النبي؟ فإن كان إليه مباشرة فمعنىٰ ذلك أنه (نبي).. وقد ذكر هذا الاحتمال الإمام (البغوي)، و(أبو حيان)، وكذلك (الفخر الرازي)[2].

---

(١) ابن العبري، غريفوريوس أبو الفرج ابن اهرون الطبيب، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، **تاريخ مختصر الدول**، صحّحه أنطون صالحاني اليسوعي، بيروت: دار الرائد اللبناني، (ص ٤٤:٤٥)، وانظر: **سفر صموئيل الأول**، الإصحاح (٩:١٠).

(٢) **تفسير البغوي**، مرجع سابق، (١/ ٢٩٨)؛ **تفسير البحر المحيط**، مرجع سابق، (٢/ ٢٨٠)؛ **تفسير الفخر الرازي**، مرجع سابق، (٦/ ١٩٢)، وكذلك أيضاً: العيني، بدرالدين محمود بن أحمد، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، تحقيق: عبدالله محمود محمّد، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م)، (٢٥/ ٢١٢).

ب/ ولكن الصحيح أنه ليس بـ(نبي)،وإنما هو ملك صالح وقائد ربّاني، ويدل علىٰ ذلك أمور، منها:

١/ أن الله لم يذكر ذلك، بل نصّ علىٰ أنه (ملك)، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗا﴾ [البقرة:٢٤٧]، ولو كان نبياً لبيّن ذلك فمرتبة النبوة أرفع ولا شكّ من مرتبة (الملك)، بينما لما تكلم عن (داود) عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وصفه بالنبوة فقال: ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾[البقرة:٢٥١]، و(الحكمة) هي النبوة.

٢/ أن اليهود لا يعدّونه من أنبيائهم مع كثرتهم، وحتىٰ شرّاح الكتاب المقدس من أهل الكتاب بشكل عام، لم يقل أحد منهم أنه (نبي)، بل يفسّرون ذلك بوجود مدرسة كان قد أسسها (صموئيل)، وفيها يدرسون العلوم الدينية، ويمارسون تزكية النفس، فأرسل (صموئيل) (طالوت) إلىٰ هناك لينال حظّاً من تزكية النفس قبل أن تُشغله أمور المملكة[1].

٣/ أما (التنبؤ) الوارد في الرواية فيمكن أن يكون المقصود به أنهم قلّدوا الأنبياء في طاعتهم وتزكيتهم لنفوسهم، حتىٰ شعروا بالتجرّد من (الجسمانية) إلىٰ عالم (الروحانية)[2].

---

(١) بيومي مهران، ١٩٩٩م، **بنو إسرائيل**، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، (٥/ ٥٥- ٥٦)؛ وكذلك: الدّبس، المطران يوسف، ١٩٩٤م، **تاريخ سورية الدنيوي والديني**، بيروت، دار نظير عبود، (٢/ ٢٤٠).

(٢) ظاظا، حسن، **أبحاث في الفكر اليهودي**، ط١، (دمشق: دار القلم؛ بيروت:دار العلوم، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، (ص٨٧) بتصرف، وهذه الفكرة هي قريبة من الفكرة التي استقاها منهم (الصوفية) تحت مسمىٰ (الشطح) أو (الأحوال).

٤/ أن (طالوت) لم يوحَ إليه بشكل مباشر في قضية (النهر)، ولكن الذي يبدو أنه نوع من (الإلهام) و(الاجتهاد) الذي لم يرجع فيه إلىٰ (النبي) عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وإنما هو جزءٌ من الموهبة القياديّة.

ثانيـًا: دلّت بعض هذه المرويّات علىٰ تضارب في (المهنة) والعمل الذي كان يقوم به (طالوت) قبل تولي الملك، وقد ذكر عدد من المفسّرين المهن والأعمال الآتية:

١/ سقّاء: أي: يستقي الماء ويحمله ويبيعه للناس، وهو قول السدي وعكرمة،[١] وأغرب بعضهم فقال أنه كان يسقي علىٰ حمار له من نهر (النيل)[٢]!

٢/ دبّاغ: أي يدبغ الجلود ويعمل الأديم ثم يبيعه، وهو قول وهب بن منبّه[٣].

٣/ مكاري: وهو الذي يربي الحمير ويؤجرها، وهو ما سماه (البغوي) أيضـًا (خربندج) ولكنه باللغة الفارسية[٤].

---

(١) **البغوي**، مرجع سابق، (١/ ٢٩٧)، الشوكاني، محمّد بن علي بن محمّد، ١٤١٢هـ، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، دمشق: دار الخير، ط١، (١/ ٢٩١)؛ **الرزاي**، مرجع سابق، (٦/ ١٨٧)؛ الثعلبي، أبو اسحاق أحمد بن محمّد ابن إبراهيم، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، **الكشف والبيان**، تحقيق: الإمام أبي محمّد عاشور، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ١، (ص١٤٩)؛ أبو حيان، مرجع سابق، (٢/ ٢٦٥).

(٢) العيني، مرجع سابق، (٢٥/ ٢١٢)؛ البغوي، مرجع سابق، (١/ ٢٩٧).

(٣) ابن الأثير، مرجع سابق، (١/ ١٦٥)؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، مرجع سابق، (٢/ ٧)؛ البغوي، مرجع سابق، (١/ ٢٩٧)؛ الألوسي، مرجع سابق، (٢/ ١٦٦).

(٤) **تفسير البغوي**، مرجع سابق، (١/ ٢٩٧)؛ أبو حيان، مرجع سابق، (٢/ ٢٦٦)، ومعنىٰ =

وأغلب أقوال المفسّرين علىٰ أنه (سقّاء)، وإن كان القول الأخير -بأنه (مكاري) للحمير- قريب من قصّة ضياع (الحمير) وبحثه عنها، كما أنه قريب من تهيئته لقيادة بني إسرائيل في تلك المرحلة!

وأغرب (السمرقندي) فذكر أن (طالوت) كان يبيع الخمر[1]! وهذا عمل ننزّه (طالوت) -الذي اصطفاه الله- من مقارفته.

المطلب الثاني: أسباب التمكين لطالوت:

نستطيع أن نلخص أسباب التمكين الذاتية والربانية لطالوت من خلال قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

فمن خلال الآية الكريمة نتعرف أن الأسباب الذاتية هي:

أ/ البسطة في العلم.

ب/ البسطة في الجسم.

= (خَرْبندج): (بالفارسية: خربنده) مكار، من يؤجر الدواب للمسافرين. [رينهارت بيتر آن دوزي، **تكملة المعاجم العربية**، نقله للعربية: محمّد النعيمي؛ جمال الخياط، ط١، (العراق: وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٧٩م)، (٤/ ٤٢)].

(١) السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمّد، ١٤١٣هـ، **تفسير السمرقندي (بحر العلوم)**، تحقيق: علي معوض، وعادل أحمد، وزكريا النوتي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، (١/ ٢١٨)، ولعلّ ذلك من تصحيف النسّاخ، حيث كتبوا (خمر) بدلاً من (حُمُر).

والأسباب الربانية هي:

أ/ اصطفاء الله.

ب/ سعة فضل الله.

ج/ علم الله بمن هو أهل لذلك.

وبيان ذلك فيما يلي:

أولا: الأسباب الذاتية لتمكين طالوت:

أ/ البسطة في العلم، فقد كان طالوت علىٰ دراية واسعة بعلوم متنوعة، وسأتعرض لذلك بالبيان عند ذكر المؤهلات الفكرية والعلمية لطالوت.

ب/ البسطة في الجسم، وبيان ذلك كما يلي:

المعنىٰ اللغوي للبسطة سواء في (العلم) أو (الجسم)، هي التي توحي بالسعة والانتشار، فالبسطة هي الوفرة والقوّة من الشئ[1].

وحينما تستخدم هذه اللفظة مع (الجسم) فإنّها تغرس فينا معاني كثيرة، فالبسطة في الجسم قد تعني قوّة البدن أو سلامة الحواس والأعضاء، أو الطول، أو الهيبة والجمال، أو غير ذلك مما سنذكره من المعاني المتعدّدة المنداحة من جملة (بسطة الجسم).

ويجدر بنا هنا أن نميّز بين لفظة (الجسم) ولفظة (الجسد)، فهما كلمتان متقاربتان في الحروف والمعنىٰ، ولكن غالبًا ما يطلق (الجسم):

---

(١) ابن عاشور، مرجع سابق، (٢/ ٤٩٢).

إذا كان فيه حياة وروح وحركة. والجسد: هو التمثال الجامد أو البدن بعد وفاته وخروج الروح منه، ومن ذلك وصف العجل الذي صنعه السامري ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌ ﴾ [الأعراف:١٤٨].

ولا شك أن مواصفات (الجسد) مما تهمّ الملوك خصوصاً في أوقات الحروب، فالحرب بحاجة إلىٰ قوّة في البدن، وقدرة علىٰ أنواع القتال من رمي وطعن وضرب وركوب وكرّ وفرّ ونحو ذلك[١].

ومما تشمله (البسطة في الجسم) الأشياء الآتية:

١ـ القدرات البدنيَّــــــة:

وغني عن البيان أن من أهمّ الشروط في (الملك)، أن يكون الملك المختار قد وصل سن البلوغ، وهو السن الذي يجعله في أوج قدراته البدنية والعقلية، حتىٰ قال (ابن حزم): «وجميع فرق أهل القبلة ليس منهم أحد يجيز إمامة إمرأة، ولا إمامة صبي لم يبلغ، إلا الرافضة فإنّها تجيز إمامة الصغير الذي لم يبلغ، والحمل في بطن أمه، وهذا خطأ لأن من لم يبلغ فهو غير مخاطب، والإمام مخاطب بإقامة الدين»[٢].

ولا شك أن (طالوت) كان قد تجاوز سن البلوغ بكثير، وكان في

(١) ابن الموصلي، محمّد بن محمّد بن عبدالكريم، **حسن السلوك الحافظ دولة الملوك**، تحقيق: فؤاد عبدالمنعم، ط١، (الرياض: دار الوطن، ١٤١٦هـ)، (ص٩٣).

(٢) ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الظاهري، د.ت، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، القاهرة: مكتبة الخانجي، (٤/ ١٢٧).

ريعان شبابه، وقوّة فتوّته، ويدلّ لذلك أن هذا من كمال البسطة في الجسم.

٢ـ الصحة البدنية:

فليس المقصود فقط في القائد (الملك) أن يكون بالغـًا، بل أيضـًا لابدّ أن يكون سليم الجسم، صحيح البدن، وهو ما عبّر عنه العلماء الذين كتبوا في السياسة الشرعية بـ(سلامة الأعضاء) و(سلامة الحواس).

وقد أجمع الفقهاء علىٰ ضرورة سلامة الحواس والأعضاء، واعتبروا سلامة التركيب البدني من الشروط الأساسية للقائد الحاكم، وللولاية الكبرىٰ والإمامة العظمىٰ.

ومن حيث التفصيل، فقد نقل (الجويني) الإجماع علىٰ حاسة البصر، وذلك «لأن فقده يمانع الانتهاض في الملمات والحقوق، ويجري ذلك إلىٰ المعضلات عند مسيس الحاجات، والأعمىٰ ليس له استقلال بما يخصّه من الأشغال، فكيف يتأتىٰ منه تطوق عظائم الأعمال، ولا يميّز بين الأشخاص في التخاطب، وانعقاد الإجماع يغني عن الإطناب»[(١)].

ومما اتفق عليه الفقهاء أيضـًا (حاسة السمع)، وأما الأصم الذي يعسر جداً إسماعه فلا يصلح لهذا المنصب العظيم[(٢)]؛ والسبب أن عدم سماع (القائد) يبعده عما يجري حوله، وفي ذلك خطر جسيم.

وكذلك (الأخرس) الذي لا يستطيع النطق والكلام نهائيـًا، فهذا

---

(١) الجويني، مرجع سابق، (ص٦٠).

(٢) المرجع السابق، (ص٦١) بتصرف.

حكمه كحكم الأعمىٰ والأصم.

أما حاسة (الشمّ) و(الذوق)، فليسا بشرطين للقيام بـ (الملك)، إذا لا يؤثر عدمهما علىٰ الأحداث والقرارات كثيراً.

وبالنسبة لنقصان الأعضاء كفقد الرجلين واليدين، فهذا علىٰ الصحيح الذي ذهب إليه معظم العلماء، أنّها مثل (العمىٰ) و(الصمم).

واختلف الفقهاء في قطع إحدىٰ اليدين أو الرجلين، والقاعدة في ذلك كله هي النظر إلىٰ المهام الملقاة علىٰ (الملك) في وقته، «فكل ما لا يؤثر عدمه في رأي ولا عمل من أعمال الإمامة، ولا يؤدي إلىٰ شين ظاهر في المنظر، فلا يضرّ فقده»[1].

ونحن نرىٰ أن قائداً مثل (طالوت) كان من أهمّ مهامه الجهاد في سبيل الله ودفع الطامعين واسترجاع الديار، وذلك بحاجة ماسة إلىٰ استكمال جميع الحواس والأعضاء، لأن النقص في التركيب البدني عامل يمنع صاحبه من مجاراة الأصحاء في المعارك، فيكون وبالاً علىٰ نفسه وعلىٰ أتباعه.

أما ضعيف البدن فلا يستطيع الجلاد ومجابهة الأعداء، فلا الشدائد يتحمل، ولاعلىٰ القيادة يقوىٰ، والمعارك تحتاج إلىٰ نوع معين من القيادات، يتميزون بقدرات بدنية عالية لا تتأثر بأهوال المعارك[2].

---

(١) الجويني، مرجع سابق، (٦١) بتصرف.

(٢) العقلا، عبد الله بن فريح، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م، **إعداد الجندي المسلم أهدافه وأسسه**، الرياض: مكتبة الرشد، ط١ (ص٤٨٣-٤٨٦) بتصرف.

وستظل الحروب دائمًا حتىٰ في عصرنا الحاضر وفي كل عصر تحتاج إلىٰ جهد بدني وصحة جسدية يستطيع (القائد) من خلالها القدرة علىٰ العمل والتنفيذ.

٣ـ ضخامة الجسم:

وقد استنبط بعض أهل التفسير من البسطة في الجسم دليلا علىٰ أن طالوت «كان رجلاً جسيمًا»[1]، والمقصود أن طول (طالوت) ليس مع نحافة، فذلك ضعف ظاهر، ولكنه طول في جسم ممتلئ متكامل النمو، وليس المقصود (السِّمن) فذلك معيب أيضا، وإنما هي قوّة العضلات الجسدية ومتانتها.

وهو ما عبّر عنه (الراغب الأصفهاني) بعد ذكره امتداد القامة، حيث قال: «أن يكون مقدوداً قوي العصب، طويل الأطراف، ممتدها، رحب الذراع، غير مثقل باللحم والشحم»[2].

وقد بيّن أهل التفسير السبب في ضخامة جسم طالوت، بأمور منها:

١/ أن ذلك من كمال قوّة الجسد، «إذ العادة أن من كان أعظم جسمًا، كان أكثر قوّة»[3].

---

(١) السمرقندي، مرجع سابق، (١/ ٢١٨).

(٢) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمّد بن المفضل، (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م)، **الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة**، تحقيق: أبو اليزيد العجمي، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر، ط١، (ص١١٤).

(٣) ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمّد، ١٤٠٤هـ، **زاد المسير في علم التفسير**، بيروت: المكتب الإسلامي، ط٣، (١/ ٢٥١).

٢/ «جسامة البدن ليكون أعظم خطراً في القلب، وأقوىٰ علىٰ كفاح الأعداء، ومكابدة الحروب»[١].

٣/ ضخامة الجسم تعطي لصاحبها هيبه خصوصـاً مع الطول، فذلك مما «يملأ العين جهارة، لأنه أعظم في النفوس، وأهيب في القلوب»[٢].

٤/ أن أعداءهم العمالقة كانوا ضخاماً ذوي بسطة في الأجسام، وكان قائدهم جالوت ضخماً جداً علىٰ ما جاء في الأخبار[٣]، ويكفي أنهم قد وصفوهم من أيام موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بقولهم ﴿إِنَّ فِيهَا قَوۡمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا﴾[المائدة:٢٢].

ولا شك أن هذا العنصر مكمل للعناصر الأخرىٰ البدنية، ويجب أن تؤخذ هذه العناصر كلها كوحدة واحدة بالنسبة للقائد.

وقد أشارت بعض الدراسات إلىٰ أهمّية هذا العنصر ودوره في التأثير علىٰ الآخرين، خصوصـاً في القيادات العسكرية، ولكنه لا يمكن أن يكون بدرجة أهمّية الجوانب العلمية والفكرية، ولكن هذا فقط من باب الأولىٰ والأجدر أن يحرص عليه[٤]؛ بل يكاد أن لا يكون هناك نسبة

---

(١) الألوسي، مرجع سابق، (٢/ ١٦٧)، وكذلك: البيضاوي، ناصرالدين أبوسعيد عبد الله بن عمر بن محمّد الشيرازي، **تفسير البيضاوي**، د.ط، (بيروت: دار الفكر)، (١/ ٥٤٣).

(٢) الزمخشري، مرجع سابق، (١/ ٢٨٨).

(٣) الألوسي، مرجع سابق، (٢/ ١٦٧).

(٤) أبو الفضل، عبد الشافعي محمّد، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، **القيادة الإدارية في الإسلام**، القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، (ص٣١٠).

مقارنة بين الفضائل الكبرىٰ وبين ضخامة الجسم[١].

ومن الشائع جداً عن (اليهودي) أنه قصير القامة، وهذا صحيح علمياً إلىٰ حد كبير في الجنس اليهودي القديم، فالدراسات المترية تظهره في أغلب الحالات في كل الدنيا أقصر من غير اليهود بضع بوصات تزيد أو تقل بحسب طول القامة السائد حوله[٢].

ولما اختار الله (طالوت) من بين اليهود القصار القامة كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أطولهم، إن لم يكن أطولهم جميعـًا حتىٰ قال وهب بن منبّه: (واجتمع بنو إسرائيل فكان طالوت فوقهم من منكبه فصاعداً).

وقال السدّي: (أتىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعصا تكون مقداراً علىٰ طول الرجل الذي يبعث فيهم ملكـًا، فقال إن صاحبكم يكون طوله طول هذه العصا، فقاسوا أنفسهم بها، فلم يكونوا مثلها، فقاسوا طالوت بها فكان مثلها)[٣]، وقد «قيل: أن الرجل القائم كان يمدّ يده حتىٰ ينال رأسه»[٤].

وقد جاء أيضـًا في سفر (صموئيل) أنه (من أكثر شباب بني اسرائيل

(١) الألوسي، مرجع سابق، (٢/ ١٦٧).

(٢) حمدان، جمال، **اليهود انثروبولوجيا**، (القاهرة: كتاب الهلال، سلسلة شهرية تصدر عن دار الهلال، العدد (٥٤٢)، (فبراير١٩٩٦م)، (ص ١٢٨)بتصرف.

(٣) الطبري، **جامع البيان**، مرجع سابق، (٥/ ٣١٣)؛ وكذلك: البغوي، مرجع سابق، (١/ ٢٩٨)؛ المظهري، مرجع سابق، (١/ ٣٤٨).

(٤) الألوسي، مرجع سابق، (٢/ ١٦٧)، وكذلك: المظهري، محمّد ثناء الله العثماني، (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م)، **التفسير المظهري**، تحقيق: غلام نبي تونسي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (١/ ٣٤٨).

وسامة وأكثرهم طولاً، لم يزد طول قامة أحد من الشعب عن ارتفاع كتفه)[1].

وهذا ما جعل بعض المفسّرين يميلون إلىٰ أن اشتقاق اسمه (طالوت) كان بسبب طوله، وأنه كان يفوق الناس برأسه ومنكبه[2].

ومع أن الصحيح في اشتقاق الكلمة أنه ليس مشتقاً من (الطول)، إذ لو كان مشتقاً من (الطول) لكان ينبغي أن ينصرف، لأنه ليس فيه إلا العلَمية[3]، وهو كما نرىٰ ممنوع من الصرف.

إلا أن هناك أدلة أخرىٰ تدل فعلاً علىٰ (طول) قامة طالوت، ومن ذلك:

١/ ما ذكرناه من الروايات الإسرائيلية عن وهب بن منبّه والسدي وكذلك ما ورد في (العهد القديم).

٢/ أنه وإن لم يكن له اشتقاق ومعنىٰ في اللغة العربية، إلا أن ذلك قد يكون معروفاً في اللغة العبرية القديمة وقد زعم **الفيروزآبادي** أن معنىٰ طالوت في اللغة العبرية: طويل[4].

٣/ أن الطاغية **جالوت**، والذي هو (جُليات)، من معانيه (السمين)

---

(١) **سفر صموئيل الأول**، إصحاح ٩، (مقطع ٢).

(٢) الرازي، مرجع سابق، (٦/ ١٨٩).

(٣) السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، د.ت، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، تحقيق: أحمد الخراط، دمشق: دار القلم، (٢/ ٥١٩).

(٤) الفيروزآبادي، مصدر سابق، (٦/ ٨٢).

باللغة العبرية[1]، وفي ذلك تناظر عجيب، فالطويل (طالوت) مقابل السمين (جالوت)، والطويل دائمـًا ما يكون عند الناس محموداً ومرغوبا، وهو رمز للعز والشموخ، ويزرع الهيبة والعظمة في النفوس، وكثيراً ما تمدّحت العرب بذلك، وقالوا في المدح: طويل النجاد رفيع العماد[2]، بينما السّمين مذموم عند الناس ومعيب.

٤/ أن ذلك من معاني **البسطة** في الجسم، والبسطة تعني الانتشار والامتداد وامتداد الجسم يعني طوله، كما هو معلوم.

وقد أشارت بعض الدراسات الحديثة إلىٰ أن صفة **الطول** في القيادة، هي من الأمور المساعدة للقائد في احترام الأتباع له[3].

كل ذلك يجعلنا نؤكد أن طالوت كان يمتاز بهذه الصفه التي يحتاجها خصوصـًا في قيادة الحروب، فالطول في المعارك له فوائد منها:

١/ غرس الهيبة في نفوس الأعداء والمناوئين.

٢/ يساعد الطول في السرعة وفي الكر والفر.

٣/ امتداد اليد في حمله للسلاح للوصول إلىٰ جسد المعادي.

٤/ المراقبة الجيدة لما يدور في المعركة، وذلك لارتفاعه عن الجنود.

---

(١) **قاموس أعلام الكتاب المقدس**، (القاهرة: دار الكتاب المقدس، مطبعة كنيسة الإخوة، ٢٠٠٦م)، (ص٦٩).

(٢) أبو حيان، مرجع سابق، (٢/ ٢٦٧).

(٣) أبو الفضل، مرجع سابق، (ص٣٠٩-٣١٠).

٥/ يمثّل ذلك رمزية للجنود في الميدان للالتفاف من حوله وقت الفزع.

٤ـ الشخصيّة الآسرة:

وحينما أتحدث عن (الشخصيّة الآسرة) كصفة هامّة من صفات (القائد)، فإنني أعني بالدرجة الأولىٰ تلك الشخصيّة التىٰ تأسر قلوب الآخرين بحبّها والثقة فيها، إنّها الشخصيّة الجذابة، وهي التي تدعىٰ بالمصطلح الغربي (كاريزما charisma)[1].

وهو وصف يطلق علىٰ الجاذبية الكبيرة التي يتمتع بها بعض الأشخاص، والقدرة علىٰ التأثير علىٰ الآخرين إيجابيًا، بالارتباط بهم عاطفيًا وثقافيًا، وتمتاز بالقدرة علىٰ إقناع الآخرين عند الاتصال بهم، وجذب انتباههم بشكل أكثر من المعتاد.

و(طالوت) كان يمتلك تلك الشخصيّة الآسرة المؤثرة، واستطاع بشخصيته أن يصنع للآخرين قدرات وروحًا عالية، حتىٰ خرج أولئك (الذين يقولون أنهم ملاقو ربهم)، وصنَع شخصيّة داود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

وكثيراً ما تتراكم بعض الصفات والأعمال التي تجعل بعض القادة في قمّة (الكاريزما) أمام شعوبهم، خصوصـاً إذا اعتبرته الأمّة موحّداً للدولة في اتجاه هدف عظيم، وعلىٰ أنه يقودها نحو النصر العسكري ضد الأعداء

(١) تركت العنونة بـ(الكاريزما)، لأن أصل هذه الكلمة اليوناني استخدم في قدرات الروح القدس وتأثيره علىٰ الآخرين انظر: (**ويكيبيديا**، الموسوعة الحرة علىٰ الانترنت، مادة: كاريزما).

الخطرين[1]، وهذا هو حال الملك (طالوت).

ومن خلال الآيات نستطيع أن نستخرج بعض هذه الصفات التي كشفت عن ملامح شخصيّة الملك (طالوت)، وقد عبّر عنها بعض المفسرين في معنىٰ البسطة في الجسم بأنها: كثرة معاني الخير[2].

ولكننا هنا نقف مع بعض ما أثبتته الآيات، مما لم نذكره سابقًا، إذ كل ما ذكرناه من الصفات وما سيأتي، جزء لا يتجزأ من صناعة شخصيّة طالوت الآسرة، ومن ذلك:

أ: الجمال والحُسن:

مع أن (الجمال) ليس من الصفات الكبيرة المؤهلة للقيادة والملك، لأن «مصلحة الرعية في السلطان ليست في ذاته وجسمه، أو من حسن شكله، أو ملاحة وجهه... وإنما مصلحتهم فيه من حيث إضافته إليهم... فحقيقة السلطان أنه المالك للرعية القائم في أمورهم عليهم»[3]، مع ذلك فقد كان بنو إسرائيل يعطون صفة (الجمال) والملاحة أوّلويّة في اختيار رؤسائهم، وهو أمر يختلف من ثقافة مجتمع إلىٰ آخر، ولكن في الجملة يبقىٰ الجمال له تأثير في النفس البشريّة، ويبقىٰ أحد الصفات المهمة للشخصيّة الآسرة، وقد كان محمّد ﷺ من أجمل العرب، وكان لذلك دور في تأثيره علىٰ الآخرين مع بقيّة صفاته ﷺ العظيمة.

---

(١) سايمنتن، دين كيث: **العبقرية والإبداع والقيادة**، ترجمة: شاكر عبد الحميد، (الكويت: سلسلة عالم المعرفة، رقم ١٧٦، المجلس الوطني للثقافة)، (ص١٨٣).

(٢) القرطبي، مرجع سابق، (٣/ ٢٤٦)؛ أبو حيان، مرجع سابق، (٢/ ٢٦٦).

(٣) ابن خلدون، مرجع سابق، (١/ ٢٣٦).

وقد روي عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قوله: (كان طالوت يومئذٍ أعلم رجل في بني إسرائيل وأجمله وأتمّه)[١]، ونفهم من ذلك أن (طالوت) لم يكن فقط جميلاً مثل الآخرين الذين حباهم الله الجمال، وإنما «كان طالوت أجمل رجل في بني إسرائيل»[٢]، وقد قال ابن كثير: «والظاهر من السياق أنه كان أجملهم»[٣]، وهذا أيضاً ما ورد في (العهد القديم) من أن طالوت (كان من أكثر شبّان بني إسرائيل وسامة)[٤]، وكذلك كان (داود) عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من بعده في غاية الجمال.

ولا شك أن الجمال الطبيعي يبعث الارتياح في نفوس الأتباع ويزرع الطمأنينة، وبعكس ذلك القائد (القبيح) المنظر الذي تفزع من رؤيته النفوس.

كما أن من كمال الجمال والحسن الاهتمام بالنظافة البدنية، والاهتمام باللباس والمظهر الحسن بدون إفراط ولا تفريط، «ولا نعني بالجمال ههنا ما يتعلق به شهوات الرجال والنساء، فذلك أنوثية، وإنما نعني به الهيئة التي لا تنبو الطباع عن النظر إليها، وهو أدل شيء علىٰ فضيلة النفس؛ لأن نورها إذا أشرق تأدّىٰ إلىٰ البدن إشراقها، وكل شخص له حكمان، أحدهما: من قبل جسمه وهو منظره، والآخر من قبل نفسه

---

(١) القرطبي، مرجع سابق، (٣/ ٢٤٦).

(٢) البغوي، مرجع سابق، (١/ ٢٩٨)؛ وكذلك: الرازي، مرجع سابق، (٦/ ١٨٩)؛ المظهري، مرجع سابق، (١/ ٣٤٨).

(٣) ابن كثير، **البداية والنهاية**، مرجع سابق، (٢/ ٨-٩).

(٤) **سفر صموئيل الأول**، إصحاح ٩، مقطع ٢.

وهو مخبره، فكثيراً ما يتلازمان؛ ولذلك فزع أصحاب الفراسة في معرفة أحوال النفس أوّلاً إلىٰ الهيئات البدنية، حتىٰ قال بعض الحكماء: قلّ صورة حسنة يتبعها نفس رديئة»[1].

ب: الهيبة:

الهيبة والمهابة تعني: التقدير والإجلال والمخافة، والقائد المهاب هو الذي يلقىٰ الاحترام والإجلال والتقدير من كافة الناس، والقائد لا يهابه أتباعه جزافًا، وإنما هي نتيجة سلوك القائد وتصرفاته وقراراته ومواقفه.

وربما ظن بعض الناس أن المهابة تأتي بالترفّع عن الناس والتباعد عنهم، وبأن يجعل بينه وبين مرؤوسيه مسافة، ونحو ذلك مما هو في حقيقته كِبر وغطرسة، وليس ذلك كذلك، ويفرّق (ابن القيم) بين المهابة والتكبّر بقوله: «المهابة أثر من آثار امتلاء القلب بعظمة الله ومحبته، فإذا امتلأ القلب بذلك حلّ فيه النور، ونزلت عليه السكينه، وألبس رداء الهيبة، فاكتسىٰ وجهه الحلاوة والمهابة فأخذ بمجامع القلوب محبة ومهابة، فحنّت إليه الأفئدة وقرّت به العيون، وأنست به القلوب، فكلامه نور، ومدخله نور، وعمله نور، وإن سكت علاه الوقار، وإن تكلم أخذ بالقلوب والأسماع.

وأما الكبر فهو أثر من آثار العجب والبغي من قلب قد امتلأ بالجهل والظلم، ترحلت منه العبودية ونزل عليه المقت فنظره إلىٰ الناس

(١) الراغب الأصفهاني، **الذريعة**، مرجع سابق، (ص١١٤).

شزر، ومشيه بينهم تبختر، ومعاملته لهم معاملة الاستئثار لا الإيثار ولا الإنصاف، ... ولا يرىٰ لأحدٍ عليه حقا ويرىٰ حقوقه علىٰ الناس، ولا يرىٰ فضلهم عليه، ويرىٰ فضله، لا يزداد من الله إلا بعداً، ومن الناس إلا صغاراً أو بغضًا»[1].

وقد كانت الهيبة من صفات (طالوت) الملازمة له، كما أشار بعض المفسرين عند تفسير البسطة في الجسم[2]، والمهابة الحقيقية التي اكتسبها (طالوت) لم تكن مظهراً من مظاهر الخداع، الذي سرعان ما يتهاوىٰ ويسقط القناع، بل كانت مهابة حقيقية، بسبب سلوكه بين أتباعه بالعدل، والقرارات الجريئة، وأخذه علىٰ يد المسيء ورفع المحسن ومطابقة قوله فعله، وترفعه عن الدنيا وصغار الأمور، وعدم تبذله في الخطاب، كل هذه الأمور وغيرها مما ذكرناه وسنذكره هي التي أكسبت (طالوت) المهابة، ويكفيه فخراً أن الله اصطفاه علىٰ بني إسرائيل ليكون ملكًا قائداً.

إن علىٰ القائد أن يضع نفسه دائمًا في الموضع اللائق بمكانته وقيادته، ولا يتبذل وينزل لسفاسف الأمور، وإلا انفرط منه عقد جماعته، وضاعت هيبته في نفوس الأفراد، ولذلك كان من الحفاظ علىٰ هيبة طالوت، أنه لم يتولّ الرد علىٰ أولئك المخذّلين الذين قالوا: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ...﴾ [البقرة: ٢٤٩]، وإنما جعل الناصحين يقومون بالرد عليهم، وهو لم يدخل معهم في جدال عقيم، ولا اتخذ معهم وسيلة التهديد

---

(١) ابن القيم، محمّد بن أبي بكر الزرعي، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م، **الروح**، بيروت: دار الكتب العلمية، (ص ٢٣٦).

(٢) أبوحيان، مرجع سابق، (٢/ ٢٦٧)؛ الزمخشري، مرجع سابق، (١/ ٢٨٨).

والوعيد لكل متخاذل أو متهاون في تقديم آيات الطاعة والولاء.

إنه سمو من القائد وتوازن في تصرفاته، تجعل أفراده يجلّونه ويخافون قدره، وفي ذات الوقت يحبّونه ويعلون شأنه.

ومن هنا كانت (الهيبة) صفة أساسية للقائد الناجح، إذ لا بد للقائد من هيبة تحفظ مكانته في المجتمع، وتكون وسيلة لتنفيذ قراراته وتلقيها بالقبول.

ثانيا: الأسباب الإلهية لتمكين طالوت:

وهي أسباب خارجة عن نطاق القدرات البشريّة، وداخلة في سنن الله الكونية التي تحكم العالم، وتمضي به إلىٰ حيث أراد الله، وقد صنفتها الآية في ثلاثة أسباب:

الأول: الاصطفاء علىٰ بني إسرائيل:

وهذا ينطوي علىٰ (الاستعداد الفطري) أيضا، و(الاصطفاء) بالمعنىٰ العام هو الاختيار، وقد ساق (الطبري) بسنده إلىٰ ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: (اصطفاه عليكم): اختاره، وبمثل ذلك قال الضحّاك وابن زيد[١].

و(الاصطفاء) الافتعال من (الصفوة)، صيرت تاؤها طاء لقرب مخرجها من مخرج الصاد[٢].

---

(١) الطبري، **جامع البيان**، مرجع سابق، (٥/ ٣١٢).

(٢) المرجع السابق، (٣/ ٩١).

وبهذا يكون معنىٰ الآية أن النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول لهم بكل وضوح: (لست أنا الذي عيّنته من تلقاء نفسي، بل الله أمرني به لما طلبتم مني ذلك)[1].

وهذا الأمر الذي قدّمه النبي علىٰ كل الأسباب هو في حقيقته (مِلاك الأمر)[2]، وهو أيضـًا ليس من اختيار النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ، بل هو من اختيار الله، «واختيار الله هو الحجة القاطعة»[3].

ولا بدّ أن نشير هنا إلىٰ معنىٰ هام، وذلك أن الله لم يقل: اصطفاه لكم، وإنما قال: ﴿اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة:٢٤٧] وفيه زيادة معنىٰ أن الله فضّله واختاره عليكم بما أودع فيه من الاستعداد الفطري للملك[4].

ولا بد أن لا ينظر هنا إلىٰ كلمة (الاصطفاء) مجّردة عما بعدها، فإنّها تأتي في اللغة علىٰ أربعة أقسام، حيث يختلف معناها في كل قسم من هذه الأقسام، فأحيانـًا تستعمل دون حرف، وأخرىٰ مع (من - علىٰ - اللام).

والذي يهمّنا هنا أنّها إذا استعملت مع (علىٰ) فإنّها لا تفيد فقط مجرد الانتخاب، وإنما ترجيح المنتخَب بما يمتاز به علىٰ المجموع من كمال الاستعداد والتهيئة النفسية والفطريّة.

---

(١) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي،١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الرياض: دار طيبة، ط٢، (١/ ٦٦٦).

(٢) الألوسي، مرجع سابق، (٢/ ١٦٧).

(٣) الشوكاني، مرجع سابق، (١/ ٢٩١).

(٤) محمّد رشيد رضا، مرجع سابق، (٢/ ٤٧٧).

ويبدو أن بني إسرائيل لم يفهموا بشكل جيد معنىٰ (اصطفاء الله) لطالوت عليهم، فأراد النبي أن يبيّن لهم حقيقة أمر غاب عن أذهانهم، وربّما ذهلوا عنه في مجادلتهم، فنبههم نبيّهم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، وكأنه يقول: (لا تستنكروا يا معشر الملأ من بني إسرائيل أن يبعث الله طالوت ملكًا عليكم، وإن لم يكن من أهل بيت المملكة، فإن الملك ليس بميراث عن الآباء والأسلاف، ولكنه بيد الله يعطيه من يشاء من خلقه، فلا تتخيّروا علىٰ الله)[١].

إنّ الحكم المطلق لله، فهو سبحانه ما شاء فعل ولا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، ولا يقضي بشئ إلا بمقتضىٰ حكمته ورأفته بخلقه[٢]؛ فإذا كان الله هو (المالك) فله أن يمكن من شاء من التصرف في ملكه بإذنه[٣].

وإن شأن بني إسرائيل لغريب في قولهم ادعاء الأحقيّة في الملك حتىٰ كأن الملك هو في ملكهم، ولذلك أضاف الله (الملك) إليه، فالملك مآله إلىٰ الله وليس لليهود حق فيه[٤]؛ «وتقريره أن الملك لله والعبيد لله فهو سبحانه يؤتي ملكه من يشاء فلا اعتراض لأحد عليه في فعله، لأن المالك إذا تصرف في ملكه فلا اعتراض لأحد عليه في فعله»[٥]، كما أنه لا يجوز

(١) الطبري، **جامع البيان**، مرجع سابق، (٥/ ٣١٤) بتصرف.

(٢) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، مرجع سابق، (١/ ٦٦٦) بتصرف.

(٣) الألوسي، مرجع سابق، (٢/ ١٦٧) بتصرف.

(٤) أبو حيان، مرجع سابق، (٢/ ٢٦٧) بتصرف.

(٥) الرازي، مرجع سابق، (٦/ ١٨٩).

الاستبعاد بعدما قضىٰ الله ونبيه، فإنه تعالىٰ أعلم بالمصالح منكم[1].

الثاني: سعة فضل الله:

فـ(واسع) في حقيقتها بمعنىٰ (موسِّع)، فهو يوسع علىٰ من يشاء من نعمه، وهو واسع الفضل والرزق والرحمة، وكأن الله يقول لبني إسرائيل: أنتم طعنتم في (طالوت) بكونه فقيراً، والله سبحانه هو الواسع، فإذا كان الملْك لا يتمشىٰ إلا بالمال، فالله تعالىٰ يفتح عليه باب الرزق والسعة في المال[2]، فكيف نظن أن قضية (المال) تشكل عائقاً لانتخاب ملك يحكم بشرع الله، والله في لحظة من اللحظات «يوسّع علىٰ الفقير فيغنيه»[3].

الثالث: علم الله بمن هو أهل لذلك:

وهذا من كمال علم الله الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة، فهو سبحانه «عليم بمن هو أهل لملكه الذي يؤتيه، وفضله الذي يعطيه، فيعطيه ذلك لعلمه به، وبأنه لما أعطاه أهل: إما للإصلاح به، وإما لأن ينتفع هو به»[4].

---

(١) المظهري، محمّد ثناء الله العثماني، **التفسير المظهري**، تحقيق: غلام نبي تونسي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)، (ص ٣٤٨) بتصرف.

(٢) الرازي، مرجع سابق، (٦/ ١٨٩)، وكذلك: الخازن، علاء الدين علي بن محمّد الشيحي، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، تحقيق: محمّد علي شاهين، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ)، (١/ ١٨٠) بتصرف.

(٣) الألوسي، مرجع سابق، (٢/ ١٦٧).

(٤) الطبري، **جامع البيان**، مرجع سابق، (٥/ ٣١٥).

وهو سبحانه أيضًا «عالم بمقادير ما يحتاج إليه في تدبير الملك، وعالم بحال ذلك الملك في الحاضر والمستقبل، فيختار لعلمه بجميع العواقب ما هو مصلحته في قيامه بأمر الملك»[1].

وبذلك تنقطع الأفهام السقيمة وتتذلّل لمن أحاط بكل شيء علمًا، فما اختاره سبحانه فهو المختار، وليس لأحد معه خيرة، يفعل ما لا تدركه العقول، ولا تحتمل وصفه الألباب والفهوم[2].

(١) الرازي، مرجع سابق، (٦/ ١٨٩)، وانظر: الخازن، مرجع سابق، (١/ ١٨٠).

(٢) البقاعي، مرجع سابق، (٣/ ٤١٩) بتصرف.

المبحث الثاني



المطلب الأول: المؤهلات العلمية والفكرية:

من أهم ما يمكّن الله به الملك السعة في العلم وهذا ما أشارت إليه الآية بالنسبة لطالوت، فقد مكن الله له أيضا من جهة العلم، فقد زاده الله ﴿بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾[البقرة:٢٤٧]، قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: (كان طالوت يومئذٍ أعلم رجل في بني إسرائيل)[١].

وهذه البسطة في العلم التي حظي بها (طالوت)، ليست خاصة بعلم من العلوم، بل هو علم مطلق[٢]؛ فإن القرآن عندما أشار إلىٰ أنه أوتي (بسطة)، قد أشعرنا ذلك بأنه لم يختص بعلم واحد دون سائر العلوم، بل ينطبق ذلك علىٰ العلم الديني والدنيوي، إذ إن مهمة الملك كما هو معلوم «حراسة الدين وسياسة الدنيا»[٣]، فحراسة الدين لا يمكن أن تأتي إلا بوجود حدّ أدنىٰ من الورع والتقوىٰ وكذلك نصيب وافر من العلم الشرعي، وسياسة الدنيا لا تأتي إلا بوجود الخبرة الميدانية والثقافة

---

(١) القرطبي، مرجع سابق،(٣/ ٢٤٦)، وكذلك: البغوي، مرجع سابق، (١/ ٢٩٨).

(٢) ابن كثير، **البداية والنهاية**، مرجع سابق، (٢/ ٧).

(٣) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمّد بن حبيب، **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، ط١، (الكويت: دار ابن قتيبة، (١٤٠٩هـ-١٩٨٩م)، (١/ ٣).

العسكرية والحربية، وهو ما سيمرّ علينا تفصيله.

ولا حاجة لنا إلىٰ التذكير بأهمّية العلم بالنسبة للملك، وقد قال **الطرطوشي**: « اعلم - أرشدك الله - أن أكثر الناس حاجة إلىٰ العلم والتفقه أكثرهم عيالاً وأتباعـاً وخدمـاً وأصحابـاً، والخلق مستمدون من السلطان ماله من الخلائق السنية، والطرائق العلية، مفتقرون إليه في الأحكام، وقطع التشاجر، وفصل الخصام، فهو أحوج خلق الله إلىٰ معرفة العلوم، وجمع الحكم.

وشخص بلا علم كبلد بلا أهل، وكشجر بلا نبات، وأفضل ما في السلطان خصوصـاً، وفي الناس عمومـاً، محبّة العلم والتحلّي به، والشوق إلىٰ استماعه والتعظيم لحملته، فإن ذلك للعالم العلوي، وهو من أوكد ما يتحبّب به إلىٰ الرعية، وإذا كان الملك خاليـاً من العلوم ركب هواه، وأضرّ برعيته »[1].

ولأهمّية (العلم) للملك قدّمه الله في الآية علىٰ (الجسم)، و«الفضائل النفسانية أعلىٰ وأشرف من الفضائل الجسمانية» [2].

---

(١) الطرطوشي، أبو بكر محمّد بن الوليد الفهري، **سراج الملوك**، تحقيق: محمّد فتحي أبو بكر، ط١، (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م)، (ص ٢٦٣).

(٢) الألوسي، مرجع سابق، (١/ ١٦٧)؛ وانظر: البقاعي، مرجع سابق، (٣/ ٤١٨)، الرازي، مرجع سابق، (٦/ ١٨٩).

ومن أهم المؤهلات القيادية العلمية والفكرية المؤهلات الآتية:

١ـ العلم بالدين والمعرفة بالأحكام الشرعيّة:

فللعلم دوره في الخلافة البشريّة في الأرض، وفي تثبيت دعائم الملك، ولذلك فضّل الله به آدم علىٰ الملائكة: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾[البقرة: ٣١].

والعجيب في سورة البقرة أن لفظة (العلم) تكرّرت فيها أكثر من ستين مرّة بألفاظ ودلالات متقاربة وصيغ متشابهة، وفي قصّة طالوت هذه نجد أن (العلم) لم يكن مما اختصّ به (طالوت) بل كان أيضاً مما أعطاه الله داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ليتولّىٰ الخلافة في الأرض من بعد (طالوت)، كما قال تعالىٰ: ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ﴾ [البقرة:٢٥١]، وقد بينت الآيات قبل بدء القصّة أن العلم بالله وصفاته مما يعين علىٰ أداء تكاليف الخلافة: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة:٢٤٤][1].

ولذلك فإن «السلطان أحوج الخلق إلىٰ العلم لسببين:

أحدهما: أن افتقاره إليه في أحكام تحوجه إلىٰ المعرفة بها ليكون علىٰ بصيرة في تنفيذ الفصل فيها، وإلزام الوقوف عند حدودها.

الثاني: أن تحليته بالعلم من أعظم ما يتحبّب به إلىٰ الرعية، لما رسخ في النفس علىٰ الجملة من فصيلة العلم، ومحبة من انتسب إليه »[2].

---

(١) مصطفىٰ مسلم وآخرون، **التفسير الموضوعي**، مرجع سابق، (١/ ٣٥٦).

(٢) ابن الأزرق، مرجع سابق، (ص ٤٢٦).

وإن العلم هو أداة الإنسان ووسيلته لتحقيق أهدافه وغاياته بكفاءة وفعالية، فهو يتيح للإنسان الوقوف علىٰ حقائق الأشياء، وتجنّب الانزلاق إلىٰ متاهات الجهل، وإذا كان الإنسان العادي يحتاج إليه في نطاق أسرته وعمله، فكيف بالقائد و(الملك) المسؤول عن توجيه غيره من أفراد الأمّة.

قال (الشيزري): «ولا محالة أن الملك إذا كان خالياً من العلم ركب هواه، وتخبّط ما يليه، إذ لا تحجبه فكرة سليمة، ولا تمنعه حجّة صحيحة، ويكون كالفيل الهائج في البلد القفر، لا يمرّ بشيء إلا تخبطه، وإذا كان الملك عالمـاً، كان له من علمه وازع يقمع هواه، ويميل به إلىٰ سنن الحق»[١].

ولا شك أن علم الأحكام الشرعية وفهمها من أولىٰ الأمور التي ينبغي للقائد الإلمام بها، بل قد اشترط جمهور الفقهاء أن يكون مجتهداً[٢]، ولذلك فسّر (أبو حيّان) قوله سبحانه: ﴿بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [البقرة:٢٤٧] بقوله: «والظاهر علم الديانات والشرائع»[٣]، وقال (المظهري): «والظاهر أن المراد بالعلم علم الشرائع، فإن به يصلح أمور الدين والدنيا»[٤].

ولكن علم (طالوت) الشرعي لا يثبت لنا أنه كان قارئـًا أو كاتبـًا،

---

(١) الشيزري، مرجع سابق، (ص ١٧٨).

(٢) الجويني، مرجع سابق، (ص٦٥)، وقال تأكيداً: «ولم يؤثر في اشتراط ذلك خلاف».

(٣) أبوحيان، مرجع سابق، (٢/ ٢٦٦).

(٤) المظهري، مرجع سابق، (ص ٣٤٨).

فلربمّا كان أمّيـًا، وأنه يكون قد تلقّىٰ كثيراً من معارفه عن طريق العلماء بالسماع، فليست العبرة أنه كان قارئـًا أو كاتبـًا، وإنما العبرة بقدرته علىٰ تحصيل العلم النافع المفيد، بصرف النظر عما إذا كان هذا التحصيل وسيلة بقراءة المسطور أم بقراءة المنظور، أم أي وسيلة أخرىٰ من وسائل تحصيل العلم.

ومع أن (الكتابة) في العصر الحاضر من أهمّ وسائل اكتساب العلم، إلا أنه مهما تعاظم شأنها تبقىٰ وسيلة من وسائل اكتساب العلم، قد تغني عنها وسائل أخرىٰ، وقد كان محمّد صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أميـًا ولم يكن ذلك يعيبه، ما دام أنه قد بلغ الغاية في العلم بغيره، قادر علىٰ تفهّم وتدبر الأحداث من حوله، يعرف حقيقة مجتمعه وواقعه.

فالعلم المطلوب باختصار هو: «العلم الذي به تحصل المكنة في التدبير والنفاذ في كل أمر»[1].

ولربما تعجب بنو إسرائيل من ذكر نبيّهم لصفة (العلم)، مع أنهم يريدون الجهاد في سبيل الله، وغفلوا عن حقيقة مهمة وهي أن (طلب العلم) هو نوع من أنواع الجهاد، ولا قوام للدين إلا بالعلم، «ولهذا كان الجهاد نوعين: جهاد باليد والسنان، وهذا المشارك فيه كثير، والثاني: الجهاد بالحجة والبيان، وهذا جهاد الخاصة من أتباع الرسل، وهو جهاد الأئمة، وهو أفضل الجهادين لعظم منفعته، وشدة مؤنته، وكثرة أعدائه، قال تعالىٰ في سورة الفرقان وهي مكية: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ

(١) البقاعي، مرجع سابق، (٣/ ٤١٨).

قَرۡيَةٖ نَّذِيرٗا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾
[الفرقان:٥١-٥٢]، فهذا جهاد لهم بالقرآن وهو أكبر الجهادين»[(١)].

٢ـ الحكمة والرأي السديد:

والحكمة التي يهبها الله لمن شاء من عباده هي رأس العلوم والمعارف وخلاصتها، «ونسبة العلوم إلىٰ الحكمة من وجه:كنسبة الأعضاء إلىٰ البدن في كونها أبعاضاً لها، ومن وجه: كنسبة المرؤوسين إلىٰ الرئيس في كونها مستولية عليها، ومن وجه: كنسبة الأولاد إلىٰ الأم في كونها مولّدة لها، وهي في معارف الشرع: اسم للعلوم العقلية المدركة بالعقل، وقد أفرد ذكرها في عامّة القرآن عن الكتاب، فجعل الكتاب اسماً لما لا يدرك إلا من جهة النبوات، والحكمة لما يدرك من جهة العقل، وجُعلا منزّلين وإن كان إنزالهما من الله تعالىٰ.

ولايبلغ الحكمة إلا أحد رجلين: إما مهذّب في فهمه، موفّق في فعله، ساعده معلّم ناصح، وكفاية، وعمْر، وإما إلهي يصطفيه الله فيفتح عليه أبواب الحكمة بفيض إلهي، ويلقي إليه مقاليد جوده، فيبلغه ذروة السعادة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم »[(٢)].

وقد حصل لـ (طالوت) كلا الأمرين في بلوغ الحكمة، فقد اصطفاه ربّه بذلك، وهيأ له معلماً نبياً يرشده ويهديه.

---

(١) ابن قيم الجوزية، محمّد بن أبي بكر، (١٤١٩هـ-١٩٩٨م)، **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، بيروت: دار الكتب العلمية، (ص٧٠).

(٢) الراغب الأصفهاني، **الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة**، مرجع سابق، (ص١٤٢).

والحكمة من المعاني الجامعة التي يندرج تحتها أمور منها: (سداد الرأي)، والقائد الحكيم هو صاحب الرأي المسدّد الذي يتخذ القرار المناسب في الوقت المناسب، كما أن المفاجآت الطارئة يجب أن لا تخرج القائد عن طبيعته، فلا ينغلق عنده التفكير من هول المفاجأة، بل يواجه ذلك الموقف بالتصرف الحكيم السريع؛ لأن التصرف العشوائي قد يؤدي به إلىٰ الهزيمة[1].

وهذا ما تميّز به (طالوت) حينما رأىٰ أمام ناظريه تلك الأعداد الغفيرة من المنسحبين من جيشه، فحافظ علىٰ توازنه ورباطة جأشه واتخذ القرار الحكيم في ذلك الموقف.

إن سداد الرأي يولد الثقة لدىٰ الجند بالقائد، ويزيد من ثقة الجيش بنفسه، ويثق الجند بقرارت قائدهم، حتىٰ ولو لم يرجع طالوت إلىٰ من هو أعلىٰ منه وهو (النبي) عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

لأن القائد المسدّد هو الذي يمتلك مهارة «توقّد الرأي في عظائم الأمور، والنظر في مغبّات العواقب، وهذه الصفة ينتجها نحيزة العقل[2]، ويهذّبها التدريب في طرق التجارب، والغرض الأعظم من الإمامة جمع شتات الرأي، واستتباع رجل أصناف الخَلْق علىٰ تفاوت إرادتهم، واختلاف أخلاقهم ومآربهم وحالاتهم، فإن معظم الخبال والاختلال

(١) العقلا، مرجع سابق، (ص٦٠٢).

(٢) نحيزة العقل: المراد حث العقل علىٰ النظر والتفكير. انظر: الزبيدي، محمّدبن محمّد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بمرتضىٰ، د.ت، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: مجموعة من المحققين، طبعة دار الهداية (١٥/ ٣٤٥).

يتطرق إلىٰ الأحوال من اختلاف الآراء، فإذا لم يكن الناس مجموعين علىٰ رأي واحد لم ينتظم تدبير، ولم يستتب من إيالة الملك قليل ولا كثير، ولَاصْطُلِمَت[1]، واستؤصلت البيضة»[2].

ولما لهذا الأمر من الأهمّية فإن (النبي) عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أخبرهم أن الصفات المحتاج إليها في سياسة أمر الأمّة ترجع إلىٰ أصالة الرأي، لأنه بالرأي السديد يهتدي لمصالح الأمّة، لا سيما في وقت المضائق، وعند تعذّر الاستشارة، أو عند اختلاف أهل الشورىٰ[3].

٣ـ العقل:

ليس المقصود بالعقل هنا هو ما يضاد الجنون، والذي يكون في التكاليف الشرعية المتعلّقة بآحاد الناس، ولكن المقصود هنا «ما يزيد علىٰ ذلك القدر الغريزي وهو المكتسب منه بكثرة التجربة وطول المباشرة بتقلّب الأيام وتصرف الحوادث، فقد قيل: كفىٰ بالتجارب مؤدّبًا، وبانقلاب الدهر عظة، وقيل: التجربة مرآة العقل، والغرة ثمرة الجهل»[4].

فإذن تعريف العقل المراد هنا: عبارة عما يستفاد من التجارب بمجاري الأحوال، ومن نتائجه: الفكرة السليمة، والنظر الثاقب في حقائق الأمور، ومصالح التدبير.

وقد سئل بعض الحكماء عن **العقل** فقال: الإصابة بالنظر، ومعرفة

(١) أي: أبيدت وهلكت. انظر: الزبيدي، **تاج العروس**، مرجع سابق،(٤/ ٣٥١).

(٢) الجويني، مرجع سابق، (ص ٦٨).

(٣) ابن عاشور، مرجع سابق، (٢/ ٤٩١).

(٤) ابن الأزرق، مرجع سابق، (ص ٤٢١).

مالم يكن بما كان [1].

وهذا النوع من العقل هو مما يتأكد علىٰ القائد أكثر من غيره من الأفراد، وذلك لأن القائد بحاجة في اتخاذ قراراته إلىٰ معرفة ما هو الأصلح والأنفع، وهو يدرك بعقله (خير الخيرين وشر الشرّين)، وخصوصاً في الأمور المشتبهة[2].

ونجد في قرارات طالوت هذا العقل الراجح، والنظر الثاقب لمآلات الأمور، والتي مكنته من اتخاذ قرارات خطيرة وحاسمة، مثل قرار (الاستمرار بالقليل) بعد أن تركه الكثير، وقرار مشاركة داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وهو صغير والسماح له بمبارزة رأس الكفر (جالوت).

كما أننا نلاحظ من بداية الحدث **فراسة** النبي صموئيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، والذي عرف بعقله مالم يكن ولم يحدث بعد، بما كان من شأن بني إسرائيل، ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟﴾ [البقرة:٢٤٦].

وصحت فراسته.. فحينما جاء وقت الامتحان ﴿ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾[البقرة:٢٤٩]، فانفصلوا عن طالوت بمجرد استلامهم للماء، وقد عرف النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من قبل أن أغلبهم لا يصلحون للمهمة الملقاة علىٰ عاتقهم ولكنه ترك الواقع ليبين عن ذلك.

و(الفراسة) هي جزء من مهمات العقل الوقّاد، وقد نبّه الله علىٰ

(١) الشيزري، مرجع سابق، (ص ٢٥٧) بتصرف.

(٢) ابن الأزرق، مرجع سابق، (ص ٤٢٢).

صدقها بقوله ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾[الحجر:٧٥][(١)].

وبعكس هذا فقد كان مما اشترطه (ابن خلدون) في الحاكم أن لا يكون حادّ الذكاء!، وقال: «اشترط الشارع في الحاكم قلة الإفراط في الذكاء»[(٢)].

ومع أنني لا أميل إلىٰ هذا الرأي، إذ إن من الذكاء حسن السياسة والتغابي والتغافل عما يضرّ التدقيق فيه، وقد قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لست بالخبّ ولا الخبّ يخدعني)، وكان معروفاً عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو الخليفة الرابع أنه كان حادّ الذكاء، إلا أن (ابن خلدون) نَصر رأيه بأمور منها:

١/ أنه «قلّما تكون ملكة الرفق فيمن يكون يقظاً شديد الذكاء، وأكثر ما يوجد الرفق في الغُفّل والمتغفَّل، وأقل ما يكون في اليقظ».

٢/ «أنه يكلف الرعية فوق طاقتهم لنفوذ نظره فيما وراء مداركهم، واطلاعه علىٰ عواقب الأمور في مبادئها».

٣/ «ما يتبع ذلك من التعسف وسوء الملكة، وحمل الوجود علىٰ ما ليس في طبعه».

٤/ «حدة الذكاء إفراط في الفكر، كما أن البلادة إفراط في الجمود، والطرفان مذمومان من كل صفة إنسانية، والمحمود هو التوسط».

---

(١) وللتوسّع حول مبحث (الفراسة): الراغب الأصفهاني، **الذريعة**، مرجع سابق، (ص١٤٥-١٤٦).

(٢) ابن خلدون، مرجع سابق، (١/ ٢٣٧).

٥/ «يوصف الشديد الكيس بصفات الشيطان، فيقال: شيطان ومتشيطن وأمثال ذلك، والله يخلق ما يشاء» [١].

وهذه أمور يمكن للذكي أن يتفاداها بالدربة والمشاورة، ولا يمكن أن تبرر لأفضلية البليد أبدا.

٤ـ العلم العسكري والحربي والسياسي:

حينما وقف بنو إسرائيل أمام نبيّهم وطالبوه بتعيين ملك عليهم، كان الهدف الرئيس من ذلك (القتال والحرب): ﴿ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾[البقرة:٢٤٦]، فكان من البدهي أن يكون الملك الجديد فقيهاً وملماً بفنون الحرب، إذ هي المقصود الأوّل من اختياره، ولو لم يكن ذلك عند طالوت لكان بنو إسرائيل اعترضوا علىٰ عدم فهمه العلوم العسكرية، ولكان اعتراضهم علىٰ ذلك أولىٰ من اعتراضهم علىٰ (النسب) و(المال).

بل لا نبالغ إذا قلنا إنه قد يكون طالوت أعلم بني إسرائيل بفنون القتال، وقد قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا : «إنه كان أعلم بني إسرائيل بالحرب»[٢]. وذلك أيضاً هو قول (الكلبي)[٣]. وهو ما رجّحه الزمخشري بقوله: «والظاهر أن المراد بالعلم المعرفة بما طلبوه لأجله من أمر الحرب»[٤].

---

(١) ابن خلدون، مرجع سابق، (١/ ٢٣٧).

(٢) ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، مرجع سابق، (١/ ٢٤٣).

(٣) البغوي، مرجع سابق، (١/ ٢٩٨).

(٤) **الكشاف**، مرجع سابق، (١/ ٢٨٨)، وانظر: السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمّد بن عبدالجبار، **تفسير القرآن**، تحقيق: ياسر ابن إبراهيم وغنيم بن عباس، (الرياض: دار الوطن، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م)، (١/ ٢٥٠)؛ والسمرقندي، مرجع سابق، (١/ ٢١٨).

بل قد فسّر أيضـاً عدد من أهل العلم قوله تعالىٰ عن داود: ﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾[البقرة:٢٥١] بأنه صناعة الدروع[١]، وهو من الصناعات الحربية التي تساهم في دفاعات الجيش وتقوّيه.

ولا يوجد في تاريخ بني إسرائيل دلالة علىٰ قيام جيش منظّم ودائم لا في عهد القضاة ولا في عهد (يوشع)، وكان أوّل من أسّس هذا الجيش هو (طالوت)[٢].

ومما يدلّنا بشكل أكيد أن (طالوت) كان عالماً بفنون الحرب، سياسته الرائعة في إدارة دقّة المعركة لصالحه، ومن ذلك:

أ) جعل الماء من خلفه بعد أن تجاوزه: ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ ... ﴾ [البقرة:٢٤٩] أما عن سبب جعله الماء من خلفه فذلك راجع إلىٰ عدّة أسباب ذكيّة منها:

١. السيطرة علىٰ الموارد المائية.
٢. الاستفادة منها في الشرب والحاجات الإنسانية.
٣. قطع طريق التراجع والانهزام والتقهقر.
٤. التحصن من التفاف العدو.
٥. الاستفادة من طعام النهر.
٦. إبقاء المعسكر نظيفاً وصحياً.

---

(١) البغوي، مرجع سابق، (١/ ٣٠٧).

(٢) ظاظا، حسن، وعاشور، محمّد، ١٩٧٦م، **شريعة الحرب عند اليهود**، مصر: دار الاتحاد العربي للطباعة، ط١، (ص٥٣).

ب) عمل ما يشبه (المناورات الحربية) باختبار النهر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ ...﴾ [البقرة:٢٤٩].

ج) استبعاد المثبّطين والمتثاقلين: ﴿فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي﴾ [البقرة:٢٤٩].

د) القدرة الفائقة علىٰ تجاوز أزمة المنسحبين من الجيش.

هـ) عنصر المفاجأة لجيش جالوت: ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ...﴾[البقرة:٢٥٠].

و) استهداف الرأس (قيادة محور الشر) والخروج بأقل الخسائر: ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾[البقرة:٢٥١].

هذه الأمور من أهم الأشياء التي بينتها الآيات كصفات ومؤهلات علمية للقائد.

المطلب الثاني: المؤهلات الأخلاقية:

أهمية السموّ الأخلاقي:

الأخلاق سجيّة للمرء، سواء كانت هذه الأخلاق فطرية أو مكتسبة، فإن كانت فطريّة فـ (طالوت) قد هيأه الله واصطفاه بالاستعداد الفطري وغرس، فيه هذه الأخلاق، وإن كانت مكتسبة فقد أوتي (طالوت) بسطة في العلم تمكّنه من التحلّي بما تعلّم من مكارم الأخلاق.

فالأخلاق بالنسبة لـ (الملِك) هي «آلة سلطانه، وأسّ إمرته، وليس يمكن صلاح جميعها بالتسليم إلىٰ الطبيعة، إلا أن يرتاض لها بالتقويم والتهذيب، رياضة تهذيب، وتدريج وتأديب، فيستقيم له الجميع، بعضها خلق مطبوع، وبعضها خلق مصنوع» [1].

ويبدو جلياً في الأحداث أن (طالوت) كان متواضعاً فقد خرج معهم بنفسه للقتال، وعندما جاء النصر نُسب إليهم جميعاً ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[البقرة:٢٥١] ولم ينسب لشخص القائد فقط.

كما أنه كان كاظماً الغيظ، فلم يتكلم مع من شرب من النهر أكثر من غَرْفة بسوء، ولا تلفّظ بمشين، ولا عاقبهم بما لا يليق، وسيمر علينا جانب من أخلاقه فيما سيأتي من الحديث عن بعض أفرادها؛ كالصبر والحلم والشجاعة واللين والرفق والورع والعدل... وغيرها.

(١) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمّد بن حبيب، ١٩٨١م، **تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملِك وسياسة المُلك**، تحقيق: محيي هلال السرحان، بيروت: دار النهضة العربية، (ص ٨).

يقول **ستيفين كوفي**: «يحظىٰ الذين يتمتعون بمكارم الأخلاق بإحساس عالٍ يمكنهم من إدراك مسؤولياتهم تجاه كل ما يحيط بهم، فهم يدركون مسؤولياتهم تجاه وقتهم ومواهبهم وأموالهم وممتلكاتهم وعلاقاتهم وأسرهم وأصدقائهم، كما أنهم يدركون حاجتهم إلىٰ استغلال كافة مواردهم وقدراتهم لتحقيق أهدافهم الثابتة، ويعلمون أنهم مسؤولون ومطالبون ممن حولهم بتحقيق تلك الأهداف.

ويقابل الذين يتمتعون بالعظمة الأساسية تلك الإساءة بالإحسان، واللجاجة برحابة الصدر، ويغرسون السلوك القويم فيمن حولهم بالتزامهم بالعفو عمّن ظلمهم، وإعراضهم عن الجاهلين، وتسامحهم، وتغاضيهم عن الإساءة، واستعدادهم لبذل المزيد من الجهد في سبيل أن يعمّ الحب بين الجميع، وبابتسامتهم التي تصاحبهم دائماً في كل دروب الحياة، وإيمانهم بأن الجميع يحملون بين طيّات صدورهم بذور الخير، وأن الصدق لا بدّ وأن ينتصر في النهاية »[1].

هذه الأخلاق هي التي دفعت (طالوت) لأن يتخلّىٰ عن الانتصار لنفسه، أو حتىٰ التصدي لأولئك الذين أرادوا ان يفتّوا في صفوف الجيش، لأن القائد «لحظة ما يتحرىٰ الدفاع عن نفسه وتبرير مواقفه، أو يحاول أن يرد الإساءة بمثلها علىٰ من أساء له، ينزلق إلىٰ صراع غير مجدٍ في مواجهة الشخص الآخر، وينزل الطرفان إلىٰ حلبة الصراع، ويتعيّن عليهما أحد

---

(١) ستيفين كوفي، **القيادة المرتكزة علىٰ مبادئ**، ترجمة: مكتبة جرير، ط١، (السعودية: مكتبة جرير، ٢٠٠٥م)، (ص ١٠٥).

الأمرين، إما الاستمرار في الصراع أو الفرار منه منتهجاً في ذلك أحد الأساليب الهدّامة للروابط والأواصر بين أفراد المجتمع من الخداع أو العنف أو الانسحاب من الحياة الاجتماعية، وعدم المبالاة بالآخرين، أو الدخول في منازعات قضائية، أو صراعات ومعارك سياسية.

وعندما نحسن إلىٰ الآخرين نجد أثر إحساننا في نفوسنا، بل إن قدر الإحسان الذي يعود علينا يفوق ما نقدمه للآخرين، وعندما نثبت للآخرين ونبدي لهم ثقتنا في قدرتهم علىٰ التقدم والنمو، وعندما نبارك خُطاهم ونطلب لهم السداد والتوفيق -حتىٰ وإن بادلونا بالحب الكراهية- نكون قد وضعنا أوّل حجر في بناء العظمة الأساسية في شخصيتنا وأخلاقنا »[1] .

وإن من أهمّ الأهداف التي حرص عليها (طالوت): تقويم أخلاق اليهود، الذين ساءت أخلاقهم وفسدت فطرهم، حتىٰ يكونوا علىٰ استعداد تام لمجابهة الأعداء في القتال.

ولكن قبل ذلك كله يلزم «ذا الإمرة والسلطان أن يبدأ بسياسة نفسه، ليحوز من الأخلاق أفضلها، ويأتي من الأفعال أجملها، فيسوس الرعية بعد رياضته، ويقومهم بعد استقامته... فإذا بدأ بسياسة نفسه كان علىٰ سياسة غيره أقدر، وإذا أهمل مراعاة نفسه كان بإهمال غيره أجدر، فبعيد أن يحدث الصلاح عمن ليس فيه صلاح، لأن ضرورة نفسه أمسّ، وهو

(١) ستيفين كوفي، مرجع سابق، (ص ١٠٦).

بتهذيبها أخص»[1].

ولا يصلح لسياسة غيره من لا يصلح لسياسة نفسه، ولهذا ذم الله تعالىٰ من ترشح لسياسة غيره، فأمر بالمعروف ونهىٰ عن المنكر وهو غير مهذب في نفسه، فقال: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾[البقرة:٤٤] وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ﴾[المائدة:١٠٥] أي: هذبوها قبل الترشح لتهذيب غيركم[2].

ولقد كان من أهم الأخلاق التي توفرت في طالوت عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، الأخلاق الأساسية التالية:

١ـ التقوىٰ والورع:

لاحظنا في الآيات كيف أن (طالوت) كان صالحاً تقياً ورعاً، ويمكن أن نضرب أمثلة بالأمور الآتية:

أ/ دعاؤه وابتهاله العظيم لله رب العالمين وقت المواجهة.

ب/ تنفيذه أوامر الله في القبول بالملك واختيار الجند.

جـ/ ترك الانتقام لشخصه ممن لم يشارك في الحرب.

د/ وقبل كل شيء، كيف أن الله اصطفاه واختاره، ولا يفضل الله أحداً من خلقه علىٰ الآخرين إن لم يكن عنده حظ وافر من تقوىٰ الله،

---

(١) الماوردي، **تسهيل النظر**، مرجع سابق، (ص ٤٧).

(٢) الراغب، **الذريعة**، مرجع سابق، (ص ٨٤).

ونحن نلاحظ في الأحداث كثيراً من تلك المعاني التي عبر عن بعضها (الهرثمي) بقوله: «ينبغي لصاحب الحرب أن يجعل رأس سلاحه في حربه تقوىٰ الله وحده، وكثرة ذكره، والاستعانة به، والتوكل عليه، والفزع إليه، ومسألته التأييد والنصر والسلامة والظفر، وأن يعلم أن ذلك إنما هو من الله جل ثناؤه لمن شاء من خلقه كيف شاء، لا بالأرب منه والحيلة، والاقتدار والكثرة، وأن يبرأ إليه جل وعز من الحول والقوّة، في كل أمر ونهي ووقت وحال، وألا يدَع الاستخارة لله في كل ما يعمل به، وأن يترك البغي والحقد، وينوي العفو، ويترك الانتقام عند الظفر، إلا بما كان لله فيه رضا»[1].

كل هذه المعاني تمثلت في شخصيّة (طالوت)، وهي التي رسمت ملامح تلك الشخصيّة الورعة الملتزمة بحدود الله، كما أنه لم يقارف المال الحرام ولم يتلبّس به، بل كان عمله من قَبْل الملْك - علىٰ اختلاف الأقوال- سليماً من كل شائبة تدنس عفّة ماله، وكذلك كان أيضاً بعد ملكه.

ومن بعده (داود) عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي تربىٰ علىٰ يدي (طالوت) وعلىٰ يد النبي صمؤيل، و(كان لا يأكل إلا من عمل يده)[2].

ولا شك أن (التقوىٰ) هي أهمّ ثمرات (العلم النافع)، وهذا مستقىٰ من وصف الله لطالوت بأنه أوتي بسطة في العلم، إذ ما نفْع العلم إن لم تظهر

(١) الهرثمي، أبو سعيد الشعراني، **مختصر سياسة الحروب**، تحقيق: عبد الرؤوف عون، (طبعة وزارة الثقافة المصرية، المؤسسة المصرية العامة)، (ص ١٥).

(٢) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب (البيوع)، باب (كسب الرجل وعمله بيده)، برقم ١٩٦٧، (٢/ ٧٣٠).

آثاره بالتقوىٰ، ولذلك كان السلف رحمهم الله يعرّفون العلم بـ(الخشية)، وبوّب (الدّارمي) في سننه (باب من قال: العلم الخشية وتقوىٰ الله)[1].

وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ليس العلم عن كثرة الرواية، ولكن العلم الخشية[2].

وهو مأخوذ من قول الله سبحانه ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨].

٢ـ العدل:

(العدل) و(العقل) قرينان مؤتلفان، وما ائتلف أمران إلا كان أحدهما محتاجا إلىٰ الآخر اضطراراً، وما سواهما من الفضائل واسطة بين (العدل) و(العقل)، ويختص العقل بتدبيرها، والعدل بتقديرها. فيكون العقل مدبراً، والعدل مقدّراً[3].

إن (العدل) هو الركن الركين في الملك والقيادة، وهو ميزان الله تعالىٰ في الأرض، الذي به يؤخذ للضعيف من القوي، وللمحق من المبطل.

وليس موضع الميزان بين الرعية فقط، بل بين السلطان والرعية

---

(١) الدارمي، **سنن الدارمي**، عبد الله بن عبد الرحمن، تحقيق: فواز ولي -خالد السبع، ط١، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ)، (١/ ٩٩).

(٢) أخرجه أحمد في (**الزهد**)، (بيروت: دار الكتب العلمية)، (ص ١٥٨)؛ والطبراني في (**الكبير**) رقم (٨٥٣٤)، وهو في (**مجمع الزوائد**) الهيثمي (١/ ٢٣٥)، وفي **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** لأبي نعيم الأصبهاني، ط٤، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ)، (١/ ١٣١).

(٣) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمّد بن حبيب، (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م)، **أدب الدنيا والدين**، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، (ص ١٢) بتصرف.

أيضـًا، ولا تجوز إزالة ميزان الله الذي وضعه من القيام بالقسط بين الناس.

إن (العدل) هو روح الملك، وعدل الملك هو حياة رعيته [(١)]، وبه يستتب أمر العالم، ولذلك قال الله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ﴾[الشورىٰ:١٧] وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ﴾[الرحمن:٧-٨]، وقد عبر الله عن العدل بالميزان لأن ذلك من آثاره، ومن أظهر أفعاله الحسية [(٢)].

ومن أجْل (العَدل) أرسل الله سبحانه النبيَ (صموئيل) إلىٰ بني إسرائيل، ثم اختار النبيُّ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ (طالوت) ملكـًا ليقيم العدل بين بني إسرائيل ولكن (العدل) الذي جاءت به الأنبياء يختلف عن عدل الملوك والقادة الصالحين، فإن العدل ينقسم إلىٰ قسمين: قسم إلهي جاءت به الرسل والأنبياء عليهم السلام عن الله تعالىٰ، والآخر هو السياسة الإصلاحيّة التي تستمد من عدل الله وشرائعه [(٣)].

ولا شك أن الله سبحانه هو الذي مَلّك (طالوت)، فجعل (طالوت) العدل أصل اعتماده، وقاعدة استناده، لأن نعم الله يجب شكرها، وأفضل ما يشكر به (القائد) ربه، إقامة العدل فيمن حكّمه فيهم.

وقد اتفقت شرائع الأنبياء وآراء الحكماء والعقلاء أن العدل سبب لنمو البركات ومزيد الخيرات، وأن الظلم والجور سبب لخراب الممالك،

---

(١) الطرطوشي، أبو بكر محمّد بن الوليد الفهري، (١٤١٤هـ-١٩٩٤م)، **سراج الملوك**، تحقيق: محمّد فتحي أبو بكر، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ط١، (ص٢١٣) بتصرف.

(٢) الراغب الأصفهاني، **الذريعة**، مرجع سابق، (ص٢٤٩) بتصرف.

(٣) انظر: الطرطوشي، مرجع سابق، (ص٢١٥).

واقتحام المهالك، ولا شك عندهم في ذلك[1].

ونحن نرىٰ في قصص القرآن كيف أن بني إسرائيل كانت أسباطهم في ظلم وجور حتىٰ كاد يحكم عليهم بالفناء، لولا أن منّ الله العليم بـ(طالوت) ملكا عادلاً ربّانياً.

ولقد كان من كمال عدل (طالوت) أن ساوىٰ نفسه مع الرعيّة، فخرج معهم غازياً في ركابهم، ولما أمر بعدم الشرب كان أوّل التاركين، وأنصف فيه من نفسه، وهكذا القائد يسوس نفسه ويعدل معها قبل غيره، «وعدله في نفسه يكون بحملها علىٰ المصالح وكفّها عن القبائح، ثم بالوقوف في أحوالها علىٰ أعدل الأمرين من تجاوز أو تقصير، فإن التجاوز فيها جور، والتقصير فيها ظلم، ومن ظلم نفسه فهو لغيره أظلم، ومن جار عليها فهو علىٰ غيره أجور»[2].

٣ـ علو الهمّة والتفاؤل:

حينما يكون المرء في موضع القيادة فإن عليه أن يتحمّل تبعات تلك القيادة وذلك بغرس (علو الهمة والتفاؤل) في نفسه التي تعينه ولا شك علىٰ اجتياز واختراق الصعاب وتحمّل المشاقّ، والاستهانة بما يعترضه من آلام، طموحاً إلىٰ المجد الذي يصبو إليه.

والقائد المتفائل لا يعيش في (نرجسيّة) مهلكة، ولا (مثاليّة) زائفة،

---

(١) ابن جماعة، بدر الدين محمّد بن ابراهيم، **تحرير الأحكام في تدبير أهل الاسلام**، تحقيق: فؤاد عبد المنعم، قطر: طبعة خاصة برئاسة المحاكم الشرعية، ط١، (ص٦٩ -٧٠) بتصرف.

(٢) الماوردي، **أدب الدنيا والدين**، مرجع سابق، (ص١٥٤).

ولكنه يعيش واقعه، ويتفهّمه ويحدوه الأمل لما هو أكبر وأجمل، وقد كان (طالوت) غايةً في علو الهمّة والتفاؤل، فلم يثن عزيمته انتكاس الراجعين، ولا أقوال المخذّلين، بل كان أمله ﴿وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٥٠].

وإن علىٰ القائد أن يكون دائم التفاؤل، لأن المتشائم لا يحقّق شيئًا، ولا ينجز عملاً، بل هو خائف من كل شيء، متردّد في كل قرار، وبعد التردّد والانتظار سينتهي قراره بعدم فعل شيء، والنظرة السوداء القاتمة للأمور تخفي كل ما هو جميل، وتعمي القائد من رؤية النور من بين ركام الظلام.

إن القائد الناجح، هو الذي يعيش عبق الورد، ولا يلتفت إلىٰ آلام الشوك، وهو الذي يستطيع أن يخرج من رحم المحنة مِنْحة، بل ويسخرها لتكون انطلاقة له نحو الأفضل.

يقول القائد العسكري **مونتغمري**:[1] «يجب أن يكون القائد متفائلاً يسري تأثيره في مرؤوسيه، وأن يكون لديه العزم علىٰ الثبات في وجه المصاعب، وأن يبعث الثقة في النفوس، معتمداً علىٰ المبادئ والموارد المعنوية في إنجاز عمله بصورة صحيحة، حتىٰ عندما لا يكون هو نفسه واثقًا وثوقًا تامًا بالنتيجة المادية»[2].

(١) كان رئيسًا لأركان حرب انكلترا أيام الحرب العالمية الثانية، ونائبا للقائد الأعلىٰ لحلف الأطلسي، وهو الذي هزم (رومل) قائد (قوات المحور) بمعركة (العَلَمين) الشهيرة.[موقع: **ويكيبيديا (الموسوعة الحرة)** http://ar.wikipedia.org/wiki مادة: برنارد مونتغمري].

(٢) عميرة، عبد الرحمن، **الإستراتيجية الحربية في إدارة المعارك في الإسلام**، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦م)، (ص١٢٠).

لقد آلىٰ طالوت علىٰ نفسه أن يركز علىٰ طموحه وهدفه، ولم يثنه أن تراجع أكثر جيشه، بل كان هو ومن معه يحدوهم النصر ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[البقرة:٢٤٩].

ولما كان مجد الآخرة أعظم المجد كان ابتغاؤه أعظم الغايات، وكان هو الهمّ الأكبر للمؤمنين الصادقين ذوي الهمم العالية، والنفوس الكبيرة الزكيّة ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ﴾[البقرة:٢٤٩].

وكلما علت همّة القائد كانت مطالبه أسمىٰ، وصغرت في عينه المطالب الدنيا، فلا يهتم لها كثيراً، ولا يتبعها إلا بمقدار الحاجة، ﴿إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِۦ﴾[البقرة:٢٤٩]، ولذلك فهو لا يدنّس نفسه بالدناءات ومحقّرات الأمور، ولا يبذل رأس مال حياته من جهد وطاقة وعمر فيما لا جدوىٰ منه[1]، وينبغي للقائد أن لا يندهش إذا اعترته العوائق والصعاب، ولا يكثر من التذمّر، ولا الغضب الذي يشتّت الجهد.

إن القائد المتفائل هو الذي يستطيع بهمّته تحويل المحنة إلىٰ نقطة انطلاق نحو الأفضل، وهو بذلك يتغلب علىٰ المحنة ويقلبها إلىٰ نصر، ولذلك استطاع طالوت أن يقلب محنة الألم الكبير في قلوب بني إسرائيل مما ألمّ بهم إلىٰ دافع قوي أثبت فاعليته في ميدان المعركة.

كما أنه ينبغي للقائد -حتىٰ وإن كان متواضعاً - أن يشحن نفسه

(١) الميداني، عبدالرحمن حسن حبنكة، **الأخلاق الإسلامية وأسسها**، ط٥، (دمشق: دار القلم، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م)، (٢/ ٤٩١).

بمقدار كاف من الثقة بموهبته وإمكاناته بعيداً عن الغرور[١].

«قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اجتهد أن لا تكون دنيء الهمة، فإني ما رأيت أسقط لقدم الإنسان من تداني همّته، وقال عمرو بن العاص: المرء حيث يضع نفسه، يريد: إن أعزّ نفسه علا أمره، وإن أذلّها ذلّ وهان قدره، وتفسير معنىٰ (الهمّة): أن يرفع نفسه، فإن أنفة القلب من همم الأكابر؛ لأنهم يعرفون قدر أنفسهم فيعزّونها، ولا يرفع أحد قدر أحد حتىٰ يكون هو الرافع لقدر نفسه»[٢].

وهنا لطيفة ذكرها **الفخر الرازي** تدلّ علىٰ أن القائد لا بدّ له أن يكون عالي الهمة في التطوير الذاتي الدائم لعلمه، وأن لا يقف عند حدّ معيّن ولو كان ملكًا، حيث قال في تعليقه علىٰ قوله سبحانه ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾[البقرة:٢٥١]: « فإن قيل: إنه تعالىٰ لما ذكر أنه آتاه الحكمة، وكان المراد بالحكمة النبوة، فقد دخل العلم في ذلك، فلم ذكر بعده ﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾؟ قلنا: المقصود منه التنبيه علىٰ أن العبد قط لا ينتهي إلىٰ حالة يستغني عن التعلّم، سواء كان نبيًا أو لم يكن، ولهذا قال لمحمّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وقل ربي زدني علما﴾ [طه:١١٤]»[٣].

(١) كورتوا، مرجع سابق، (ص ٢٢).

(٢) الغزالي، أبو حامد محمّد بن محمّد، **التبر المسبوك في نصيحة الملوك**، تحقيق: أحمد شمس الدين، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م)، (ص٩٣).

(٣) الرازي، مرجع سابق، (٦/ ٢٠٥).

٤ـ الصبر:

أحق الناس بالتحلّي بخلق الصبر من يتصدىٰ للقيادة العامّة، وما ذاك إلا لكثرة ما يتعرض له من أمور تتطلب منه صبراً، فإن لم يصبر فشل وسقط عن مرتبة القيادة.

وطالوت لما أمر بعدم شرب الماء إلا غرفة، كان يقيس لديهم مقياس (الصبر)، ومع ذلك فقد كان هو أوّل الصابرين ولم يشرب من الماء، بل قد صبر علىٰ ما هو أكثر من ذلك، وهو الصبر علىٰ رعونة أخلاق بني إسرائيل، وليس له إلا ذاك؛ فصبر القيادة حفظ لها، وهو الذي دلّت عليه الملاحظة، والتجارب التاريخية، والنصوص الكثيرة.

وقد بيّن سبحانه أن الصبر من مؤهلات أرباب القيادة ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة:٣٢-٣٣]،ويقول سبحانه:﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ﴾ [الأعراف:١٣٧] فبنو إسرائيل كانوا مستضعفين، ولما حقّقوا في أنفسهم مرتبة (الصبر) منحهم الله السيادة والقيادة[1].

وقد يخلط البعض بين مفهوم (الصبر) و(القسوة) بالنسبة للقائد، فالصبر خلق كسْبي وهو حبس النفس عن التسخط، واللسان عن

---

(١) الميداني، **الأخلاق الإسلامية وأسسها**، مرجع سابق، (٢/ ٣٢٨).

التشكّي، والجوارح عما لا ينبغي، وهو ثبات القلب علىٰ الأحكام القدرية والشرعية. أما القسوة فغلظة في القلب تمنعه من التأثير بالنوازل، فلا يتأثر لغلظته وقساوته، لا لصبره واحتماله، وهو يبس في القلب يمنعه من التفاعل مع الأحداث[1]، وهذا هو الفارق بين (طالوت) الصابر وبين (جالوت) القاسي القلب.

ومما تتضمنه هذه الصفة (تحمل المسؤولية) وعدم التهرب منها، وقد رأينا كيف أن (طالوت) لم يتهرب من مسؤولية القيادة و(الملك)، بل أخذها بحقّها، وصبر عليها حتىٰ ظفر.

٥- الحِلم:

الحلم: هو الأناة والتثبت في الأمر، وما يلزم عن ذلك من ضبط للنفس عن الغضب، وكظم للغيظ، وعفو عن السيئة[2].

وقد كان (طالوت) حليماً ذا أناة، فلم يستفزه الغضب حينما واجهه ما يغضبه، ولم يتسرّع بالعقوبة، بل ضبط نفسه وتريّث، وتصرّف وفق ما تقتضيه الحكمة، ونحن نرىٰ ذلك من خلال الآيات في عدّة مواقف:

أ/ لما اعترض بنو إسرائيل علىٰ تمليكه، وطعنوا في نسبه، ولمزوه بفقره، ومع ذلك فقد عفا عن مقالتهم حينما تملّك، وسار بهم سيرة حسنة من غير انتقام لشخصه، وقد جاء في سفر (صموئيل) ما يؤيد ذلك، إذ إنهم لما اعترضوا (فقالوا: كيف يخلّصنا هذا، فاحتقروه، ولم يقدموا له هدية،

(١) ابن القيم، **الروح**، مرجع سابق، (ص٢٤١).

(٢) الميداني، **الأخلاق الإسلامية**، مرجع سابق، (٢/ ٣٣٧) بتصرف.

فكان كأصم)[1]، أي أنه صمت من باب الحلم، ولم يشأ أن يظهر غضبه، ثم أنه بعد انتصاره الكبير علىٰ (ناحاش العموني) انتقاماً لأهل (يابيش جلعاد)، وتفرّغه للانتقام من أولئك الذين لمزوه،لم يجازهم إلا بالحلم والعفو، مع أن هناك من يدعمه للانتقام، (وقال الشعب لصموئيل: من هم الذين يقولون: هل شاول يملك علينا، ائتوا بالرجال فنقتلهم، فقال شاول: لا يُقتل أحد في هذا اليوم، لأنه في هذا اليوم صنع الرب خلاصاً في إسرائيل)[2].

ب/ ولما شرب مَن عصاه أكثر من غرفة، لم يحكم عليهم بعقوبة ولا هدّدهم بما سيحدث لهم حين رجوعه منتصراً، بل تركهم يعودون لمنازلهم آمنين.

جـ/ ولما تحدث المخذلون بقلة جند (طالوت)، وكثرة الأعداء وقوّة عدتهم، سكت عنهم ولم يقمعهم أو ينتقم منهم.

إن هذا الحلم الذي تميز به طالوت «خليق بالملك، لما فيه من المزية، وكمال مصلحة الرعية؛ لأن الملك متىٰ عاقب علىٰ الزلة، وقابل علىٰ الهفوة، وأخذ بالجرم الصغير، ولم يتجاوز عن الكبير قبُحت سيرته، وفسدت سريرته»[3].

وصفة (الحلم) ناتجة من علوّ همة (طالوت)، والبعد عن دنيء الأمور وسفسافها، وبالحلم استحق طالوت السيادة، قال أكثم بن صيفي:

---

(١) **سفر صموئيل الأول**، إصحاح ١٠، مقطع(٢٧).

(٢) المرجع السابق، إصحاح ١١، مقطع(١٢:١٣).

(٣) الشيزري، مرجع سابق، (ص٣١٦).

(من حلم ساد)، وقد انتصر (طالوت) بالحلم أكثر من انتصاره بالمخلّفين، قال الأحنف بن قيس: (وجدت الحلم أنصر لي من الرجال)[1]

والقائد أحوج الناس إلىٰ الاتصاف بهذه الصفة لأمرين:

«أحدهما: انتصابه لإقامة أود الخلق، ومعاناة الصبر علىٰ ما يصدر منهم في الارتفاع إليه، وصدورهم بالتشاجر حرجا، وأخلاقهم بمضايقة الخصوم المنحرفة.

والثاني: إدراكه به كمال العز وإسداء المنة، لا كما يتوهم أنه من عجز المقدرة، وضعف المنّة»[2].

٦ـ الرفق:

الناس دائماً بحاجة إلىٰ قلب كبير، يعطيهم ولا يحتاج منهم إلىٰ عطاء، ويحمل همومهم، ويجدون عنده دائماً الاهتمام والرعاية، والعطف والسماحة والود والرضا.

إن الأتباع بحاجة إلىٰ قيادة، تعطي ولا تأخذ، وتبذل قصار جهدها في راحة من تقودهم[3]، ولا يحصل ذلك كله إلا بصفة (الرفق)، فالرفق يصلح في أي أمر ويعطي أفضل النتائج وأجود الثمرات، بخلاف العنف فمن شأنه أن يفسد ويعطي نتائج سيئة.

إن العنف في مقارعة الخطوب يحطم الطاقات، ويدمر القوىٰ، ويحرم من الظفر بالنتائج المطلوبة، والرفق من شأنه أن يلين القلوب وإن كانت قاسية، بخلاف معاملتها بالعنف فإنه يولد صلابة التحدّي والعناد،

---

(١) ابن الأزرق، **المقالات**، (١/ ٤٥٠).

(٢) المرجع السابق، (١/ ٤٥١).

(٣) عميرة، **الاستراتيجية الحربية**، مرجع سابق، (ص١٣٢) بتصرف.

ويورث العدوات والأحقاد ورغبات الانتقام[1].

وقد ظهر (الرفق) جلياً من طالوت، حينما لم يشدّد عليهم في الاختبار بل سمح لهم بأخذ غرفة واحدة من الماء لكل.

كما ظهر ذلك أيضاً في ترفق النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالخطاب مع بني إسرائيل حين لم يواجههم بحقيقتهم المرة، وإنما تلطف في العبارة فقال: ﴿هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْ﴾ [البقرة:٢٤٦] فجاء به في صيغة استفهامية غير تقريرية.

إن الرفق صفة مهمة للقادة أكثر من غيرهم ويكفي في ذلك دعاء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: (اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشقّ عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به)[2]؛ ولكن لا يفهم من مدْح الرفق الأخذ به في كل موضع، بل حيث كانت الحاجة للشدة استخدمها، فعلىٰ القائد أن يميز بين مواطن الرفق، ومواطن الشدة، فإن أشكل عليه حكم واقعة فليكن ميله إلىٰ الرفق فإن النجاح يكون معه في غالب الأحوال[3].

وعلىٰ القائد دائماً أن يضع نصب عينيه حديث رسول الله

---

(١) الميداني، مرجع سابق، (٢/ ٣٥٢) بتصرف.

(٢) رواه مسلم في **صحيحه**، (باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر) برقم(٤٨٢٦)، (٦/ ٧)، ورواه أحمد في **مسنده** من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا رقم: ٢٤٦٦٦، (القاهرة: مؤسسة قرطبة)، (٦/ ٩٣).

(٣) ابن الأزرق، مرجع سابق، (ص٤٧٥) بتصرف.

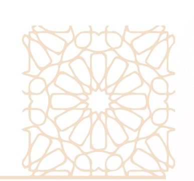
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إن شر الرِّعاء الحُطمة)[1]، حيث بيّن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه أن أسوأ القادة الذين يشتدّون علىٰ رعيتهم ولا يرفقون بهم، ويوسعونهم عسفًا، ويدفعونهم إلىٰ المآزق، ولا يعاملونهم بالرفق والحكمة في الإدارة والسياسة[2].

هذا ما أمكن رصده في المؤهلات الأخلاقية التي تأهل بها طالوت عَلَيْهِ السَّلَامُ لقيادة بني إسرائيل، وهي مؤهلات تستفاد أيضًا في التأهل القيادي في كل زمان.

---

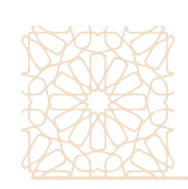
(١) رواه مسلم في **صحيحه**، باب فضيلة الإمام العادل، برقم(١٣٣٠)، (٣/ ١٤٦١)، ورواه أحمد في **مسنده** من حديث عائذ بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (برقم ٢٠٦٥٦)، (٥/ ٦٤).

(٢) الميداني، مرجع سابق، (ص٣٥٥) بتصرف.



المبحث الثالث:

المؤهلات والقدرات الإدارية



هناك مؤهلات وقدرات إدارية ينبغي للقائد أن يتأهل بها، ولذلك فمن أهم مؤهلات طالوت في هذا الجانب، المؤهلات التالية:

١. الخبرة الميدانيَّة:

إن الخبرة بأي عمل هي أصل من أصول نجاحه، والجهل به سبب كبير لفشله، ولذلك فإن القائد لا بدّ أن يكون ذا خبرة فائقة بشؤون الحرب وفنونها، وبرجاله الذين أعدهم لقتال الأعداء، وبالعدو الذي يقاتله، وسلاحه الذي يستعمله، وبالأرض التي تكون عليها المعركة من سهول وجبال وغابات ومياه وغير ذلك[١].

وقد برزت خبرة (طالوت) في عدّة نواحٍ:

أ/ خبرته بجنده، وأن منهم من لا يصلح للقتال، فقد قام باختبارهم مرة بعد أخرىٰ، حتىٰ خبر نفوسهم وعرف مسالكها، فكان تعامله معهم بعد ذلك وفق معطيات خبرته بهم.

ب/ خبرته بعدوّه، حيث كان طالوت يعلم أعدادهم وأنهم (فئة كثيرة)، ويعرف أسلحتهم وكيف يجابهها، ويعرف أيضًا غرور قائدهم

(١) القادري، عبد الله أحمد، **الجهاد في سبل الله حقيقته وغايته**، ط٢، (جدة: دار المنار، ١٤١٣هـ)- (١٩٩٢م)، (٢/ ١٢-١٣).

(جالوت) وكيف سيؤدي به هذا الغرور إلىٰ الهلاك.

بل إنه منذ خروجه للقائهم كانت وجهته واضحة، ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ...﴾[البقرة:٢٤٩]، قال ابن قدامة: «الأمير أعرف بحال الناس وحال العدو ومكانهم ومواضعهم وقربهم وبعدهم»[1].

جـ / الخبرة الجغرافيّة بتضاريس المنطقة، فقد علم بوجود (نهر) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ [البقرة:٢٤٩]، وربّما كان جنوده ليسوا علىٰ دراية به، وهذا ما تشعرنا به الآية حيث جاءت كلمة (نهر) نكرة، ولو كان الجنود يعرفون ذلك النهر لقال لهم معرفًا (إن الله مبتليكم بالنهر) أي الذي تعرفونه في أذهانكم.

د / الخبرة الصحيّة، وقدّ مرّ معنا قول من قال إن طالوت كان يعمل (سقاءً) للماء، أي: يستقي الماء ويبيعه للناس، فهو يعلم مدىٰ احتياج الناس للماء في نظافتهم وطعامهم وحاجاتهم، ومدىٰ قدرة تحملهم وطاقة صبرهم عند تعرضهم للعطش.

وعلىٰ كل حال، حتىٰ ولو لم يكن كذلك، فقد أثبت طالوت مهارته وخبرته باختباره ترك الشرب من النهر إلا قدر غرفة ﴿إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾ [البقرة:٢٤٩]، وذلك حتىٰ لا يثقل علىٰ الجندي وهو قادم إلىٰ ميدان المعركة، وأن هذا المقدار كاف للارتواء وعدم الإثقال في ذلك الوقت، والعجيب أن حجم (كفوف) الناس وأيديهم تختلف من شخص

(١) ابن قدامة، عبد الله بن أحمد المقدسي، **المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني**، ط١، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٥هـ)، (١٠/ ٣٨٦).

إلىٰ آخر، بحسب جسم الإنسان، فأعطاهم طالوت مقياسًا خاصا بكل فرد لما يكفي جسمه.

٢. الحنكة السياسية:

من الأمور الهامّة لـ(الملك) الذي يكون علىٰ رأس الهرم، والذي يتعامل مع مجتمعه وأفراده، ويتعامل أيضا مع الدول المجاورة سواء كانت حليفة أو معادية أن يمتاز بحنكة سياسية.

بل هذا أيضًا مدلول لفظة (السياسة) من حيث اللغة فهي تعني: القيام علىٰ الشيء بما يصلحه، وسُسْت الرعية سياسة: أمرتها ونهيتها، وسُوِّس الرجل: إذا مُلِّك أمرهم، والسَّوْس: الرّياسة، وإذا رأَّسوه قالوا: سوَّسوه وأساسوه، ورجل ساس من قوم ساسة وسُوَّاس، والسياسة: فعل السائس، يقال: هو يسوس الدواب: إذا قام عليها وراضها، والوالي يسوس رعيته[(١)].

ومن أحسن ما عرّفت به (السياسة): معرفة كل ما يتعلق بفنّ حكم دولة وإدارة علاقتها الخارجيّة[(٢)].

وقال الوليد بن عبد الملك لوالده: يا أبت ما السياسة؟ قال: (هيبة الخاصة مع صدق مودتها واقتياد قلوب العامّة بالإنصاف لها، واحتمال

---

(١) الزبيدي، مرجع سابق، باب (س و س)، (١٦/ ١٥٩)؛ وكذلك ابن منظور، مرجع سابق، مادة (سوس)، (٦/ ١٠٧) بتصرف.

(٢) مارسيل بريلو، **علم السياسة**، ترجمة (محمّد برجاوي)، (بيروت: منشورات عويدات)، (ص١١).

هفوات الصنائع)[1].

والله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لم يجعل لطالوت (بسطة في العلم) ووفرة فيه إلا ليتمكن به من معرفة الأمور السياسية[2].

وهذا ما رجّحه (ابن عاشور) في تفسيره لبسطة العلم في الآية[3].

وإن من السياسة «العلم بحال الأمّة، ومواضع قوتها وضعفها، وجودة الفكر في تدبير شؤونها»[4].

وقد كان (طالوت) رجلا سياسيًا رفيع الطراز فقد شهدنا من خلال القصّة:

١ / تأكده من التعبئة المعنوية للجيش ﴿ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [البقرة:٢٤٩].

٢ / تحفيز المجاهدين ورفع مكانتهم ﴿ وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ ﴾ [البقرة:٢٤٩].

٣ / عدم التهوّر وإبراز نفسه للمقاتلة تغليبًا لمصلحة الأمّة.

٤ / إبراز مكانة الصادقين والمخلصين ودفعهم للحديث ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٤٩].

---

(١) القالي، أبوعلي إسماعيل بن القاسم البغدادي، **الأمالي في لغة العرب**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م)، (٢/ ٨٢).

(٢) الألوسي، مرجع سابق، (٢/ ١٦٧).

(٣) ابن عاشور، مرجع سابق، (٢/ ٤٩١).

(٤) محمّد رشيد رضا، مرجع سابق، (٢/ ٤٧٨).

٥ / تغافله عن قول بعضهم ﴿ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ ﴾ [البقرة:٢٤٩].

٦ / إشغال الأتباع بالعمل والبناء، والجهاد في سبيل الله عن سفاسف الأمور.

٧ / زعزعة ثقة العدو بالنصر بقتل رأسهم (جالوت).

٣. القوّة:

المتبادر للذهن في تفضيل الله لـ(طالوت) ببسطة (الجسم) أن المقصود بذلك (القوّة)، سواء كان طالوت طويلاً أو ضخم الجسم إلا أن المؤدّىٰ هو امتلاكه القوّة التي تؤهله للجهاد والقتال في سبيل الله، فقوّة «المرء بأصغريه لا بكبر جسمه وطول برديه»[(١)].

وقد رجّح هذا الأمر (الفخر الرازي) بعد أن ذكر الأقوال في بسطة الجسم، ثم قال: «وقيل: المراد القوّة، وهذا القول عندي أصح؛ لأن المنتفع به في دفع الأعداء هو القوّة والشدة، لا الطول والجمال»[(٢)].

وبالقوّة يستطيع القائد الثبات في مواقع القتال فيكون بثباته ثبات نفوس الجيش[(٣)]، وهذه مسألة واضحة جداً في باب القيادة، «فالقائد الذي لا يملك القوّة، لا يمكن أن يسمىٰ قائداً، ولكن هذا لا يعني جواز استخدام القوّة العنيفة القاسية، بل لا بد من قوّة معتدلة، محققة للهدف، تساهم

(١) الألوسي، مرجع سابق، (٢/ ١٦٧).

(٢) الرازي، مرجع سابق، (٦/ ١٨٩).

(٣) ابن عاشور، مرجع سابق، (٢/ ٤٩١).

بالمجهود الرامي إلىٰ بلوغ الهدف، وعلىٰ القائد أن يحتفظ بإمكانيات تتيح له القدرة في السيطرة علىٰ عاصفة، أو متاعب تجابهه أثناء الشدّة»[1].

وقد استهان بعض الناس بهذا الشرط المهم للقائد، وقالوا: كفىٰ بالقائد أن يكون صحيح البدن، معافىً من الأمراض الخطيرة المزمنة، أو الأمراض التي تؤثر علىٰ العقل، وهذا غير صحيح، فالبدن بالنسبة للنفس البشريّة، بمنزلة الآلة للصانع، والسفينة للربان، فإذا كانت الآلة ضعيفة، أو السفينة ضعيفة، فماذا ينفع الصانع والربّان؟ فجودة تركيب الجسم من العظام واللحم والجلد وما يتبعها، تعطي قوّة في البدن، وبها يصلح للسعي والتصرف في أمور الدنيا والآخرة[2].

ومع ذلك فإننا نقول أن القوّة في كل ولاية بحسبها؛ فالقوّة في إمارة الحرب ترجع إلىٰ شجاعة القلب، وإلىٰ الخبرة بالحروب، والمخادعة فيها، وإلىٰ القدرة علىٰ أنواع القتال، من رمي وطعن وضرب وكرّ وفرّ، ونحو ذلك، والقوّة في الحكم بين الناس ترجع إلىٰ العلم بالعدل، وإلىٰ القدرة علىٰ تنفيذ الأحكام[3]، والقدرة علىٰ أداء المهام والأعمال[4].

وقد بلغ طالوت غاية القوّة في جميع جوانبها، والتي تختزل عدداً

(١) كورتوا، مرجع سابق، (ص ٣٢).

(٢) الراغب الأصفهاني، **الذريعة**، مرجع سابق، (ص١١٣-١١٤) بتصرف.

(٣) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، د.ت، **السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية**، تحقيق: علي محمّد العمران، من مطبوعات مجمع الفقه الاسلامي، دار عالم الفوائد، (ص١٧) بتصرف؛ وكذلك: ابن الموصلي، مرجع سابق، (ص ٩٣-٩٤).

(٤) المظهري، مرجع سابق، (١/ ٣٤٨).

من الصفات المتنوّعة، وهي بمجموعها تعطي شخصيّة طالوت قوّة فوق قوته، ومن تلك الصفات:

٤- الشجاعة:

فقد كان (طالوت) علىٰ رأس الجيش ومقدمهم ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ﴾ [البقرة:٢٤٩]، فهو الذي فَصَل بهم، وهو الذي دفعهم للجهاد.

وقد أبدىٰ شجاعة فائقة في القيادة والحرب وسط شعب يعدّ الخوف والحرص علىٰ الحياة تراثا قوميًا [(١)]، وبذلك يتبين لنا أن «الشجاعة من أحمد الأوصاف التي تلزم الملك أن يتصف بها ضرورة، وإن لم تكن له طبعا فيتطبع بها؛ ليحسم بهيبته مواد الأطماع المتعلقة بقلوب نظرائه، ويحصل منه حماية البيضة، ورعاية المملكة، والذب عن الرعية، وحقيقة الشجاعة ثبات الجأش، وذهاب الرعب، وزوال هيبة الخصم أو استصغاره عند لقائه»[(٢)].

وقد ذهب بعض المفسّرين إلىٰ أن معنىٰ (البسطة في الجسم) تعني الشجاعة[(٣)].

والشجاعة تبرز في اتخاذ القرارات، وتبرز في المواقف، خصوصا في المعارك، وهي في المعارك ثلاثة أقسام:

---

(١) الغنيمي، عبدالفتاح مقلد، **هل لإسرائيل حق تاريخي في فلسطين؟**، ط١، (القاهرة: العربي للنشر، ٢٠٠٠م)، (ص١٠٨).

(٢) الشيزري، مرجع سابق، (ص ٢٦٣).

(٣) القرطبي، مرجع سابق، (٣/ ٢٤٦)، أبو حيان، مرجع سابق، (٢/ ٢٦٦).

١/ إذا التقىٰ الجمعان، وبرز كل واحد منهما للآخر ورآه رأي العين، فيبرز الشجاع للمواجهة، وهذا مثل شأن (داود) عَلَيْهِ السَّلَامُ حينما برز بمفرده لقتال الطاغية (جالوت).

٢/ إذا التحم الجيشان واختلط الحابل بالنابل، ولا يدري أحد من أين يأتيه الموت، حين ذاك يكون الشجاع رابط الجأش، ساكن القلب، لا يخامره الدهش، ولا تخالطه الحيرة.

٣/ إذا تراجع أغلب الجيش وتقهقروا، حين ذلك ينطلق الشجاع مقوّيًا لهم بالكلام الجميل والتذكير والحث[١]، وهذا كحال (طالوت) حينما ثبّت الناس بعد انصراف أغلب الجيش عن المواجهة، ولقد أوقدت (الشجاعة) التي كانت في قلب طالوت، نار الحماسة بين أفراد قواته، حتىٰ سرت فيهم جميعًا، وقالوا بلسان ودعاء واحد ﴿ وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا ﴾ [البقرة:٢٥٠].

ومما يندرج أيضًا تحت الشجاعة (النّجدة)[٢]، وهي تزيد علىٰ الشجاعة في الإقدام والجرأة علىٰ مساعدة الآخرين، لا مساعدة نفسه فقط.

٥- الحزم:

هذه الصفة كانت واضحة في قرارات (طالوت)، فقد كان حازمًا في خروجه للقتال، حازمًا بترك من شرب أكثر من غَرفْة من الماء، حازمًا

(١) ابن الأزرق، مرجع سابق، (ص ٤٣٠) بتصرف.

(٢) المرجع السابق، (ص٧٢).

بالمواجهة مع ضعف عددهم وعُدَّتهم.

إن قضية القدرة علىٰ تنفيذ القرارات هي من القضايا المهمة للقائد، وهي تدلّ علىٰ قوّة الشخصيّة، يقول ابن القيّم: «لفظة الحَزْم تدل علىٰ القوّة والاجتماع، ومنه حزمة الحطب، فحازم الرأي هو الذي اجتمعت له شؤون رأيه، وعرف منها خير الخيرين وشرّ الشرّين، فأحجم في موضع الإحجام رأيًا وعقلاً لا جبنًا ولا ضعفًا»[1].

وقد قسّم بعض الحكماء القادة إلىٰ ثلاثة أقسام تجاه (الحزم):

١- صاحب الرأي السديد والنظر البعيد، فيتخذ القرار المناسب في أمر ما قبل حدوثه، فيجلب للرعية خيره، ويتجنب شرّه، وهذا حاله كحال (طالوت)، حينما رأىٰ أن الشاربين سيكونون عبئًا علىٰ الجيش، وربّما وقعوا في التخذيل والفرار فتركهم قبل الوصول لعدوّه، وقبل حدوث ذلك.

٢- الذي لا يتخذ القرارات إلا حينما تقع القضية والنازلة، فيحسن التخلص منها، والخروج من (الأزمات)، وكأن سياسته (إطفاء الحرائق) لا غير، ولا شكّ أن هذا دون الحازم الأوّل بكثير.

٣- العاجز المتواني، الذي تقع الطوامّ وهو في لَبس من قراره وأمره، وتذهب الفرص وهو في تحسّر دائم حتىٰ يصل به ذلك إلىٰ الخسران[2].

---

(١) ابن القيم، **الروح**، مرجع سابق، (ص ٢٣٧).

(٢) ابن الأزرق، مرجع سابق، (ص٥٠٠).

٤- الاستقلالية والاعتماد علىٰ النفس:

القائد كلما توافر فيه اكتمال الرجولة، وكلما كان أكثر خبرة ومعرفة وعلماً، وكلما توافر له الإعداد الجيد، والمنهج الصحيح والمساندة والتأييد، كان أكثر ثقة بنفسه وقدراته، ومن ثم كان أكثر استقلالية، وأكثر حرصاً علىٰ الاعتماد علىٰ نفسه(١).

وإن الأمّة بحاجة إلىٰ قائد يبادر، وليس إلىٰ قائد ينتظر، قائد يوحد الأمّة، وليس قائدا يتقوقع علىٰ جماعته، قائد ذي روح وثابة، وليس قائداً منزوع الاستقلالية متبلد الذهن جامد العمل(٢).

كما أن هذه الصفة تثري في القائد مقوّمات الاجتهاد والعزيمة، وقد أعطىٰ النبي (صموئيل) عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ تلك الاستقلالية للملك (طالوت)، فكان طالوت قائداً محنكاً يتخذ قراراته بنفسه بدون الرجوع إلىٰ النبي عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ إلا في القرارات المصيرية، التي تحتاج إلىٰ أمر النبوة.

أما المسائل التي كانت موضع اجتهاد، فلم يكن يرجع فيها طالوت إلىٰ صموئيل، ومن ذلك:

أ/ اختباره الجنود عند ماء النهر دون الرجوع للنبي عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

ب/ استمراره بمن معه وهم قلة بدون الرجوع إليه أيضا.

جـ/ انتخابه داود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لمبارزة جالوت.

---

(١) انظر: أبو الفضل، مرجع سابق، (ص٣١٤) بتصرف.

(٢) جاسم سلطان، **قوانين النهضة**، سلسلة أدوات القادة، كتاب الكتروني عبر موقع ويب: (مشروع النهضة) www.4nahda.com، (ص١٠٥) بتصرف.

وهكذا الشأن في الأمور الاجتهادية، أما القرارات المصيريه كقرار بدء الجهاد وخروج الجيش والنفير العام، فكان بلا شك تحت رعاية النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ لأن الاستقلالية يجب أن يكون لها حدود، فلا يفرط القائد ويبالغ في الاعتماد علىٰ النفس، ويحجم عن طلب المساعدة من الآخرين، وخاصة في مثل هذه الأمور التي تعتمد علىٰ الشورىٰ والمشاورة.

ووفق نظرنا فإن أُطُر الاستقلالية التي ينبغي للقائد ألاّ يتجاوز حدودها، هي ثلاث:

- **أوّلها:** الرجوع لمن هو أعلىٰ منه فيما هو خارج صلاحياته وقدراته وإمكاناته.

- **ثانيها:** الرجوع إلىٰ من هو أدنىٰ منه في أخذ آرائهم ومشورتهم، وإثراء ما هو متوافر لديه.

- **ثالثها وأهمّها:** التوكل علىٰ رب العالمين والاستعانة به في كل وقت وحين.

وقد قال إمام الحرمين الجويني: «فإذا كانت الإمامة زعامة الدين والدنيا، ووجب استقلاله بنفسه في تدبير الأمور الدنيوية، فكذلك يجب استقلاله بنفسه في الأمور الدينية، فإن أمور الدنيا علىٰ مراسم الشريعة تجري، فهي المتبع والإمام في جميع مجال الأحكام.

والكفاية المرعية معناها: الاستقلال... ونحن نرىٰ الإمام المستجمع خلال الكمال البالغ مبلغ الاستقلال، أن لا يغفل الاستضاءة في الإيالة وأحكام الشرع بعقول الرجال، فإن صاحب الاستبداد لا يأمن

الحيدة عن سنن السداد، ومن وفِّق الاستمداد من علوم العلماء كان حريّاً بالاستداد، ولزوم طريق الاقتصاد، وسرّ الإمامة استتباع الآراء، وجمعها علىٰ رأي صائب، ومن ضرورة ذلك استقلال الإمام»[1].

وهذا كان ديدن القائد طالوت، فإنه لما نكص المنهزمون عند ماء النهر، أحبّ أن يسمع آراء العلماء الصادقين، حتىٰ قالوا: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٤٩] ولم يستفرد بقراره، بل رأىٰ قبل ذلك ما يسرّ من المؤمنين الصابرين، وحينذاك عزم علىٰ مواصلة المسير.

٦- الفصاحة والبيان:

الفصاحة: ملكة تعين صاحبها علىٰ حسن التعبير عن المقصد في سهولة ويسر، وتعدّ الفصاحة والقدرة علىٰ البيان من أهمّ المقوّمات الأساسية المطلوب توافرها لدىٰ القائد.

وهذا أمر معلوم بداهة؛ إذ إن مباشرة الأفراد بالخطاب مما يرسخ صورة واضحة عن شخصيّة القائد لدىٰ أتباعه، كما وأنه يساهم في توضيح الأفكار بشكل كبير.

ويبقىٰ أيضاً مع ذلك أن البيان والخطاب، كلما كان فصيحاً بليغاً كان له تأثير ووقع علىٰ نفوس المستمعين وقلوبهم، وقد قام (طالوت) فيهم مخاطباً لهم بكل فصاحة وبيان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ [البقرة:٢٤٩] فنقل لهم مضمون رسالة موجهة إليهم من قبل سلطة أعلىٰ

---

(١) الجويني، مرجع سابق، (ص ٦٦-٦٧)، بتصرف يسير.

منه ومنهم، ثم عمل علىٰ تفسير هذه الرسالة وتوضيحها ﴿ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ ﴾ [البقرة:٢٤٩]، وحاول إقناعهم بقبولها وحثهم علىٰ العمل بمقتضاها ﴿ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ﴾ [البقرة:٢٤٩].

كلمات قليلات ولكنها كانت في قمة الوضوح وحسن البيان، بحيث جعلت بني إسرائيل - وهم أصحاب كثرة الاستفسارات- أن لا يسألوا عن معناها.

ومن قبل (طالوت) كان نبي الله (صموئيل) الذي اشتهر بكونه خطيباً مفوّهاً، وكان يدور بكل نادٍ ليخطب بكل فصاحة في بني إسرائيل ناصحاً وموجهاً[1]، وقد استعمل مع بني إسرائيل كل عبارات البيان لإقناعهم، فقال لهم حينما طلبوا ملكاً للقتال: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟﴾ [البقرة:٢٤٦]، فجاء بها في صيغة الاستفهام وهو يعلم حقيقة أكثرهم من الناكصين عن القتال.

ولما عرض عليهم (طالوت) للمُلكْ، أتاهم بأقوىٰ الحجج والبراهين في أقصر عبارة ودلالة، سارداً لهم أسباب التمكين واختيار الله طالوت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ [البقرة:٢٤٧].

(١) انظر ذلك في عدة مواضع من (سفر صموئيل الأول).

ولقد انعقد الإجماع في العصر الحديث علىٰ أن القائد الناجح لا بد أن يمتلك فن الاتصال، وعلىٰ رأس ذلك الكلمة، فإن لها تأثير علىٰ نجاح أي قائد، وصدق النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قال: (إن من البيان لسحراً)[1].

(١) أخرجه البخاري في (**صحيحه**)، كتاب الطب، باب (إن من البيان لسحراً)، (١٠/ ٢٠٢)، حديث رقم ٥٤٣٤؛ ومالك في (**الموطأ**)، [تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي، مصر: دار إحياء التراث العربي]، كتاب الكلام، باب ما يكره من الكلام بغير ذكر الله، برقم ١٧٨٣، (٢/ ٩٨٦)؛ **وأبوداود** في (**سننه**)،[تحقيق: محمّد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: دار الفكر]، كتاب الأدب، باب ما جاء في التشدق بالكلام، برقم ٥٠٠٩، (٤/ ٤٥٩)؛ والترمذي في (**سننه**)، كتاب البر، باب ماجاء في أن من البيان لسحراً، برقم (٢٠٢٩) (٣/ ٤٤٤).



الفصل الثالث:

التمكين القيادي لداود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ

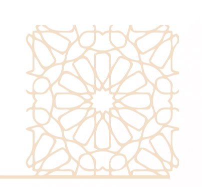
وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: اختيار داود للقيادة

المبحث الثاني: المؤهلات الأساسية لداود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ

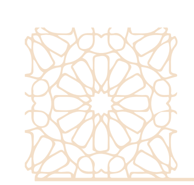
المبحث الثالث: المؤهلات السلوكية والإدارية لداود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ





المبحث الأول:

اختيار داود للقيادة



اختار الله من بعد (طالوت) داود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ليكون ملكـًا بمواصفاته ومواقفه، ﴿وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [البقرة:٢٥١].

وقد جاء في اختيار النبي صموئيل للفتىٰ داود لتهيئته وصناعته ما أورده الطبري بإسناده إلىٰ وهب بن منبه: «فأوحىٰ الله إلىٰ أشمويل: انطلق إلىٰ إيشىٰ فيعرِض عليك بنيه، فادهن الذي آمرك بدُهْن القدس، يكُنْ ملكـًا علىٰ بني إسرائيل، فانطلق حتىٰ أتىٰ إيشىٰ، فقال: اعرض عليّ بنيك، فدعا إيشىٰ أكبرَ ولده، فأقبل رجل جسيم حسن المنظر، فلما نظر إليه أشمويل أعجبه، فقال: الحمد لله، إن الله بصير بالعباد! فأوحىٰ الله إليه: إن عينيك تبصران ما ظهر، وإني أطّلع علىٰ ما في القلوب، ليس بهذا! فقال: ليس بهذا، اعرض علي غيره، فعرض عليه ستة، في كل ذلك يقول: ليس بهذا، اعرض علي غيره، فقال: هل لك من ولد غيرهم؟ فقال: بلىٰ، لي غلام أمغر وهو راع في الغنم، قال: أرسل إليه، فلما أن جاء داود، جاء غلام أمغر؛ فدهنه بدُهن القدس، وقال لأبيه: اكتم هذا، فإن طالوت لو يطّلع عليه قتله[1]، فسار جالوت في قومه إلىٰ بني إسرائيل فعسكر، وسار طالوت ببني إسرائيل وعسكر، وتهيؤوا للقتال، فأرسل جالوت إلىٰ طالوت: لم يُقتل قومي وقومُك؟ ابرُز لي، أو أبرِز لي من شئت، فإن قتلتُك كان الملك

(١) قضية غيرة طالوت من داود، ومطاردته، ومحاولة قتله، هي من إسقاطات التوراة المحرفة.

لي، وإن قتلتني كان الملك لك، فأرسل طالوت في عسكره صائحاً: من يبرز لجالوت! ثم ذكر قصة طالوت وجالوت وقتل داود إياه، وما كان من طالوت إلىٰ داود.

قال أبو جعفر: وفي هذا الخبر بيان أن داود قد كان الله حوّل الملك له قبل قتله جالوت[1]».

وما ذكره وهب بن منبه هو في حقيقته من الإسرائيليات التي اقتبسها من التوراة الموجودة في تلك الأيام، أما النصّ الوارد في العهد القديم بسفر صموئيل فكان كالآتي: (فقال الرب لصموئيل: حتىٰ متىٰ تنوحُ علىٰ شاول، وأنا قد رفضتُهُ عن أن يملك علىٰ إسرائيل، املأ قرنك[2] دهنـًا، وتعال أرسلك إلىٰ يسَّىٰ البيتلحميِّ، لأنّي قد رأيت لي في بنيه مَلِكـًا، فقال صموئيل: كيف أذهب؛ إن سمع شاول، يقتلني، فقال الرب: خذ بيدك عِجلةً من البقر، وقل: قد جئت لأذبح للرَّبِّ، وادعُ يسَّىٰ إلىٰ الذبيحة، وأنا أُعلِّمك ماذا تصنع، وامسح لي الذي أقولُ لك عنه، ففعل صموئيل كما تكلَّمَ الرب، وجاء إلىٰ بيت لحمٍ، فارتعد شيوخ المدينة عند استقباله، وقالوا: أسلامٌ مجيئُكَ؟ فقال: سلامٌ، قد جئت لأذبح للرب، تقدسوا وتعالوا معي إلىٰ الذبيحةِ، وقدَّس يسَّىٰ وبنيه، ودعاهم إلىٰ الذبيحةِ، وكان لما جاؤوا، أنَّه رأىٰ أليآب، فقال إن أمام الرب مسيحَهُ، فقال الرب لصموئيل: لا تنظر إلىٰ منظره وطول قامته، لأنّي قد رفضتُهُ؛ لأنه ليس كما ينظر الإنسان، لأنَّ الإنسان ينظرُ إلىٰ

(١) الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، مرجع سابق، (١/ ٢٨٠-٢٨١).

(٢) القرن: قرن الثور وغيره، وكأنه أراد هنا: القنينة التي يكون فيها الدهن والطيب، وكانوا يتخذونها من قرون البقر.

العينين، وأما الرب فإنه ينظرُ إلىٰ القلب، فدعا يسَّىٰ أبيناداب، وعبَّره أمام صموئيل، فقال: وهذا أيضًا لم يختره الرب، وعبَّر يسَّىٰ شمَّه، فقال: وهذا أيضًا لم يختره الرب، وعبَّر يسَّىٰ بنيه السبعةَ أمام صموئيل، فقال ليسَّىٰ: الرب لم يختر هؤلاءِ، وقال صموئيل ليسَّىٰ: هل كملوا الغلمان؟ فقال: بقي بعد الصغيرُ، وهو ذا يرعىٰ الغنم، فقال صموئيل ليسَّىٰ: أرسل وأتِ به، لأننا لا نجلس حتىٰ يأتي إلىٰ ههنا، فأرسل وأتىٰ به، وكان أشقر مع حلاوةِ العينين وحسن المنظر، فقال الرب: قم امسحهُ لأنَّ هذا هو، فأخذ صموئيل قرن الدهن، ومسحهُ في وسط إخوتهِ، وحلّ روحُ الرب علىٰ داود من ذلك اليوم فصاعداً)[١].

فنخرج من هذا أن جميع النصوص الواردة تدلّ علىٰ أن النبي صموئيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان له عناية فائقة واهتمام كبير باصطفاء داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وتربيته وتهيئته ليكون قائداً لجميع أسباط بني إسرائيل.

وقد اصطفاه الله تعالىٰ نبيًا لهداية بني اسرائيل، وأنزل عليه (الزبور)[٢]، ذلك الكتاب السماويّ، والذي فيه من علم الله جَلَّجَلَالُهُ قال تعالىٰ: ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ [الإسراء:٥٥].

---

(١) سفر صموئيل ١، إصحاح ١٦، مقطع (١-١٣).

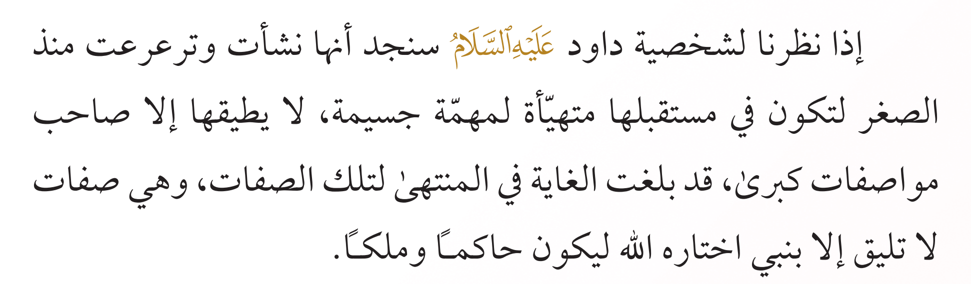
(٢) الزبور: كتاب يشتمل علىٰ حكم ونصائح ومواعظ وأناشيد وتحميد وتمجيد، وليس فيه أية أحكام شرعية، وهو مقدس عند اليهود مثل التوراة، ويسمّىٰ الزبور عند أهل الكتاب (المزامير) وعددها مائة وخمسون مزموراً، وليست كلها لداود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، كما أنها اليوم محرفة كسائر العهد القديم.

وقد كان صموئيل وضع وثيقة كتب فيها حقوق الملك وواجباته، وكانت كالدستور بين الناس، فكان ملك داود موثقا بها كما وثق من قبله ملك طالوت، والآيات القرآنية تبيّن لنا بوضوح الصلاحيات والمهام التي كانت مطلوبة من القائد داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قبل نبوته، وبعد النبوة أعطاه الله الزبور ليقوم به.

وكان داود أول نبي جمع له النبوة والملك في بني إسرائيل[1]، وقد جاء تكليف نبي الله داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بوظيفة الخِلافة في الأرض، وإمارة الناس وقيادتهم بأمر إلهي مباشر؛ قال تعالىٰ: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾[ص:٢٦]، ومعنىٰ ذلك أن الله يخاطبه فيقول له: يا داود إنا استخلفناك علىٰ الملك في الأرض، والحكم فيما بين أهلها[2]، وبهذا نعلم أن اختيار داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ للخلافة والقيادة كان بأمر الله تعالىٰ.

(١) ابن كثير، **البداية والنهاية** (٢/ ١٠)، ابن عاشور، مرجع سابق، (١٧/ ١١٤).

(٢) أبو السعود، محمد بن مصطفىٰ العمادي، **إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم**، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، د.ط، (الرياض: مكتبة الرياض الحديثة)، (٧/ ٢٢٣).



المبحث الثاني:

المؤهلات الأساسية الذاتية لداود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

إذا نظرنا لشخصية داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ سنجد أنها نشأت وترعرعت منذ الصغر لتكون في مستقبلها متهيّأة لمهمّة جسيمة، لا يطيقها إلا صاحب مواصفات كبرىٰ، قد بلغت الغاية في المنتهىٰ لتلك الصفات، وهي صفات لا تليق إلا بنبي اختاره الله ليكون حاكماً وملكاً.

ولو تأملنا في ملامح شخصية داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وسماته في القرآن الكريم، فإننا سنجد السمات الآتية:

أ/ الحكمة:

والحكمة التي يهبها الله لمن شاء من عباده وهي رأس العلوم والمعارف وخلاصتها، «ونسبة العلوم إلىٰ الحكمة من وجه: كنسبة الأعضاء إلىٰ البدن في كونها أبعاضاً لها، ومن وجه: كنسبة المرؤوسين إلىٰ الرئيس في كونها مستولية عليها، ومن وجه: كنسبة الأولاد إلىٰ الأم في كونها مولّدة لها... ولا يبلغ الحكمة إلا أحد رجلين: إما مهذّب في فهمه، موفّق في فعله، ساعده معلّم ناصح، وكفاية، وعمْر.

وإما إلهي، يصطفيه الله فيفتح عليه أبواب الحكمة بفيض إلهي، ويلقي إليه مقاليد جوده، فيبلغه ذروة السعادة، وذلك فضل الله يؤتيه من

يشاء والله ذو الفضل العظيم»[1].

وأما داود عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ فقد نصّت الآيات أنه قد بلغ هذه الدرجة اصطفاءً من الله: ﴿وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [البقرة:٢٥١]، وفي آية أخرىٰ: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ [ص:٢٠]، وأصل كلمة (الحكمة): وضع الأمور في مواضعها علىٰ الصواب والصلاح[2].

وقد اختلف المفسرون في المقصود بـ (الحكمة) التي أوتيها داود، وأهم هذه الأقوال:

١ / النبوة.

٢ / الزبور.

٣ / العدل في السيرة.

٤ / وقيل: الملك مع الحكمة هو العلم مع العمل[3].

وقد رجّح (صاحب المنار) أنها الزبور الذي أوحاه الله إليه كما قال سبحانه: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣]، وبه كان نبياً[4].

---

(١) الراغب الأصفهاني، مرجع سابق، (ص١٤٢).

(٢) الرازي، مرجع سابق، (٦/ ٢٠٥).

(٣) السمعاني، مرجع سابق، (١/ ٢٥٤).

(٤) رشيد رضا، مرجع سابق، (٢/ ٤٩٠).

والأقرب هو قول جمهور المفسّرين الذين فسّروا (الحكمة) ههنا بالنبوة [1]، وهو رأي ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا [2]؛ وقد فرّق الله بين (الكتاب) و(الحكمة) في قوله: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكاً عَظِيماً﴾[النساء:٥٤]، وقوله سبحانه فيما بعث به محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾[الجمعة:٢].

وعلىٰ كلّ حال فمؤدىٰ الأقوال واحد، وهو داخل في المعنىٰ العام للحكمة، وهي «إصابة الحق بالعلم والعقل»[3]؛ فالحكمة من المعاني الجامعة التي يندرج تحتها أمور منها (سداد الرأي)، والقائد الحكيم هو صاحب الرأي المسدّد الذي يتخذ القرار المناسب في الوقت المناسب، كما أن المفاجآت الطارئة يجب أن لا تخرج القائد عن طبيعته، فلا ينغلق عنده التفكير من هول المفاجأة، بل يواجه ذلك الموقف بالتصرف الحكيم السريع[4].

ب/ العلم:

وقد جاء رديف الحكمة في قوله سبحانه: ﴿وَءَاتَـٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾[البقرة:٢٥١]، ذهب كثير من المفسّرين

---

(١) الطبري، **جامع البيان**، مرجع سابق، (٢/ ٦٤٥).

(٢) ابن الجوزي، **زاد المسير**، مرجع سابق، (١/ ٢٤٨).

(٣) الراغب الأصفهاني، **المفردات**، مرجع سابق، (ص ٢٤٩).

(٤) العقلا، مرجع سابق، (ص٦٠٢).

إلىٰ ذكر آحاد من الأمور التي علمها الله داود ﷺ وكل ما ذكروه هاهنا صحيح، ولا تعارض فيه أصلاً، ومما ذكره:

١ / منطق الطير وتكليمه النمل والنحل: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ﴾ [النمل:١٦].

٢ / الزبور: ﴿وآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً﴾[الإسراء:٥٥].

٣ / صناعة الدروع: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ﴾[الأنبياء:٨٠].

٤ / الصوت الطيب والألحان: ومن المعلوم أن الله لم يعط أحداً من خلقه صوتـاً مثل صوت داود ﷺ، فقد كان إذا قرأ الزبور تدنوا الوحوش حتىٰ يأخذ بأعناقها، وتظلّه الطير مصغية له، ويركد الماء الجاري، وتسكن الريح، وما صنعت المزامير والصنوج إلا علىٰ صوته[1].

وقد جاءت آيات قرآنية ثلاث، تتحدّث عن ترجيع التسبيح من الجبال والطيور بتسبيح داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:قوله تعالىٰ:﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾[الأنبياء:٧٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [ص:١٨-١٩]، فنجد أن هذا الترجيع معجـزة من الله لنبيه داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وتسبيح الجبال والطير معه تسبيح حقيقي مسموع[2].

(١) أبو حيان، **البحر المحيط**، مرجع سابق، (٢/ ٢٧٨).

(٢) الشنقيطي، **أضواء البيان**، مرجع سابق، (٤/ ٦٧٢).

قال العلماء: إن داود كان ذا صوتٍ حسن، فكان إذا رجّع التسبيح والزبور بصوته الشجيّ رجّعت الجبال والطير مثل تسبيحه طربـًا لصوته[1]، وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ سمع صوت أبي موسىٰ الأشعري يقرأ من الليل، فوقف فاستمع لقراءته، ثم قال: (**لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود**)[2]، والمراد بالمزمار: الصوت الحسن، وأصله الآلة المعروفة، وأطلق اسمها علىٰ الصوت للمشابهة.

٥ / فعل الطاعات والأمر بها، واجتناب المعاصي.

٦ / ما يتعلق بمصالح الدنيا وضبط الملك، فإن آباءه لم يكونوا ملوكـًا حتىٰ يتعلم منهم؛ بل كانوا رعاة[3].

وهذه الأقوال كلها صحيحة، ويمكن أن يحمل عليها معنىٰ الآية، فيما عدا القول الأول وهو (منطق الطير والحيوان) فهذا من خصائص نبي الله سليمان عليه السلام ابن داود عليه السلام، كما هو معلوم.

---

(١) الرازي، مرجع سابق، (١٣/ ١٨٥)، ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، مرجع سابق، (٦/ ٤٨٥)،السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفىٰ: ١٣٧٦هـ) **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولىٰ ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠ م، (٦/ ٢٦٤).

(٢) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب فضائل القرآن، باب حسن الصوت بالقراءة (٦/ ١١٢)، ومسلم في **الصحيح**، كتاب صلاة المسافرين وقصرها (١/ ٥٤٦)، رقم الحديث (٢٣٦،٢٣٥).

(٣) انظر في معرفة الأقوال: الشنقيطىٰ، **أضواء البيان**، (١/ ٢٨٤)، ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (١/ ٣٢٥)، السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد، **بحر العلوم**، تحقيق: علي معوض، وعادل أحمد، وزكريا النوتي، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ)، (١/ ٢٢١)، ابن كثير، **البداية والنهاية** (٢/ ١٠)، الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب** (٦/ ٢٠٥)، ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، (١/ ٢٤٨).

والضمير في قوله (مما يشاء) الصحيح أنه راجع إلىٰ الله تعالىٰ، أي أن الله علم داود مما يشاء الله، ويدلّ علىٰ ذلك أن معظم ما علمه الله لداود لم يكن يخطر له علىٰ بال، ولا يقع في أمنية بشر ليتمكن من طلبه ومشيئته[1].

وقد استنبط الفخر الرازي من هذه الآية أصلاً من أصول التعلم فقال: «فإن قيل: إنه تعالىٰ لما ذكر إنه آتاه الحكمة وكان المراد بالحكمة النبوة، فقد دخل العلم في ذلك، فلِم ذكره بعد ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾[البقرة:٢٥١]؟ قلنا: المقصود منه التنبيه علىٰ أن العبد قطّ لا ينتهي إلىٰ حالة يستغني عن التعلّم، سواء كان نبياً أو لم يكن»[2].

ولهذا عُدّ من علوم داود العلم بطريق الاجتهاد، وهو نوع من العلوم المكتسبة، ولذلك جوّز المحققون ذلك علىٰ الأنبياء[3]، والفرق بينهم وبين غيرهم من المجتهدين أنهم معصومون عن الغلط مؤيدون من الله، والوحي من ورائهم مؤيداً ومصوّبا[4]، وخصوصاً إذا تولّىٰ النبي الملك والقيادة.

---

(١) الألوسي، **روح المعاني** (٢/ ١٧٣).

(٢) الرازي، **مفاتيح الغيب** (٦/ ٢٠٤).

(٣) القرطبي، مرجع سابق، (١١/ ٣٠٩)، الآلوسي، مرجع سابق، (١٧/ ٧٤)، الشنقيطي، مرجع سابق، (٤/ ٥٩٧).

(٤) القرطبي، مرجع سابق، (١١/ ٣٠٩)، ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** (٥/ ٣٥١)، ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، (١٣/ ٢٢٢).

والسلطان أحوج الخلق إلىٰ العلم لوجود أحكام تحوجه إلىٰ المعرفة بها ليكون علىٰ بصيرة في تنفيذ الفصل فيها، وإلزام الوقوف عند حدودها، ولأن تحليه بالعلم من أعظم ما يتحبّب به إلىٰ الرعية[1].

ونخرج من هذا إلىٰ أن العلم هو أداة الإنسان ووسيلته لتحقيق أهدافه وغاياته بكفاءة وفعالية، فهو يتيح للإنسان الوقوف علىٰ حقائق الأشياء، وتجنّب الانزلاق إلىٰ متاهات الجهل، وإذا كان الإنسان العادي يحتاج إليه في نطاق أسرته وعمله، فكيف بالقائد المسؤول عن توجيه غيره من أفراد الأمة.

ج/ العدل:

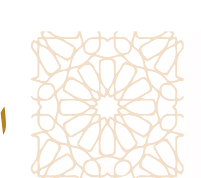
وهو ميزان الحكم وقانون قيادة الشعوب، فلا تصلح سياسة الناس بدونه، قال تعالىٰ: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص:٢٦]، ولذلك كان من لوازم الخلافة في الأرض إقامة الحق والعدل وعدم الانصياع للهوىٰ الشيطاني والشخصي والسلطوي والفئوي والمذهبي والقبلي، في القرارات والحكم وإدارة شؤون الدولة بكل مؤسساتها، لأن فيه الضلال عن الهدىٰ، والميل الجامح عن سنن الرشاد، والوقوع في مزلّات وسقطات سياسية وعسكرية واقتصادية واجتماعية كارثية، تجرّ الويلات علىٰ المجتمعات والشعوب والأمم.

---

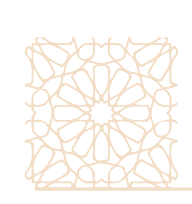
(١) انظر: ابن الأزرق، **بدائع السلك في طبائع الملك**، مرجع سابق، (ص ٤٢٦).

وهذا شأن كلّ ملك في ابتداء ملكه، فيكون علىٰ المحك والتجربة؛ فإن عدل مع الرعية، وسار فيهم بالسيرة الجميلة، صار ملكه ملك تفويض وطاعة، فرسىٰ وثبت؛ وإن جار وعسف، فقد دنت نهايته، وغُلِبت دولته، وأكثر ما يحلّ نظام الملك: إما بالإهمال والعجز، وإما بالظلم والجور[1].

(١) الماوردي، **تسهيل النظر**، مرجع سابق، (ص١٥٥).



المبحث الثالث: المؤهلات السلوكية والإدارية لداود عَلَيْهِ السَّلَامُ



كان داود عَلَيْهِ السَّلَامُ يتسم بمؤهلات إدارية وسلوكية ضرورية للقيادة والخلافة، ومنها:

أ/ حسن القضاء وفصل الخطاب:

وذلك واضح من قوله سبحانه: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ [ص:٢٠]، فقوله تعالىٰ: ﴿وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ معناه: إصابة القضاء، وهو قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ومجاهد وغيرهما، ويدخل في ذلك من قال: إن معناه: تكليف المدّعىٰ البينة، واليمين علىٰ من أنكر، وإنما كان فصل الخطاب قضاء لأن به يفصل بين الخصومة، والخصام نوع من الخطاب[(١)]، فكلامه عَلَيْهِ السَّلَامُ في القضايا والخصومات والمحاورة والمخاطبة والمشورات كله من فصل الخطاب، واختار هذا القول جماعة من المفسرين[(٢)].

وهو اختيار ابن العربي حيث قال: «فأما علم القضاء - فلعمر إلهك - إنه لنوع من العلم مجرّد، وفصل منه مؤكد غير معرفة

(١) الطبري، **جامع البيان** (٢٣/ ١٣٩)، ابن عطية، عبد الحق بن غالب الأندلسي، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)، (١٢/ ٤٣٧)، القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن** (١٥/ ١٦٢)، الآلوسي، **روح المعاني** (٢٣/ ١٧٧).

(٢) الطبري، **جامع البيان** (٢٣/ ١٤٠)، الزمخشري، **الكشاف** (٣/ ٣٦٥)، ابن عطية، **المحرر الوجيز** (١٢/ ٤٣٤)، الرازي، **مفاتيح الغيب** (١٣/ ١٨٧)، ابن عاشور، **التحرير والتنوير** (٢٣/ ٢٢٩).

الأحكام ... [1]»، ويؤيد القول بأنه علم القضاء سياق الآيات بعدها، حيث أردفها جل شأنه بحادثة من أقضيته، وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ﴾ [ص:٢١]، وانظر كيف ربطت الآية بين الحكمة والفصل في الحكم والقضاء، وهي صفة نادرة عزيز وجودها بين القادة، وقد كان داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قوي الشخصية لا يتردد في اتخاذ القرارات.

وقال آخرون: معنىٰ الآية فصاحة الكلام، حيث كان خطيبًا بارعًا مفوهًا لا يشق له غبار، وأن الله آتىٰ داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بلاغة القول، فكان كلامه فصلاً يعبر عن المعنىٰ بأوضح عبارة، لا يأخذه في ذلك حصر ولا ضعف، ولا يحتاج سامعه إلىٰ زيادة تبيان، وهذا القول قال به بعض أهل العلم[2].

ب/ الأوبة والشكر:

فقد وصف الله عبده داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بأنه أواب بقوله: ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص:١٧]، وقد ذكر أهل التفسير أقوالاً في معنىٰ (أوّاب)، فقال قوم: الأوَّاب: التائب، وقال سعيد بن جبير: الأواب: المسبِّح، وقال سعيد بن المسيب: الأواب: الذي يُذنب ثم يَتوب ثم يُذنِب ثم يَتوب، وقال قتادة: الأوَّاب: المطيع، وقال عُبيد بن عُمير: الأوَّاب: الذي يَذكُر ذنبَه في الخلاء فيستغفر الله منه، وقال أهل اللغة: الأواب: الرَّجَّاع الذي يَرجع إلىٰ التوبة والطاعة،

(١) ابن العربي، **أحكام القرآن**، (٤/ ١٦٢٧).

(٢) الطبري، **جامع البيان** (٢٣/ ١٤٠)، الزمخشري، **الكشاف** (٣/ ٣٦٥)، ابن عطية، **المحرر الوجيز** (١٢/ ٤٣٤)، الرازي، **مفاتيح الغيب**، (١٣/ ١٨٧)، ابن عاشور، **التحرير والتنوير** (٢٣/ ٢٢٩).

مِن قولهم: قد آب يؤوب أَوْبًا: إذا رَجَع، قال تعالىٰ: ﴿ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴾ [ق:٣٢][1].

ومن معاني أواب: أنه وقَّافٌ عند الحق؛ وذلك لأنَّ القائد هو القدوة لمن معه، فلا بدَّ له مِن أن يتَّصف بصفة الرجوع إلىٰ الحق أينما كان، ومتىٰ ما كان، فقد تراجع النبي داود عَلَيْهِ السَّلَامُ عن موقفه ما أنْ عرَف أنه لم يحكم علىٰ مراد الله جَلَّجَلَالُهُ في الحكم بين الشخصين المختصمين في قضية النَّعجة[2]؛ قال تعالىٰ: ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ ﴾[ص:٢٤]، وملخصها: نبأ رجلين تسلقوا سور

---

(١) أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، **الزاهر في معاني كلمات الناس**، تحقيق: د، حاتم صالح الضامن، ط١، (مؤسسة الرسالة - بيروت، (١٩٩٢م)، (١/ ١٠٦).

(٢) جاء عن بعض المفسرين الذين استعانوا بالإسرائيليات كلاما لا يليق بقام نبوة داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال ابن جزي: «وقد اختلف الناس فيها وأكثروا القول فيها قديما وحديثا؛ حتىٰ قال عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من حدّث بما يقول هؤلاء القصاص في أمر داود عَلَيْهِ السَّلَامُ جلدته حدّين لما ارتكب من حرمة من رفع الله محله» [**التسهيل**، ٢/ ٢٠٥]، وقال الشنقيطي: « واعلم أن ما يذكره كثير من المفسرين في تفسير هذه الآية الكريمة، مما لا يليق بمنصب داود عليه وعلىٰ نبينا الصلاة والسلام، كله راجع إلىٰ الإسرائيليات، فلا ثقة به، ولا معول عليه، وما جاء منه مرفوعا إلىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يصح منه شيء» [**أضواء البيان** ٦/ ٣٣٩]، وقال ابن العربي: « والذي أوقع الناس في ذلك رواية المفسّرين وأهل التقصير من المسلمين في قصص الأنبياء مصائب لا قدر عند الله لمن اعتقدها روايات ومذاهب، ولقد كان من حسن الأدب مع الأنبياء صلوات الله عليهم ألا تبث عثراتهم لو عثروا، ولا تبث فلتاتهم لو استفلتوا، فإن إسبال الستر علىٰ الجار والولد والأخ فضيلة أكرم فضيلة، فكيف سترت علىٰ جارك حتىٰ لم تقص نبأه في أخبارك، وعكفت علىٰ أنبيائك وأحبارك تقول عنهم ما لم يفعلوا، وتنسب إليهم ما لم يتلبسوا به، ولا تلوّثوا به، نعوذ بالله من هذا التعدّي والجهل بحقيقة الدين في الأنبياء والمسلمين والعلماء والصالحين، وقد وصيناكم إذا كنتم لا بد آخذين في شأنهم ذاكرين قصصهم ألا تعدوا ما أخبر الله عنهم، وتقولوا ذلك بصفة التعظيم لهم والتنزيه عن غير ما نسب الله إليهم» **أحكام القرآن** (٤/ ٥١).

غرفة داود المخصصة للصلاة، فدخلوا عليه وهو منهمك بالصلاة وعبادة الله وترانيم الزبور، في غير موعد المحاكمة المخصص للناس، فخاف منهم، فقالوا له: لا تخف، نحن متخاصمان جار بعضنا علىٰ بعض، وموضوع الخصومة هو: إن هذا أخ لي، يملك تسعا وتسعين شاة وأملك شاة واحدة، فقال: ملكنيها وغلبني في المخاصمة والجدال، والصحيح في النعجة: أنها الأنثىٰ من الضأن، وقد يقال لبقر الوحش: نعجة، فحكم داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بقوله: لقد ظلمك بهذا الطلب، وطمع عليك.

ويقال: إن خطيئة داود هي أنه قال ذلك قبل أن يتثبت، فربما كان صاحب النعجة الواحدة هو الظالم، وعلم داود وأيقن أنما اختبرناه بهذه الواقعة، وهي أنه حكم بين الخصمين في النعاج قبل أن يسمع بيّنة الخصم الآخر، وكان الحق له[1].

كما تراجَعَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عن حكمِه بين صاحب النِّعاج وصاحب مزرعة العِنَب، وما يَلفت النظر في هذه القضية أنَّ مَن صحَّح للملك داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هو ولده سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ قال تعالىٰ: ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً﴾[الأنبياء: ٧٨-٧٩].وملخص القضية: ما جاء عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كرم قد أنبتت عناقيده، فأفسدته، قال: فقضىٰ داود بالغنم لصاحب الكرم، فقال سليمان: غير هذا يا نبي الله! قال: وما ذاك؟ قال: تدفع الكرم إلىٰ صاحب الغنم، فيقوم عليه حتىٰ يعود كما

---

(١) وهبة الزحيلي، **التفسير المنير**، (٢٣/ ١٨٧).

كان، وتدفع الغنم إلىٰ صاحب الكرم فيصيب منها حتىٰ إذا كان الكرم كما كان دفعت الكرم إلىٰ صاحبه، ودفعت الغنم إلىٰ صاحبها[1].

ولقد تراجع داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وعاد إلىٰ الحق ووقَف عنده، ولم يَستنكف مِن أن مَن بيَّن له الخطأَ ولده الذي جاء من صلبِه، وحين يكون القائد وقافًا عند الحق، فإن ذلك يدلُّ علىٰ إخلاص القائد لقضيته، فليس لمن يقف عند الحق من حظوظ النفس حصة، وهو دليل علىٰ التضحية.

وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء:٧٩] دليل أن اجتهاد كل منهم كان علىٰ الصواب، فهو احتراس من أن يفهم أن حكم داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان جوراً[2].

وقد جاء الخطاب القرآني لداود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بأن يشكر الله تعالىٰ، ليس هو فحسب؛ بل هو وآله؛ قال تعالىٰ: ﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣]، ولقد وُفِّق داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ لأنْ يكون عبدًا من عباد الله الشاكرين، والشاكرون هم القلَّة من عباد الله، وقد ورد عن ثابت البناني قال: (كان داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، قد جزَّأ علىٰ أهله وولده ونسائه الصلاة، فكان لا تأتي عليهم ساعة من الليل والنهار إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي، فغمرتهم هذه الآية ﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣])[3].

---

(١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٥/ ٣٥٥).

(٢) الطبري، **جامع البيان** (١٧/ ٥١)، الزمخشري، **الكشاف** (٢/ ٥٨١)، ابن عطية، **المحرر الوجيز** (١٠/ ١٧٦)، ابن العربي، **أحكام القرآن**(٣/ ١٢٦٦)، ابن عاشور، **التحرير والتنوير**(١٧/ ١١٦).

(٣) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**؛ (٣/ ٦٣٨).

وقد روىٰ مسلم عن الرسول ﷺ أنه قال في داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: (**كان أعبد الناس**[1])، وروىٰ البخاري مرفوعـًا: (**أحب الصيام إلىٰ الله صيام داود، كان يصوم يومـًا ويفطر يومـًا، وأحب الصلاة إلىٰ الله صلاة داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه**[2]).

كما نلاحظ في الآيات التي تحدّثت عن داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كثيراً من تلك المعاني التي عبّر عن بعضها (الهرثمي) بقوله: «ينبغي لصاحب الحرب أن يجعل رأس سلاحه في حربه تقوىٰ الله وحده، وكثرة ذكره، والاستعانة به، والتوكل عليه، .، وأن يترك البغي والحقد، وينوي العفو، ويترك الانتقام عند الظفر، إلا بما كان لله فيه رضا»[3].

فإذا كان الملك يأنف أن يكون في رعيته من هو أنفذُ أمراً منه، فكذلك ينبغي له أن يأنف من أن يكون في رعيته من هو أفضل دينـًا منه[4].

ج/ الورع والتواضع:

علّم الله داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ صناعة الدروع، وألان له الحديد: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ [الأنبياء:٨٠]، وقال سبحانه:﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ

(١) **صحيح مسلم**، باب النهي عن صوم الدهر (٢/ ٨١٣)، رقم الحديث (١١٥٩).

(٢) **صحيح البخاري**، كتاب الأنبياء، باب: أحب الصلاة إلىٰ الله (٤/ ١٣٤)، رقم الحديث (١١٣١).

(٣) الهرثمي، أبو سعيد الشعراني، **مختصر سياسة الحروب**، تحقيق: عبد الرؤوف عون، (طبعة وزارة الثقافة المصرية، المؤسسة المصرية العامة)، (ص ١٥).

(٤) الماوردي، **تسهيل النظر**، (ص ١٤٨).

﴿فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ﴾ [سبأ:١٠-١١]، قال قتادة: «وهو أول من عملها ـ أي الدروع ـ من الحلق وإنما كانت قبل ذلك صفائح»[1] والمراد باللبوس في الآية: الدروع، والبأس: القتال.

ووصفها بأنها سابغات: وهي التوامّ الكوامل من الدروع[2]، والتقدير: الإحكام، والمعنىٰ: أحْكَم نسجها فيما يجمع بين الخفة والحصانة، لأنها لما كانت صفائح كانت ثقالاً تعيق المقاتل عن سرعة الحركة، وأمر بالتقدير لئلا يؤدي سردها إلىٰ أن تكون ضعيفة لا تقوىٰ علىٰ الدفاع[3].

أما السّرْد، فقال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: «هو حِلَق الحديد»، قال سيبويه: «معنىٰ سرد الدروع: إحكامها وأن يكون نظام حلقها ولاء غير مختلف..»[4]، قال ابن كثير: «هذا إرشاد من الله تعالىٰ لنبيه داود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في تعليمه صنعة الدروع[5]».

وكذلك كان أيضـًا بعد ملكه، وكان لا يأكل إلا من عمل يده، فقد جاء عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قَالَ: **(مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ)**[6]، قال ابن حجر: «والذي يظهر أن الذي كان يعمله داود بيده

---

(١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** (٣/ ٥٣٥).

(٢) الطبري، **جامع البيان** (١٦/ ٥٤).

(٣) ابن عطية، **المحرر الوجيز** (١٢/ ١٤٧).

(٤) الشوكاني، **فتح القدير**، مرجع سابق، (٤/ ٣١٦).

(٥) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** (٣/ ٥٣٥).

(٦) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب (البيوع)، باب (كسب الرجل وعمله بيده)، برقم (١٩٦٧)، (٢/ ٧٣٠).

هو نسج الدروع، وألآن الله له الحديد فكان ينسج الدروع ويبيعها ولا يأكل إلا من ثمن ذلك مع كونه كان من كبار الملوك [1]».

لقد كان داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قدوة في الورع والتواضع، وكل هذه المعاني تمثلت في شخصية داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، التي رسمت ملامح تلك الشخصية الورعة الملتزمة بحدود الله، كما أنه لم يقارف المال الحرام ولم يتلبّس به، بل كان عمله من قَبْل الملْك - علىٰ اختلاف الأقوال- سليماً من كل شائبة تدنس عفّة ماله.

إنه العمل الدؤوب والهمة العالية العزيزة الأبية المترفعة عن الدنيا وإغراء الحكم، وشهوة السلطة مع اتساعها، فداود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع نبوته وقوة ملكه، إلا أنه كان صاحب حرفة وصنعة تكفيه مؤنته من الطعام والشراب.

لقد احترف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مهنة الحدادة، فقد ألان الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له الحديد حتّىٰ يستطيع أن يشكّل منه ما أراد من الأدوات التي ينتفع منها الناس، ومن بين الأمور التي احترف صناعتها صنع الدروع التي تقي الرجال في الحروب، وقد برع عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في حرفته تلك، حينما كان يقدر حلق الدروع ويحكم صنعتها، حتىٰ ينتفع بها الناس في الجهاد، فحرفته كانت تصبّ في شأن القيادة.

وهذا الفضل الذي أنعم الله به علىٰ داود سماه الله علماً وزاده شرفاً بأن تولىٰ الله جلّ وعلا تعليمه، وفي ذلك «دليل علىٰ تعلم أهل الفضل الصنائع، وأن التحرّف بها لا ينقص من مناصبهم؛ بل ذلك زيادة في فضلهم

(١) ابن حجر، **الفتح**، مرجع سابق، (١٣/ ٢٩).

وفضائلهم، إذ يحصل لهم التواضع في أنفسهم والاستغناء عن غيرهم، وكسب الحلال الخلي عن الامتنان[١]».

وقد كانت حياة داود عَلَيْهِ السَّلَامُ الخاصة تتسم بالبساطة، ولم يعش حياة الرفاهية والترف التي كان يعيشها الملوك في الأمم المجاورة لهم، يقول غوستاف لوبون: «كان داود وسليمان نفسه، وجميع خلفائهم، يعيشون قريبين من الشعب بلا تكلّف، ليّني الجانب تجاه الجميع»[٢].

ولقد ذكر لنا القرآن الكثير من مشاهد الطغاة والجبابرة، الذين أعماهم السلطان والملك والقوة والمال، فتحكموا برقاب الناس واستعبدوهم، وأفسدوا في الأرض أيما إفساد، حتىٰ أخذهم العزيز المقتدر، أما داود عَلَيْهِ السَّلَامُ فقد كان ديدنه التواضع والخضوع والانكسار بين يدي الخالق سبحانه، والرجوع المستمر له بالتوبة والإنابة، كيف لا وهو نبي مرسل، صاحب رسالة سماوية ورؤية أخلاقية، لن يحيد عنها، ولن يطغيه الملك وينسيه هدفه ورسالته.

د/ القوة واتخاذ الصنائع:

وصف الله داود عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ [ص:١٧]، قال ابن كثير: «الأيْد القوة في العلم والعمل»[٣]، فبالقوّة يستطيع

(١) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن** (١٤/ ٢٦٧).

(٢) غوستاف لوبون، ٢٠٠٩م، **اليهود في تاريخ الحضارات الأولىٰ**، ترجمة: عادل زعيتر، تحقيق: محمود النجيري، القاهرة: مكتبة النافذة، ط١، (ص٧٨).

(٣) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٧/ ٤٩).

القائد الثبات في مواقع القتال فيكون بثباته ثبات نفوس الجيش[1]، وهذه مسألة واضحة جداً في باب القيادة، «فالقائد الذي لا يملك القوة، لا يمكن أن يسمّىٰ قائداً، ولكن هذا لا يعني جواز استخدام القوة العنيفة القاسية، بل لا بد من قوّة معتدلة، محقّقة للهدف، تساهم بالمجهود الرامي إلىٰ بلوغ الهدف، وعلىٰ القائد أن يحتفظ بإمكانيات تتيح له القدرة في السيطرة علىٰ عاصفة، أو متاعب تجابهه أثناء الشدّة»[2].

وقد استهان بعض الناس بهذا الشرط المهم للقائد، وقالوا: كفىٰ بالقائد أن يكون صحيح البدن، معافىٰ من الأمراض الخطيرة المزمنة، أو الأمراض التي تؤثر علىٰ العقل، وهذا غير صحيح، فالبدن بالنسبة للنفس البشرية، بمنزلة الآلة للصانع، والسفينة للربان، فإذا كانت الآلة ضعيفة، أو السفينة ضعيفة، فماذا ينفع الصانع والربّان؟ فجودة تركيب الجسم من العظام واللحم والجلد وما يتبعها، تعطي قوة في البدن، وبها يصلح للسعي والتصرف في أمور الدنيا والآخرة[3].

ومع ذلك فإن القوة في كل ولاية بحسبها[4]، وبحيث يستطيع بها أداء المهام والأعمال[5].

---

(١) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (٢/ ٤٩١).

(٢) كورتوا، مرجع سابق، (ص ٣٢).

(٣) الراغب الأصفهاني، **الذريعة**، مرجع سابق، (ص١١٣-١١٤).

(٤) انظر: ابن تيمية، مرجع سابق، (ص١٧)؛ وكذلك: ابن الموصلي، محمد بن محمد بن عبدالكريم، **حسن السلوك الحافظ دولة الملوك**، تحقيق: فؤاد عبدالمنعم، ط١، (الرياض: دار الوطن، ١٤١٦هـ)، (ص ٩٣-٩٤).

(٥) المظهري، مرجع سابق، (١/ ٣٤٨).

وفي قوله سبحانه: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ [الأنبياء:٨٠]، دليل علىٰ جواز اتخاذ الصنائع والأسباب، فالسبب سنة الله في خلقه، وهذه الآية فيها إشارة لحث أهل الإيمان علىٰ العمل والإبداع والأخذ بأسباب النصر علىٰ الأعداء، ومحاربة الفساد بإعداد الجيوش مقودة بقيم الإيمان وتعاليم الرحمن، وشريعة الديان.

وكانت هذه هبة الله فوق الملك والسلطان، مع النبوة والاصطفاء، وذلك أن الله تعالىٰ أنعم علىٰ عبده داود بتسييل الحديد له، أو تعليمه كيف يسيل الحديد الذي هو مادة الإعمار والبناء والتصنيع، ولا شك في خطورة مادة الحديد في صناعة الحضارات وبناء الدول وفي حسم انتصارات الجيوش.

قال القرطبي: «هذه الآية أصل في اتخاذ الصنائع والأسباب، وهو قول أهل العقول والألباب، لا قول الجهلة الأغبياء القائلين بأن ذلك إنما شرع للضعفاء، فالسبب سنة الله في خلقه، فمن طعن في ذلك فقد طعن في الكتاب والسنة، ونسب من ذكرنا -أي داود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ- إلىٰ الضعف[1]».

وكان بنو إسرائيل في ضعف شديد بسبب عدم خبرتهم في صناعة السلاح منذ عهد موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، واستمرّ هذا الحال السّيء في عدم صناعة الأسلحة، وعدم وجود حدّادين، حتىٰ بداية عهد داود، وكانت المفاجأة أنهم لم يكونوا يملكون سلاحًا واحداً من الحديد، وتشهد التوراة بذلك فتقول: (ولم يوجد صانع في كل أرض إسرائيل، لأن الفلسطينيين

(١) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (١١/ ٣٢١).

قالوا: لئلا يعمل العبرانيون سيفًا ورمحًا، بل كان ينزل كل إسرائيل إلىٰ الفلسطينيين لكي يحدّد كل واحد سكينه ومنجله وفأسه ومعوله عندما كلت حدود السكك والمناجل والمثلثات والأسنان والفؤوس وتروس المناسيس، وكان في يوم الحرب أنه لم يوجد سيف ولا رمح بيد جميع الشعب الذي مع شاؤل)[1]، وكانت بداية الاهتمام بصناعة السلاح عند بني إسرائيل ابتداء من عهد داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وفي الجانب المقابل كانت كنعان ذات حضارة وفنون، وكان لديها أنواع كثيرة من الأسلحة، ويرجع ذلك إلىٰ ما كان لديها من صناعات متقدمة يمكن من خلالها عمل أسلحة حربية متعددة[2]، أما بنو إسرائيل، «فكانت الأدوات الحجرية والخشبية أكثر الأدوات انتشاراً، وما كانت الأسلحة نفسها مصنوعة من الحديد، ولا من النحاس، ومن الحق: أن الصوانة[3] التي تؤخذ من السيل، أمضىٰ من الرمح في يد هؤلاء الرعاة الجنود، فبالمقلاع قتل داود جليات الجبار»[4].

(١) **سفر صموئيل١**، إصحاح ١٣، مقطع (١٩-٢٢).

(٢) ظاظا، حسن؛ وعاشور، **أبحاث في الفكر اليهودي**، مرجع سابق، (ص١٣١).

(٣) الصوانة: نوع صلب وشديد من الحجارة، [الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، مادة (صوَن)، (٤/ ٢٤٢).

(٤) غوستاف لوبون، **اليهود في تاريخ الحضارات الأولىٰ**، (ص ٦٥).

هـ/ الشجاعة:

داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان موصوفًا بفرط شجاعته[1]؛ فهو الذي قتل الطاغية (جالوت)، وكان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ (لا يفرّ إذا لاقىٰ)[2].

ولعلّ اتصاف داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالشجاعة هو الذي أبرزه أمام بني إسرائيل، وأوصله في نهاية المطاف إلىٰ القيادة والملك، وذلك لحاجة بني إسرائيل في ذلك الوقت إلىٰ القائد الشجاع للوقوف ضد المدّ الوثني الغاشم، يقول الماوردي: «ولو كان أحدهما أعلم والآخر أشجع روعي في الاختيار ما يوجبه حكم الوقت، فإن كان داعية الحاجة إلىٰ فضل الشجاع أدعىٰ؛ لانتشار الثغور وظهور البغاة كان الأشجع أحق[3]».

وكذلك كان داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فقد أبدىٰ شجاعة فائقة في القيادة والحرب وسط شعب جبان خوار[4].

وقد تبين لنا فيما سبق أن الشجاعة من أحمد الأوصاف التي تلزم الملك وأن حقيقة الشجاعة ثبات الجأش، وذهاب الرعب، وزوال هيبة

---

(١) ابن حجر، **فتح الباري**، (١٣/ ٢٩).

(٢) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب (الأنبياء)، باب قول الله تعالىٰ: (وآتينا داود زبوراً)، (٣/ ١٣٤)، وكذلك: أخرجه مسلم في **صحيحه**، باب النهي عن صوم الدهر، حديث رقم (١٥٩)، (١/ ٧١٤).

(٣) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، ط١، (الكويت: دار ابن قتيبة، (١٤٠٩هـ-١٩٨٩م)، (ص ٨).

(٤) انظر: الغنيمي، مرجع سابق، (ص١٠٨).

الخصم أو استصغاره عند لقائه[1].

ومن شجاعة داود أنه برز بمفرده لقتال الطاغية (جالوت) من غير خوف ولا وجل[2].

وما حال داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وهو الملك القائد صاحب الهمة الكبيرة، إلا كما وصف (الطرطوشي) حال السلطان، إذ قال عنه: «لا يهدأ فكره، ولا تسكن خواطره، ولا يصفو قلبه، ولا يستقرّ لبّه، الخَلْق في شُغل عنه وهو مشغول بهم، والرجل يخاف عدواً واحداً وهو يخاف ألف عدو، والرجل يضيق بتدبير أهل بيته، وإيالة ضيعته، وتقدير معيشته، وهو مدفوع لسياسة جميع أهل مملكته... ثم يُسأل غداً عن جميعهم ولا يُسألون عنه[3]».

---

(١) انظر: الشيزري، عبد الرحمن بن عبد الله بن نصر، **المنهج المسلوك في سياسة الملوك**، تحقيق: علي عبد الله الموسىٰ، ط١، الأردن، الزرقاء: مكتبة المنار، (١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م)، (ص ٢٦٣).

(٢) انظر: ابن الأزرق، **بدائع السلك في طبائع الملك**، (ص ٤٣٠).

(٣) الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد الفهري، **سراج الملوك**، تحقيق: محمد فتحي أبو بكر، ط١، (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م)، (ص١٩٣-١٩٤).



الفصل الرابع

نظرة (الظالمين) في الاختيار

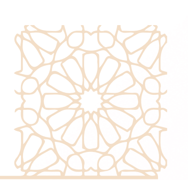
واشتمل علىٰ ثلاثة مباحث

المبحث الأول: معيار (النَّسب)

المبحث الثاني: معيار المال

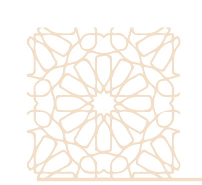
المبحث الثالث: طريقة اختيار (القائد الأعلىٰ)





المبحث الأوّل

معيار (النَّسب)



المطلب الأوّل: بنو إسرائيل طلبوا (النَّسب)

كان أوّل أمر اعترضت به بنو إسرائيل علىٰ تعيين طالوت ملكًا، أن نسبه من أدنىٰ أسباط بني إسرائيل، وذلك أن طالوت يرجع نسبه إلىٰ سبط **بنيامين**.

ولعلّ أقرب من ذكر نسبه إلىٰ الصّحة المؤرخ **ابن خلدون**، حيث قال أن «اسمه عند بني إسرائيل: شاول بن قيس بن أفيل- بالفاء الهوائية القريبة من الباء - ابن صاروا بن نحورث بن أفياح»[1]، وأضاف **الطبري** وغيره بعد (أفيح): «ابن أيش بن بنيامين بن يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم»[2].

وبصرف النظر عن دقة الأسماء، إلا أن المتفق عليه أنه من سبط (بنيامين بن يعقوب)، وقد ذكر العلماء في سبب اعتراضهم أنه من هذا السبط ثلاثة أمور:

أ/ أكثر أهل التفسير علىٰ أنه «كان في بني إسرائيل سبطان: سبط نبوة، وسبط مملكة، وكان سبط النبوة سبط لاوي -إليه موسىٰ- وسبط

(١) ابن خلدون، مرجع سابق، (٢/ ١٠٧).

(٢) الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، مرجع سابق، (١/ ٢٨٠)؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، مرجع سابق، (٢/ ٨)؛ ابن الأثير، **الكامل**، مرجع سابق، (١/ ١٦٥).

المملكة يهوذا - إليه داود وسليمان -، فلما بعث من غير سبط النبوة والمملكة، أنكروا ذلك وعجبوا منه، وقالوا ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ﴾ [البقرة:٢٤٧]؟ قالوا: وكيف يكون له الملك علينا، وليس من سبط النبوة ولا من سبط المملكة؟!»[١].

وقد نقل **الطبري** هذا القول ونسبه بسنده لـ: ابن عباس، رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، والضحاك بن مزاحم، وقتادة، والربيع[٢]، ولكن يُشكل علىٰ هذا القول أنه لم يكن هناك (مملكة) قبل مجيء طالوت! فكيف يكون سبط (يهوذا) هو سبط الملوك -كما زعموا-؟ مع أن أوّل ملك من سبط (يهوذا) كان (داود) عَلَيْهِٱلسَّلَامُ.

ب/ أن ذلك بسبب أن سبط بنيامين «كانوا عملوا ذنبًا عظيمًا، كانوا ينكحون النساء علىٰ ظهر الطريق نهاراً، فغضب الله تعالىٰ عليهم، ونزع الملك والنبوة عنهم، وكانوا يسمونه: سبط الإثم»[٣].

ونسب **أبو حيّان** هذا القول إلىٰ (ابن السائب)[٤]، يعني: الكلبي، وهذا واهٍ جداً لثلاثة أمور:

١/ أن الملك والنبوة لم يكونا في سبط (بنيامين) حتىٰ يُنزع عنهم.

٢/ أن العقوبات الإلهية علىٰ بني إسرائيل، تكون في العادة شديدة

---

(١) الطبري، **جامع البيان**، مرجع سابق، (٥/ ٣١٠)؛ وكذلك: القرطبي، مرجع سابق، (٣/ ٢٤٥)؛ الرازي، مرجع سابق، (٦/ ١٨٧)؛ الزمخشري، مرجع سابق، (١/ ٢٨٨).

(٢) الطبري، **جامع البيان**، مرجع سابق، (٥/ ٣٠٩-٣١٠).

(٣) البغوي، مرجع سابق، (١/ ٢٩٨)؛ وكذلك: الثعلبي، **قصص الأنبياء**، (ص ١٥٧).

(٤) **البحر المحيط**، مرجع سابق، (٢/ ٢٦٦).

وموجعة، بخلاف ما ذكروه.

٣/ أن ذلك لم يروِه إلا ابن السائب الكلبي[١]، ولم ينسب لأحد من أهل الكتاب، ولا وجدناه في (العهد القديم).

٤/ أن سبط (بنيامين) كان سبطًا محتقراً عندهم بشكل عام، ولم يكن ذلك السبط من سادتهم في ذلك الوقت، خصوصـًا بعد تلك المعركة التي جرت بين أسباط بني إسرائيل من جهة، وسبط (بنيامين) من جهة أخرىٰ ولم يبق من سبط بنيامين إلا عدد قليل من الرجال لا يتجاوز الـ سبع مئة رجل.

ولعل هذا هو الصحيح في احتقارهم هذا السبط إذ كان طالوت آنذاك ينتمي إلىٰ أصغر قبيلة[٢]، ولم يكن طالوت حينذاك إلا معدوداً من أجنادهم لا من سادتهم[٣].

وكانت العصبيّة شديدة لديهم، وهي سبب تناحرهم فيما بينهم، قال **ابن خلدون**: «وأكثر ما رسخ الوسواس في ذلك [أي التعصّب للحسب والنسب] لبني إسرائيل، فإنه كان لهم بيت من أعظم بيوت

---

(١) قال الذهبي عنه: العلامة الأخباري أبو النضر بن محمّد السائب المفسّر، وكان رأسًا في الأنساب، إلا أنه شيعي متروك الحديث، يروي عنه ولده هشام وطائفة، انظر: **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، (طبعة مؤسسة الرسالة)، (١١/ ٣٠٩) وقال عنه ابن حجر: محمّد بن السائب أبو النضر الكوفي النسابة المفسرّ، متهم بالكذب ورمي بالرفض، (**تقريب التهذيب**، ط١، حلب: دار الرشيد، ١٤٠٦هـ)، (٢/ ٤٧٩).

(٢) موسكاتي، مرجع سابق، (ص ١٤١).

(٣) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، مرجع سابق، (١/ ٣٢٣) بتصرف.

العالم بالمنبت، أوّلاً: لما تعدد في سلفهم من الأنبياء والرسل من لدن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلىٰ موسىٰ صاحب ملَّتهم وشريعتهم، ثم: بالعصبية ثانياً وما آتاهم الله بها من الملك الذي وعدهم به، ثم انسلخوا من ذلك أجمع، وضربت عليهم الذلّة والمسكنة، وكتب عليهم الجلاء في الأرض، وانفردوا بالاستعباد للكفر آلافاً من السنين، ومازال هذا الوسواس مصاحباً لهم، فتجدهم يقولون: هذا هاروني، هذا من نسل يوشع، هذا من عقب كالب، هذا من سبط يهوذا، مع ذهاب العصبية ورسوخ الذل فيهم منذ أحقاب متطاولة»[١] .

وإنه لعجيب جداً من اليهود الذين بلغوا من الذلّة مبلغها، أن يكون لديهم هذا التمسّك والتعصب للعظمة الوهمية، والانتساب إلىٰ بعض العظماء في عرفهم، سواء كانت عظمتهم بحق أو بغير حق، وهذا هو موضع الخطأ في تعظيم ذي النسب، ويشتد خطره إذا صار كل الأنساب يستعلون علىٰ الناس بأنسابهم دون علومهم وأعمالهم[٢].

ولا شكّ أن علىٰ رأس قائمة المعترضين (الملأ)، وهم أصحاب الجاه والنسب والمال، وهم الذين افتتحت بهم القصّة ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ...﴾[البقرة:٢٤٦]، وهم الذين يمثّلون الصوت الأعلىٰ لأمّة بني إسرائيل، كما أنهم أقدر الناس علىٰ تشكيل الرأي العام وتجييره لصالحهم، وقد يظن البعض أن المعترضين فصيل واحد من أسباط بني

(١) ابن خلدون، مرجع سابق، (١/ ١٣٤)؛ وكذلك: ابن الأزرق، مرجع سابق، (١/ ٥٦).

(٢) محمّد رشيد رضا، مرجع سابق، (٢/ ٢٩٤).

إسرائيل، وذلك حين قراءته لـ (سفر صموئيل)، حيث جاء فيه: (وأما بنو بليعال، فقالوا: كيف يخلّصنا هذا؟ فاحتقروه ولم يقدّموا له هدية)[١].

والصحيح في لفظة (بني بليعال) أنّها لا تدلّ علىٰ عَلَم لقبيلة، وإنما هي صفة تطلق علىٰ المنحطّين والأشرار، وقد جاء في (قاموس الكتاب المقدّس) ما نصّه: «بليعال: اسم عبري معناه: عديم الفائدة أو شرير، وهو اسم كان كتّاب الأسفار المقدسة يلقّبون به من كان ذميمًا ولئيمًا لا يخاف الله ولا يهاب إنسانًا»[٢].

ولكن بإمكاننا نحن المسلمين أن نعترض أن المتحدّثين لم يكونوا هم الأشرار والسفهاء فقط، بل كانوا أكثر من ذلك، كانوا وجهاء وأصحاب كلمة مسموعة، وكانوا يمثّلون التيار العريض، وإلا فما فائدة الدخول معهم في جدال وحوار طويل، ثم بعد ذلك أيضًا يؤتىٰ بالتابوت إثباتًا لهم علىٰ صحة ملكه، ولذلك فإن القرآن نسب هذا القول إلىٰ جميع بني إسرائيل بقوله: ﴿قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا ...﴾[البقرة:٢٤٧] ولم يقل: قال شرارهم أو بعضهم، وإنما كان هؤلاء المتحدّثون يتحدثون باسم الكل، وهم (الملأ) الذين قال الله عنهم في أوّل القصّة ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ﴾[البقرة:٢٤٦].

---

(١) **سفر صموئيل الأول**، الإصحاح ١٠، المقطع ٢٧، وممن ظن ذلك (ابن عاشور) حيث قال: «ففي سفر صموئيل: أن الذين لم يرضوا به هم بنو بليعال، والقرآن ذكر أن بني إسرائيل قالوا: أنىٰ يكون له الملك علينا، وهو الحق» **التحرير والتنوير**، (٢/ ٤٩١).

(٢) **قاموس الكتاب المقدس**، الموقع الرسمي لكنيسة الأنبا نكلاهيما نوث القبطية الأرثوذكسية، في الاسكندرية، مادة (بليعال).

وأقوىٰ دليل علىٰ أنهم كانوا سادة القوم أنهم قالوا: ﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ﴾[البقرة:٢٤٧]، فهل ادّعاء أحقّية الملك يقوله أراذلهم، أم سادتهم وأشرافهم؟

المطلب الثاني: اعتبار (النّسب) في المُلك

يشكّك الأستاذ محمّد عبده في أن المقصود بالآية ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾ [البقرة:٢٤٧] هو النّسب[1] إذ يقول: «القرآن لم يصرّح بأن ذلك هو وجه قولهم أنهم أحق بالملك، وفي المسألة نظر لا محلّ هنا لبسطه، ولكن نقول بالإجمال أن الانتساب إلىٰ أهل الشّرف الحقيقي، وهم أصحاب المعارف الصحيحة والأخلاق الفاضلة، والنفوس الكريمة العزيزة له أثر في النفس عظيم، فإن سبيل الشرفاء جدير بأن يحافظ علىٰ كرامة نفسه فلا يدنّسها بالخيانة، ثم إنه لا بد أن يرث شيئاً من فضائلهم النفسية، فيكون استعداده للخير أعظم في الغالب.

وإنك لتجد الأمم الراقية في العلم والاجتماع تختار ملوكها من سلالة الملوك والأمراء، وتحافظ علىٰ قوانين الوراثة في ذلك ...».

وهنا تأتي مسألة اشتراط (القرشيّة) في الإمام في الإسلام، وهي مسألة متفق عليها بين علماء الإسلام حتىٰ قال **الشنقيطي**: «دلت الأحاديث الصحيحة علىٰ تقديم قريش في الإمامة علىٰ غيرهم، وأطبق عليه جماهير

---

(١) وهذا ما جعل (ابن عاشور) أيضاً يُعرض صفحاً عن قضية (النسب)، ويركز علىٰ أنهم كانوا «قادة وعرفاء، وشاول رجل من السوقة»، **التحرير والتنوير**، مرجع سابق، (٢/ ٤٩١).

العلماء من المسلمين، وحكىٰ غير واحد عليه الإجماع»[1]، وقد نقل الإجماع أيضـًا **الماوردي**[2].

والذي يهمّنا من ذلك: الحكمة من وجود النّسب، وهو ما أشار إليه **ابن خلدون** بقوله: «إذا بحثنا عن الحكمة في اشتراط النسب القريشي ومقصد الشارع منه، لم يقتصر فيه علىٰ التبرّك بوصلة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما هو المشهور، وإن كانت تلك الوصلة موجودة والتبرك بها حاصلاً، لكن التبرّك ليس من المقاصد الشرعية - كما علمت - فلا بدّ إذن من المصلحة في اشتراط النسب، وهي المقصودة من مشروعيتها، وإذا سَبرَنَا وقسمنا لم نجدها إلا اعتبار العصبيّة التي يكون بها الحماية والمطالبة، ويرتفع الخلاف والفرقة بوجودها لصاحب المنصب، فتسكن إليه الملة وأهلها، وينتظم حبل الألفة فيها»[3].

ثم أشار إلىٰ أن العلّة مطّردة في كل جيل وكل عصر، وهو اشتراط أن يكون الحاكم من أولي عصبة قوية غالبة، وذلك من أجل الائتلاف ووحدة الصف[4].

وأما في حال بني إسرائيل، فقد كانت العصبية لديهم عصبية وهميّة، لا تحمي ولا تجمع الكلمة، بل كانت صفة اللؤم والتحاسد والبغضاء مسيطرة عليهم، حتىٰ داخل السبط الواحد، وكانوا بحاجة إلىٰ صياغة

(١) الشنقيطي، مرجع سابق، (١/ ٢٤).

(٢) الماوردي، **الأحكام السلطانية**، مرجع سابق، (ص ٥).

(٣) ابن خلدون، مرجع سابق، (١/ ٢٤٤).

(٤) المرجع السابق، (١/ ٢٤٥).

نفسية جديدة لتكوين مجتمع متماسك يدافع عن الدّين والأرض والعرض، وبالتالي تبقىٰ قضية (النسب) قضية هامشية جداً، في ظل الفوضىٰ الأخلاقية والإنسانية في ظل مجتمع كالمجتمع الإسرائيلي.

كما أن العصبيّة الدينية والآيديولوجية العقائدية أقوىٰ من رابطة الدم والنسب، وهذا أمر لا انفكاك من القول به لمن قرأ التاريخ الماضي وعاين العصر الحاضر، ففي ظل الرابطة الدينية يتماهىٰ التعصّب للقوميات والعرقيات، ولا يبقىٰ إلا صراع الأفكار والعقائد.

ونستطيع أن نستلهم من مجيء (التابوت) وفيه ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾ [البقرة:٢٤٨] أن الاجتماع والتعصّب علىٰ إرث الأنبياء، وهو الشريعة والدين، أولىٰ من التعصّب للقبيلة والسبط.

المطلب الثالث: القيادة سمة ذاتية

في الآيات التي معنا دلالة واضحة علىٰ أن القيادة والإمامة تنبع من ذات الشخص، لإنكار الله علىٰ بني إسرائيل في اعتمادهم النسب كمقياس أوّلي واعتباري في الاختيار.

وبيّنت الآيات أنه لا حظّ للنسب مع العلم والمعرفة وفضائل النفس والجسد، وأنّها مقدّمة عليه وإن كان الآخرون أشرف منه نسباً [1]، «وهذا يدل علىٰ بطلان قول من يقول: إن الإمامة موروثة»[2].

(١) أبو حيان، مرجع سابق، (٢/ ٢٦٧) بتصرف.

(٢) الفخر الرازي، مرجع سابق، (٦/ ١٨٨)؛ وكذلك: البقاعي، مرجع سابق، (٣/ ٤١٨).

ولذلك فقد اختار الله من بعد (طالوت) داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ليكون ملكًا ﴿ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ ﴾[البقرة:٢٥١]، ولم يجعل ابن طالوت ملكًا عليهم بالوراثة لعدم أهليته للقيادة.

وكذلك كان النبي (صموئيل) عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، لم يفكر في ترشيح أحد ابنيه للملك، وقد كان عنده ابنان (يوئيل) و(أبيا)[١].

ولا إشكال في وراثة سليمان للملك من أبيه داود عليهما السلام، كما قال ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴾[النمل:١٦]، فقد اتفق المفسّرون علىٰ أن الإرث هنا هو إرث العلم والملك، وليس هو إرث المال.

فسليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان قد اكتسب كل المواصفات التي تؤهّله لأن يكون ملكا من كمال العلم والجسم، وكان في غاية الحكمة منذ عهد أبيه داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، حتىٰ قال الله في إحدىٰ قضايا الحكم والقضاء مقارنًا بين الوالد وولده:﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾[الأنبياء:٧٩].

وفي آية: ﴿ وورث سليمان داود﴾ أيضًا تلميح لسبب الإرث بقوله: ﴿ وعلِّمنا﴾، فكان ذلك أحد أهمّ أسباب تنصيبه ملكًا عليهم بعد والده.

وقد كان لسليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أخٌ أكبر منه، ألا وهو (أبشالوم) ولكنه لم يكن له من المؤهلات وسعة العلم والحكمة مثلما كان لأخيه الأصغر سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ[٢]، وأضاف **ابن خلدون** فوق ذلك سببين هما:

---

(١) **سفر صموئيل الأول**، الإصحاح ٨ .

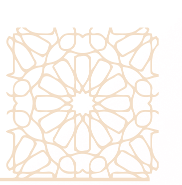
(٢) تحدثت التوراة عن صراع طويل بين(داود) عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وابنه (ابشالوم) الذي قاد ثورة ضد أبيه انتهت بمقتله، والله أعلم بصحة ذلك؛ وذلك في **سفر صموئيل الثاني**، الإصحاح (١٣-١٥) .

١-اختصاص سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ بالنبوّة، وهي غاية العلم والحكمة.

٢-أن وضع بني إسرائيل كان بحاجة إلىٰ انفراد سليمان بالملك[1].

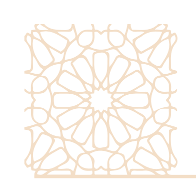
فبنو إسرائيل إلىٰ ذلك الوقت كانوا لا يمتلكون الأبجديّات السياسيّة لتنصيب الملك المناسب، كما أنهم كانوا في فترة حروب مع دول الجوار، وهم بحاجة إلىٰ مُلك يضمن الاستقرار الداخلي.

(١) ابن خلدون، مرجع سابق، (١/ ٢٥٧).



المبحث الثاني:

معيار المال



المطلب الأوّل: عبادة اليهود المال:

ليس في تاريخ البشريّة أمّة اشتهرت بحبّ المال والسعي إلىٰ جمعه كما اشتهر اليهود، فقد سلكوا في سبيل الوصول إليه كل الطرق المشروعة وغير المشروعة، حتىٰ ما كان بعيداً عن المروءة، وأسرفوا في الحرص علىٰ جمع المال إلىٰ حد العبادة، حتىٰ أن عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ خاطب بني إسرائيل قائلاً: (لا تعبدوا رَبّين: الله والمال)[(١)].

وقد أشار القرآن إلىٰ نماذج من حرص يهود علىٰ المال وعبادتهم له، وبخلهم به، قال تعالىٰ: ﴿أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾ [النساء:٥٣]، والنّقير: تصوير لأيسر الأشياء وأقلّها وأتفهها، وهو النقرة التي تكون علىٰ ظهر النواة، وهي مثال للصّغر والقلة، ولا تساوي شيئاً، ومع ذلك يبخل بها يهود ولا يقدمونها، فالآية تخبرنا بكل وضوح أنّهم لو كان لهم نصيب من الملك، بأن كان المال وتوزيعه، والرزق وتقسيمه لهم، فإنهم سيبخلون به، ولا يعطون الناس منه شيئاً.

وقد سجّل لنا التاريخ نَهَم اليهودي للمال، وجشَع اليهودي في جمعه، وحرص اليهودي علىٰ الاستئثار به، وجعله وسيلة لاستعباد

---

(١) طبارة، عفيف عبد الفتاح، **اليهود في القرآن**، ط١٠، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤م)، (ص ٣٢) بتصرف.

الآخرين وإذلالهم، ولنشر الفواحش والرذائل، ومحاربة الحق والفضيلة والطهر والعفاف[1].

ولعل ذلك يرجع إلىٰ عقيدتهم الماديّة فهم لا يؤمنون إلا بهذه الحياة الماديّة، ولا حياة أخرىٰ عندهم، فهم كما قال الله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ﴾ [الممتحنة:١٣]، فهم قد انقطع أملهم من ثواب الدار الآخرة بسبب نكرانها.

ولهذا فإننا لا نجد ذكراً للدار الآخرة في توراتهم المحرّفة، يقول **ديورانت**: «إن اليهود قلّ ما يشيرون إلىٰ حياة أخرىٰ بعد الموت ولم يرد في دينهم شيء من الخلود، وكأنّ ثوابهم وعقابهم مقصورين علىٰ الحياة الدنيا»[2]، هذا هو شأنهم في ماضيهم، وهذا هو حالهم في حاضرهم، وما دامت هذه طبيعتهم فسيظل هذا شأنهم أيضـاً في مستقبلهم.

وحب المال ليس مقتصراً علىٰ أمّة اليهود، ولكنّهم وصلوا في شدّة حبّه إلىٰ حدّ العبادة، وإلا فالنظرة البشريّة تميل بطبيعتها إلىٰ حبّ المال حتىٰ قال الله: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾[الفجر:٢٠]، وقد جاء من حديث كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: (ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء علىٰ المال والشرف لدينه)[3].

---

(١) الخالدي، **الشخصية اليهودية**، مرجع سابق، (ص ٢٣٧).

(٢) ديورانت، مرجع سابق، (٢/ ٣٤٥).

(٣) أخرجه أحمد في **مسنده**، برقم ١٥٧٨٤، (٢٥/ ٦١)، وقال أحمد شاكر في تعليقه: إسناده صحيح، وأخرجه الترمذي في **سننه**، أبواب الزهد عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب (ما ذئبان جائعان)، برقم ٢٣٧٦، (١٦٦/ ٤)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، باب ماجاء في الحرص وما يتعلق به، برقم (٣٢٢٨)، (٨/ ٢٤).

قال **ابن رجب**: «هذا مثل عظيم جداً ضربه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لفساد دين المرء بالحرص على المال والشرف في الدنيا»[١]، ثم قال متحدثًا عن قضية خطيرة تصوّر حال بني إسرائيل الطالبين للملك والجاه والشرف: «وأما حرص المرء على الشرف فهو أشدّ إهلاكًا من الحرص على المال، فإن طلب شرف الدنيا والرفعة فيها والرياسة على الناس والعلوّ في الأرض أضرّ على العبد من طلب المال، وضرره أعظم، والزهد فيه أصعب، فإن المال يبذل في طلب الرياسة والشرف»[٢].

ولعَمرْ الله إن هذين الأمرين (الحرص على المال والشرف) هما الداء القاتل لمن يبحث عن القيادة بغير حقّها، أو لم يكن أهلاً لها.

وقد أبدى بنو إسرائيل رأيهم في قضية المال الذي يملكه طالوت، ووقع في نفوسهم أن ما يملكه طالوت لا يكفي للقيام بشؤون الملك، وكفاية الأمّة في نوائبها وإغاثة الملهوف وتجهيز الجيش والعطاء الواسع، فإذا كان لا يملك هذا المال فكيف سيكون ملكًا علينا؟! «وإنما قالوا هذا لقصورهم في معرفة سياسة الأمم ونظام الملك، فإنهم رأوا الملوك المجاورين لهم في بذخ وسعة، فظنوا ذلك من شروط الملك»[٣]، وكأن ملوك الدنيا يدفعون كل ذلك من أموالهم الخاصة.

وأمر آخر مركوز في الطباع البشريّة الخاطئة، وهي استحقار الفقراء

---

(١) ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي، **ذم المال والجاه**، نسخة الكترونية، (السعودية: دار القاسم، موقع: الكتيبات الإسلامية)، (ص ٦).

(٢) المرجع السابق، (ص ١٤).

(٣) ابن عاشور، مرجع سابق، (٢/ ٤٩١).

والرعاع من الناس الذين لم يوسّع الله عليهم في المال[١]، وكل ذلك ناشئ من فتنة استصنام المال لدىٰ كثير من البشر[٢].

ونلاحظ أن أغلب المفسّرين مطبقون علىٰ أن طالوت كان فقيراً، ما عدا صاحب (تفسير المنار)، وكما اعترض سابقًا علىٰ ذكر المفسّرين لقضية (النسب)، يعترض هنا أيضًا علىٰ تتابع المفسّرين بذكر (فقر) طالوت، حيث قال: «ونفيهم [يعني بني إسرائيل] سعة المال التي تؤهله للملك في رأي القائلين لا تدل علىٰ أنه كان فقيراً، وإنما العبرة في العبارة هي ما دلت عليه طباع الناس»[٣].

وما ذكره حق وتدل عليه الآية بكل وضوح ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ﴾[البقرة: ٢٤٧]، إذ مفهوم المخالفة من ذلك أنه أوتي مالاً قليلاً يكفيه ولا يتوسّع فيه، ولو كان فقيراً لقالوا: ولم يؤت شيئًا من المال، ولفظة (السَّعة) تدلّ علىٰ الغنىٰ والثراء، فالنفي جاء لـ(السعة) وليس لأصل وجود المال.

المطلب الثاني: الأوصاف الذاتية مقدمة على الخارجية

عامّة الناس ودهماؤهم غالبًا ما ينظرون إلىٰ ما في أيدي الكبراء، وتبهرهم الأضواء والمظاهر الخداعة، فيظنون أن صاحب المال هو أولىٰ الناس بالقيادة؛ لأنه هو الكبير في عيونهم، «أما العقلاء فإنهم يؤهلون لذلك

(١) أبو حيان، مرجع سابق، (٢/ ٢٦٦) بتصرف.

(٢) البقاعي، مرجع سابق، (٣/ ٤١٧) بتصرف.

(٣) **تفسير المنار**، مرجع سابق، (٢/ ٤٧٧).

من كان حكيماً فاضلاً، فإن الحكمة والفضيلة هي التي تعطي الرياسات والسيادة الحقيقة»[1].

وجمهور بني إسرائيل في نظرتهم إلىٰ المال كان لديهم إشكال كبير في التصوّر، وفي التعامل، فقد أخطاؤا حين ظنوا أن المال هو الذي يجلب لهم النصر والسعادة، وما علموا أن «العلم والعقل سعادة وإقبال وإن قلّ معها المال، وضاقت معها الحال، والجهل والحمق حرمان وإدبار، وإن كثُر معها المال، واتسعت معهما الحال»[2].

وماذا سينفعهم المال أمام الأعداء بدون الرجال، « فإن المال غادٍ ورايح، لا عبرة بوجوده وفقده»[3]، كما أن الملك ولو كان ذا ثروة، فثروته لا تكفي لإقامة أمور المملكة؛ بل المال تجلبه الرعّية، والملك يسوسه ويدبّره[4].

ولذلك فإنه لا يلتفت إلىٰ المال بالنسبة لاختيار القائد، لا كشرط ولا حتىٰ مزيّة؛ فإن القائد إذا توفرت فيه المؤهلات المطلوبة استطاع بسهولة أن يأتي بالمال[5].

قال ابن عاشور: «ولم يعلموا أن الاعتبار بالخلال النفسانية، وأن

---

(١) ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمّد، **تهذيب الأخلاق في التربية**، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، (ص٩٨).

(٢) الماوردي، **أدب الدنيا والدين**، مرجع سابق، (ص ٤٩).

(٣) المظهري، مرجع سابق، (١/ ٣٤٨).

(٤) ابن عاشور، مرجع سابق، (٢/ ٤٩١) بتصرف.

(٥) محمّد رشيد رضا، مرجع سابق، (٢/ ٤٧٨) بتصرف.

الغنىٰ غنىٰ النفس، لا وفرة المال، وماذا تجدي وفرته، إذا لم يكن ينفقه في المصالح»[1].

وقال أبو حيّان: «أخبرهم نبيّهم أن الله تعالىٰ قد اختاره عليكم، وشرّفه بخصلتين هما في ذاته إحداهما: الخَلق العظيم، والأخرىٰ: المعرفة التي هي الفضل الجسيم، واستغنىٰ بهذين الوصفين الذاتيين عن الوصفين الخارجين عن الذات، وهما الفخر بالعظم الرميم، والاستكثار بالمال الذي مرتعه وخيم»[2].

ومن لطائف ما ذكره الفخر الرازي المقارنة بين تلك الصفات مقارنة شائقة إذ قال: «طعنوا [أي بني إسرائيل] في استحقاقة للملك بأمرين؛ أحدهما: أنه ليس من أهل بيت الملك، والثاني: أنه فقير.

والله تعالىٰ بين أنه أهل للملك وقرر ذلك بأنه حصل له وصفان؛ أحدهما: العلم، والثاني: القدرة، وهذان الوصفان أشد مناسبة لاستحقاقه الملك من الوصفين الأوّلين، وبيانه من وجوه:

أحدها: أن العلم والقدرة من باب الكمالات الحقيقية، والمال والجاه ليسا كذلك.

والثاني: أن العلم والقدرة من الكمالات الحاصلة لجوهر نفس الإنسان، والمال والجاه أمران منفصلان عن ذات الإنسان .

الثالث: أن العلم والقدرة لا يمكن سلبهما عن الإنسان، والمال

---

(١) ابن عاشور، مرجع سابق، (٢/ ٤٩٠).

(٢) **البحر المحيط**، مرجع سابق، (٢/ ٢٦٨).

والجاه يمكن سلبهما عن الإنسان.

الرابع: أن العلم بأمر الحروب، والقوي الشديد علىٰ المحاربة يكون الانتفاع به في حفظ مصلحة البلد، وفي دفع شر الأعداء أتمّ من الانتفاع بالرجل النسيب الغني، إذا لم يكن له علم بضبط المصالح وقدرة علىٰ دفع الأعداء، فثبت بما ذكرنا أن إسناد الملك إلىٰ العالم القادر، أولىٰ من إسناده إلىٰ النسيب الغني»[(١)].

ومن أخطر الأمور التي تسارع بإسقاط القيادات، أن يكون مقياس اختيار القائد هو (سعة المال)، قال **الماوردي**: «قيل في منثور الحكم: المال ربّما سوّد غير السيد، وقوّىٰ غير الأيّد، فإذا انتقل به الملك كان أوهىٰ الأسباب قاعدة وأقصرها مدة، لأن المال ينفذ مطامع طالبيه، ويذهب باقتراح الراغبين فيه، وقد قيل: من ودّك لأمر ولىّ مع انقضائه... فإن اقترن بسبب يقتضي ثبوت الملك ثبت، وإلا فهو وشيك الزوال، سريع الانتقال»[(٢)].

(١) الرازي، مرجع سابق، (٦/ ١٨٧)، وقد أطال (ابن القيم) في ذكر فضل العلم علىٰ المال بكلام نفيس جداً، وذكر أربعين وجهاً في سبب تفضيل العلم علىٰ المال، في كتابه: **مفتاح دار السعادة**، مرجع سابق، (ص ١٢٩-١٣٦).

(٢) الماوردي، **تسهيل النظر**، مرجع سابق، (ص١٥٦-١٥٧)، بتصرف يسير.





المطلب الأوّل: توسيع دائرة الترشيح للقيادة

الأمر الذي أثار (الملأ)، وأكّد استغرابهم، أنهم رأوا طالوت قادماً من بين عامّة طبقات المجتمع، ولم يكن معروفاً لديهم، ولا له سمعة تسبق مجيئه وبعثه، فهو من خارج الدائرة التي يتوقعونها، ألا وهي دائرة الوجهاء وأصحاب السُّمعة وذوي النفوذ المالي وزعماء القبائل، وجاء طالوت ذاك الرجل المغمور من بين طبقات الكادحين والفقراء، في زمن كان يقدّس الوجاهة والمال، ولم يكن يعترف بالمؤهلات النفسية والذاتية.

ومنذ أوّل يوم جاء تعريفه بواسطة النبي عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بأنه ملك، وليس قائداً عسكرياً فقط، أو أنه تحت النظر والتجربة فترة من الزمن؛ لا كما يظن بعض الكتّاب أن (طالوت) لم ينصّب ملكاً إلا بعد انتصاره على الفلسطينيين الذين احتلوا مدينة (جبع)، ثمّ نصب ملكاً بعد ذلك نتيجة هذا الإنجاز[1].

إن النبي (صموئيل) عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ طبق المواصفات والمعايير المطلوبة للقائد النافع للأمّة في ذلك الوقت، بصرف النظر هل هو أفضل الناس أم لا من حيث التقوىٰ والورع وغير ذلك من مقاييس المفاضلة الشخصيّة التي

(١) الأحمد، مرجع سابق، (ص٤٤)، نقلًا عن Lods، 2/351.pp..Israel/.

قال الله فيها: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[الحجرات:١٣].

ومن المعلوم لزوماً أن النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ أفضل من (طالوت) ولا شك، ولكنّ القصّة تدلنا بكل وضوح علىٰ جواز إمامة المفضول مع وجود الفاضل، وهذا ما ذهب إليه أكثر أهل السّنة،[١]، حتىٰ ادّعىٰ (ابن حزم) الإجماع علىٰ جواز ذلك[٢] .

وقد نبّه (الجويني) علىٰ قضيّة مهمة ينبغي الالتفات إليها في قضية الفاضل والمفضول حيث قال: «والذي يتعيّن الوقوف عليه في صدر الباب، أن الذي يقع التعرّض له من الفضل، والقول في الفاضل والمفضول، ليس هو علىٰ أعلىٰ القدر والمرتبة وارتفاع الدرجة والتقرب إلىٰ الله تعالىٰ في عمله وعلمه، فربّ ولي من أولياء الله هو قطب الأرض وعماد العالم، لو أقسم علىٰ الله لأبّره، وفي العصر من هو أصلح للقيام بأمور المسلمين منه، فالمعني بـ(الفضل) استجماع الخلال التي يشترط اجتماعها في المتصدّي للإمامة، فإذا أطلقنا الأفضل في هذا الباب، عنينا به الأصلح للقيام علىٰ الخلق بما يستصلحهم»[٣].

وهذا الأمر قد أفتىٰ به الإمام أحمد بن حنبل حينما سئل عن الرجلين يكونان أميرين في الغزو؛ أحدهما: قوي فاجر، والآخر: صالح ضعيف، مع أيهما يُغزىٰ؟ قال: (أما الفاجر القوي فقوّته للمسلمين وفجوره علىٰ

(١) لمناقشة قضية (إمامة المفضول) باستفاضة ينظر كتاب: الدميجي، **الإمامة العظمىٰ**، مرجع سابق، (ص٣٠٦ – ٢٧٦).

(٢) ابن حزم، مرجع سابق، (٤/ ١٦٤).

(٣) الجويني، مرجع سابق، (ص ١٢٢).

نفسه، وأما الصالح الضعيف فصلاحه لنفسه وضعفه علىٰ المسلمين، فيُغزىٰ مع القوي الفاجر)[1].

فإذاً الأقدر علىٰ تحقيق أهداف القيادة هو الأولىٰ بالتنصيب، سواء كان فاضلاً أو مفضولاً.

وفي اختيار الله تعالىٰ رجلا من عامّة الناس وليس من وجهائهم أسرار في غاية اللطافة، منها:

١/ أن النبي عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أراد أن تبقىٰ لهم حالتهم الشورويّة قدر الإمكان؛ فالقائد حينما تكون قدمه في القيادة غير راسخة، لا يخشىٰ منه أن يشتّد في استعباد رعيّته[2].

٢/ أن القائد يكون أدرىٰ بمعاناة مرؤوسيه، وما يحسّون به من آلام، وما يعيشونه من طموحات وآمال.

٣/ حرص القائد علىٰ خدمة جميع فئات المجتمع، وحلّ مشاكلهم، ورعاية مصالحهم.

٤/ القائد بذلك يكون أقرب للتواضع مع من تحته، رحيماً بمن تولّىٰ عليهم.

---

(١) ابن تيمية، **السياسة الشرعية**، مرجع سابق، (ص ١٦).

(٢) ابن عاشور، مرجع سابق، (٢/ ٤٩٠).

المطلب الثاني: الاختيار لا يكون لدهماء الناس

استند المعارضون لتنصيب (طالوت) ملكًا، بأن جمهور الناس وغالبيتهم سيختارونهم ويفضلونهم علىٰ طالوت[1]، وهذا أمر مغروس في نفوس أهل الجهالة، وتتشوّف إليه نفوس عامّة الخلق «إذ سابق الرئاسة والجاه والملاءة بالأموال مما يستتبع الرجال، ويستعبد الأحرار»[2].

والسبب في هذا أنهم قد اعتادوا الخضوع للشرفاء والأغنياء، وإن لم يكونوا أفضل منهم بالمعارف والصفات الذاتية[3]، فعقول عامّة الناس ربّما لا تستوعب النظر في أمور السياسة، وما يصلح لهم وما يضرّهم، وهذا من أعظم مفاسد الفكر (الديمقراطي) المعاصر في اختيار القادة والزعماء[4].

إذ إن أصحاب الأموال غالبًا هم من يستطيع القيام بالأعمال الدعائية لانتخابه، وهم الذين يموّلون الإعلام الذي يصنع عقول الناس، ويشكل الرأي العام.

إن الديمقراطية التي تعتمد في انتخاب القيادة علىٰ الأصوات

(١) ابن عاشور، مرجع سابق، (٢/ ٤٩١).

(٢) أبو حيان، مرجع سابق، (٢/ ٢٦٨).

(٣) محمّد رشيد رضا، مرجع سابق، (٦/ ٤٧٧).

(٤) لمعرفة النموذج الديمقراطي فيمن له أحقية الانتخاب ينظر كتاب: آلان ثورين، **ما الديمقراطية**، ترجمة: عبود كاسوحة، د.ط (دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٠م)، (ص٣٨) وما بعدها؛ تشارلز تيللي، **الديمقراطية**، ترجمة: محمّد فاضل طباخ، ط١، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، (٢٠١٠م)، (ص٢٠٣-٢٢٥).

المتساوية لجميع أفراد الشعب الذين بلغوا السن القانوني للانتخاب، بدون مراعاة مقياس العلم والفهم للشعوب، هي في الحقيقة تسير بالشعوب الجاهلة إلىٰ الهاوية؛ لأن الأمم في طور الجهل ترىٰ أن أحق الناس بالقيادة والزعامّة أصحاب الثروات الواسعة.

«وهذا الاعتقاد من السنن العامّة في الأمم الجاهلة خاصة، فإنّها هي التي تخضع لأصحاب العظمة الوهمية... ومن عجيب أمر الناس أن كلاً منهم يحسب أنه يعرف الصواب في السياسة والنظام في الأمم والدول، فلا تعرض مسألة علىٰ عامي إلا ويبدي فيها رأياً يقيم عليه دليلاً.

علىٰ أن هذا العلم هو أعلىٰ من سائر العلوم التي يعترف الجاهلون بها بجهلهم، فلا يحكمون فيها كما يحكمون في علم السياسة والاجتماع، وما يعقله إلا الأفراد من الناس» [(١)].

ولنا أن نتصوّر كيف أنه لو فُتح الباب لعامّة بني إسرائيل بالانتخاب، وهم في غاية الجهالة والظلم، فمن الذي سينتخبوه إلا من جنس ما يحبونه ويولعون به؛ فلا يفرز انتخابهم سوىٰ ظالم مستكبر.

وفي حالة بني إسرائيل هذه، التي لم يتهيأ فيها المناخ المناسب للشورىٰ والاختيار بحال من الأحوال، مع انعدام الرؤية والخبرة لواقع الملوك، نزلت عليهم رحمة الله، فجاء اختيار (طالوت) بـ(النصّ)، ولم يكن لبني إسرائيل رأي أو مشاركة في ذلك الاختيار، يقول **الجويني**: «ولو ثبت النص من الشارع علىٰ إمام، لم يشكّ مسلم في وجوب الاتباع علىٰ

(١) محمّد رشد رضا، مرجع سابق، (٢/ ٤٩٣).

الإجماع، فإن بذل السمع والطاعة للنبي واجب باتفاق الجماعة».[1]

المطلب الثالث: المؤهلون لاختيار (القائد الأعلى)

من يختار القائد الأعلىٰ أو الحاكم، ينبغي أن يكون علىٰ مستوىٰ من الأهليّة تمكّنه من الاختيار الصحيح، ولا يترك الأمر لغوغاء الناس.

ولما رأىٰ بنو إسرائيل أنهم غير مؤهلين للاختيار، بسبب أوضاعهم وظلمهم وجهلهم، كلفوا من ينوب عنهم في الاختيار، فكان ممثّلاً عن أمّة بني إسرائيل جمعاء، وهو النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وهذا واضح من مجيء الملأ من بني إسرائيل إلىٰ نبي الله (صموئيل) وتعيينه ممثلاً عن الأمّة في تنصيب الملك ﴿إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٤٦].

ومهمة تمثيل الناس تتركز في النظر في مصالح الأمّة الدينية والدنيوية، والذين يمثلون الشعب هم خيارهم من أصحاب التخصصات التي تمسّ واقع الناس في الدين والدنيا، ومن الأفضل أن يكون لأهل كل منطقة أو بلد من يمثّلهم في هذا المجلس، حتىٰ يقع الرضا من عامّة الناس، ويسلموا للاختيار[2]، وفي الغالب يلزم جميع الناس ما اختاره الممثّلون

---

(١) الجويني، مرجع سابق، (ص ١٩)، وننبه هنا إلىٰ خطأ بعض الكتّاب في نسبة انتخاب طالوت للشعب الاسرائيلي، وللمثال علىٰ ذلك ينظر كتاب: روجيه جارودي، **فلسطين أرض الرسالات السماوية**، (ص٧٣).

(٢) الماوردي، **الأحكام السلطانية**، مرجع سابق، (ص ٦).

عنهم، ويكون الناس لهم تبع في الاختيار[1].

ومن يمثّل الأمّة ينبغي أن يكون قد توفرت فيه كل الشروط المعتبرة، والتي أساسها ثلاثة شروط:

١/ العدالة ، ٢/ العلم، ٣/ الرأي والحكمة[2].

وفي وضع أمّة بني إسرائيل لم يجدوا سوىٰ النبي صموئيل قد توافرت فيه هذه الشروط، وهو قبل هذه الشروط (نبي)، فهو الشخص الوحيد المرجِّح في حالة اختلافهم وتفرقهم، وهو الشخص الذي يقبل قوله جمهور أمّة بني إسرائيل[3].

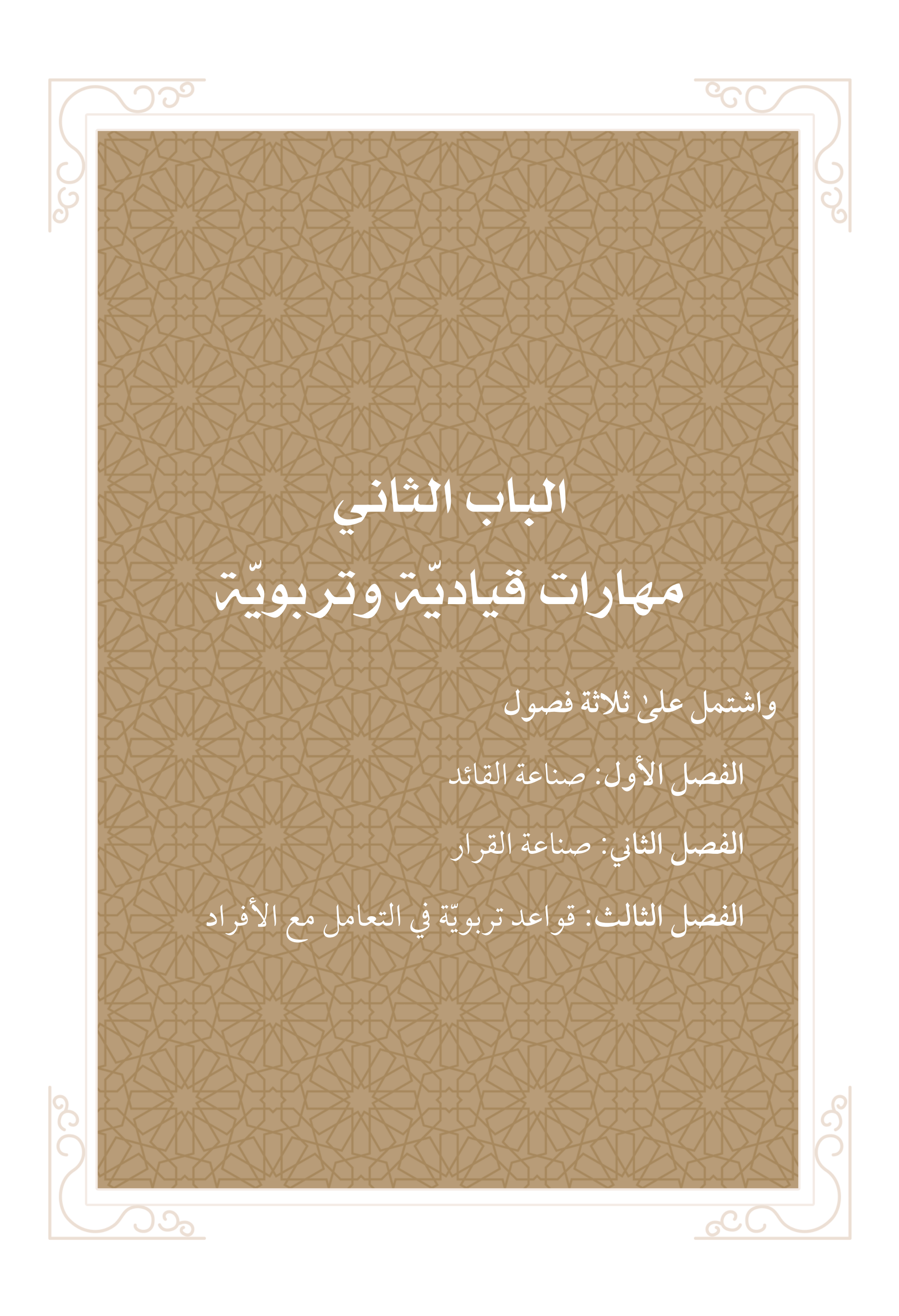
ولكن لأن بني إسرائيل قوم بُهت مجادلون، فقد جاء تعيين الملك عليهم بـ(النص الإلهي): ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗا﴾ [البقرة:٢٤٧]، مع أن التفويض كان في بدايته للنبي ﴿ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا﴾ [البقرة:٢٤٦].

ومع ذلك كله، وأن الملك المختار قد جاء بـ(النص) الذي لا يحتمل جدالا، فقد اعترض بنو إسرائيل، وناقشوا وجادلوا، وقَبِل النبي عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ النقاش؛ وبلغ النقاش إلىٰ حدّ وضع الأدلة والبراهين علىٰ صحة الاختيار، وذلك بإتيان التابوت: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾ [البقرة:٢٤٨].

(١) لمناقشة قضية الإلزام بالاختيار ينظر كتاب: العجلان، فهد بن صالح، **الانتخابات وأحكامها في الفقه الإسلامي**، ط١، (الرياض: دار كنوز إشبيليا، ١٤٣٠ - ٢٠٠٩م)، (ص ٣٣١-٣٣٥).

(٢) الماوردي، **الأحكام السلطانية**، مرجع سابق، (ص ٤) بتصرف.

(٣) محمّد رشيد رضا، مرجع سابق، (٢/ ٤٩٢).



الباب الثاني

مهارات قياديّة وتربويّة

واشتمل علىٰ ثلاثة فصول

الفصل الأول: صناعة القائد

الفصل الثاني: صناعة القرار

الفصل الثالث: قواعد تربويّة في التعامل مع الأفراد





الفصل الأول

صناعة القائد

واشتمل علىٰ خمسة مباحث

المبحث الأول: نظريات القيادة وتطبيقاتها علىٰ طالوت وداود

المبحث الثاني: تهيئة النبي صموئيل للنظام الملكي

المبحث الثالث: بين السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية

المبحث الرابع: إنجازات (طالوت) وداود

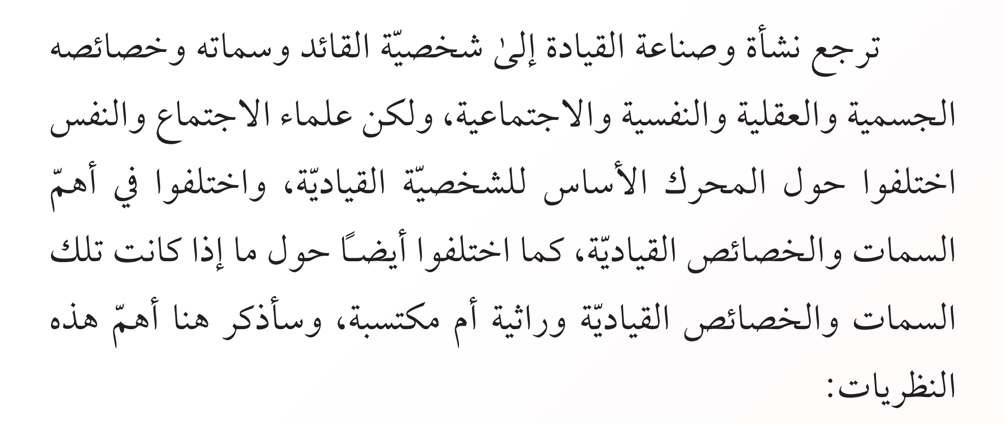
المبحث الخامس: الفروق القياديّة بين شخصيّات القصّة



المبحث الأوّل



نظريات القيادة وتطبيقاتها على طالوت وداود



ترجع نشأة وصناعة القيادة إلىٰ شخصيّة القائد وسماته وخصائصه الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية، ولكن علماء الاجتماع والنفس اختلفوا حول المحرك الأساس للشخصيّة القياديّة، واختلفوا في أهمّ السمات والخصائص القياديّة، كما اختلفوا أيضًا حول ما إذا كانت تلك السمات والخصائص القياديّة وراثية أم مكتسبة، وسأذكر هنا أهمّ هذه النظريات:

أ/ نظرية الرجل العظيم (The Great Man Theory):

الجذور الأولىٰ لهذه النظرية، تعود لعهود الإغريق والرومان، حيث كان الاعتقاد بأن القادة يولدون قادة، وتسمىٰ «نظرية القائد الموهوب»، وتستند هذه النظرية إلىٰ عناصر الوراثة، وأن القادة قد وهبوا من السمات والخصائص الجسمانية والعقلية والنفسية ما يعينهم علىٰ القيادة، حيث يرىٰ أنصار نظرية الوراثة بأن القيادة شيء فطري، أي أن القادة يولدون ولا يصنعون، وقد تأثر أنصار هذه النظرية بأسطورة القائد البطل الذي يرتبط نجاحه بوجود قوىٰ خارقة يهبها الله له.

وإذا لاحظنا قيادة طالوت سنجد أن الله وهبه صفات وسمات

مكتسبة قد يحصل عليها كل من اجتهد في تحصيلها، وليست بقوىٰ خارقة، كما أنه كان رجلاً عاديـاً من عامّة الناس، وكذلك أيضا هي صفات وسمات داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، والنبوة جاءت فيما بعد.

لقد اعتقد بعض المفكرين أن عدداً قليلاً من الأفراد لديهم من السمات الشخصيّة والقدرات ما يمكنهم من أن يكونوا قادة، ونظر هؤلاء المفكرون إلىٰ القادة علىٰ أنهم محصورون في عدد محدود من العائلات، كما أنهم يسهمون في تحديد شخصيّة المجتمع، وبالتالي في تغيير التاريخ تغييراً جوهريـاً، أي أن السمات القياديّة حسب زعمهم موروثة وليست مكتسبة[1].

وتنطوي تحت هذه النظرية عدد من النظريات الفرعية، من أمثلتها:

١ـ نظرية الأمير: The Prince Theory

٢ـ نظرية البطل: The Hero Theory

٣ـ نظرية الرجل المتميّز: The Superman Theory

ومجمل هذه الفروع تزعم أن شخصيّة القائد وقدراته هي التي تصنع الأمّة، وتشكلها طبقـاً لهذه القدرات القياديّة.

وقد حاول أصحاب هذه النظرية كشف وتحديد السمات الجسمانية (الفسيولوجية) والعقلية والشخصيّة لهؤلاء القادة العظام، وبالرغم من ذلك فقد فشلوا في الاتفاق علىٰ تحديد تلك السمات القياديّة الوراثية،

(١) كنعان، نواف، **القيادة الإدارية**، ط٢، (الرياض: دار العلوم للطباعة والنشر، ١٩٩٢م)، (ص٣٠١) بتصرف.

هذا بالإضافة الىٰ ذيوع آراء واتجاهات المدارس السلوكية النفسية التي تعارض الاتجاه السابق، وتؤكد علىٰ أن سمات القيادة ليست وراثية، وأن القادة يصنعون ولا يولدون قادة[1].

والآيات التي معنا في اختيار طالوت تنسف هذه النظرية من جذورها، فطالوت لم يكن من سلالة عريقة، واختيار القائد لا يلتفت فيه أبداً الىٰ الدماء الملكية للآباء والأجداد، أما هذه النظرية فتكرس قضية الجينات الوراثية والسلالية في القيادة، والطبقيّة في المجتمعات.

كما أن الآيات الواردة بشأن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ تقف من هذه النظرية موقفًا مغايراً أيضا، فلم يكن داود من سلالة عريقة، بالنسبة لبني إسرائيل، وهم لم يلتفتوا إلىٰ نسبه لما صار ملكـًا، وربما يكون من أسباب ذلك أن بني إسرائيل كانت قد بدأت فيهم حياة الرفاهية، «فقد تحولوا بعد دخولهم من حياة البداوة والرعي إلىٰ الحياة الزراعية المستقرة، وإن لم يكن هذا التحوّل قاطعـًا أو كاملاً»[2]، وإلىٰ جانب الفلاحين نجد أصحاب قطعان الماشية المقيمين والذين يستخدمون كثيراً من الرعاة للعناية بقطعانهم، وقد كان داود من الرعاة.

وما كان عمل أبطال بني إسرائيل - قبل قيادتهم إلىٰ النصر- غير الرعي والزراعة، واجترأ داود علىٰ الحرب بردّه الضواري التي أتت

(١) أبو الفضل، مرجع سابق، (ص١٦) بتصرف.

(٢) موسكاتي، سبتينو، **الحضارات السامية القديمة**، ترجمة: السيد يعقوب بكر، د.ط، (بيروت: دار الرقي،١٩٨٦م)، (ص ١٤٨).

لمهاجمة ماشيته، حينما كان راعياً[1].

وربما تنشط هذه النظرية في مجتمعات يسود فيها الخرافة، كما كان يتصوّر بنو إسرائيل من (موسىٰ) عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ -وهو القائد الناجح- أن يكون بطلاً أسطوريًا يقود النصر بمفرده مخالفًا للسنن الربانية: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَاۖ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة:٢٤].

ولعل من حكمة الله تعالىٰ في قتل داود جالوت، أن الله شاء أن يرىٰ القوم وقتذاك أن الأمور لا تجري بظواهرها، إنما تجري بحقائقها، وحقائقها يعلمها هو، ومقاديرها في يده وحده.

وبعد هذه الحادثة اختار الله من بعد (طالوت) داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ليكون ملكًا بمواصفاته ومواقفه ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ﴾ [البقرة:٢٥١]، ولم يجعل ابن طالوت ملكًا عليهم بالوراثة لعدم أهليته للقيادة، وكذلك النبي (صموئيل) عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، لم يفكّر في ترشيح أحد ابنيه للملك والقيادة[2].

ب/ نظرية السمات (Treaits Theory):

تذهب هذه النظرية الىٰ أن هناك سمات محددة تتميز بها شخصيّة الأفراد القادرين علىٰ القيادة، وأن هذه السمات من الممكن اكتسابها،

---

(١) غوستاف لوبون، **اليهود في تاريخ الحضارات الأولىٰ**، مرجع سابق، (ص٦٥-٦٦).

(٢) **سفر صموئيل الأول**، الإصحاح ٨ مرجع سابق.

ومن ثم فإنّها ليست بالضرورة وراثية كما تدعي ذلك نظرية الرجل العظيم، وهذا صحيح وفق الآيات التي ذكرت بعض الصفات المكتسبة لطالوت، وكذلك الأمر أيضا مع داود.

وتنطلق فكرة هذه النظرية من أن سمات الشخصيّة تؤثر في السلوك، وأن القادة لديهم صفات شخصيّة تميزهم عن غيرهم من الأفراد[١].

أما أهمّ تلك السمات القياديّة، فقد اختلفت فيها الآراء والأبحاث والدراسات، ولكل منها مواقف مختلفة ومتباينة في هذا الخصوص، وحاولوا أن يصلوا إلىٰ سمات مشتركة ومؤثرة بين القادة [٢].

فمن هؤلاء الباحثين من يرىٰ أن أهمّ تلك السمات يتمثل في الصحة الممتازة، والقدرة علىٰ الاهتمام بالآخرين والنزاهة، وبقدرة الحكم علىٰ الأشياء، وغريزة الولاء للجماعة، ومنهم من يرىٰ أن أهمّ سمات القيادة الشخصيّة القوية التي تمتاز بالاستواء النفسي والسلوكي بالإضافة الىٰ الثقة بالنفس والقدرة علىٰ التعرف علىٰ أفكار الآخرين وميولهم، ومنهم من اهتم بسمة الذكاء وأعطاها أهمّية كبيرة، ومنهم من اهتم بسمة المرح حيث القدرة علىٰ تلطيف جو ومناخ التعامل بين الجماعة والقائد[٣].

وقد توصل (باس Bass) إلىٰ أن معظم الدراسات التي تناولت

---

(١) فرج، طريف شوقي، **السلوك القيادي وفعالية الإدارة**، (القاهرة: مكتبة غريب، ١٩٩٣م)، (ص٩٣) بتصرف.

(٢) أبو الخير، كمال حمدي، **أصول الإدارة العلمية**، (القاهرة: مكتبة عين شمس،١٩٧٤)، (ص٣٥٤) بتصرف.

(٣) أبو الفضل، **القيادة الإدارية في الإسلام**، (ص١٨) بتصرف.

السمات القياديّة في النصف الأوّل من القرن العشرين، اشتملت علىٰ الصفات الآتية:

١/ القدرة: (مثل: الذكاء، الاستعداد، القدرة علىٰ التحدث).

٢/ الإنجاز: (مثل: التقييم، المعرفة، القدرات الرياضية، المهارات).

٣/ المسؤولية: (مثل: الاعتماد علىٰ النفس، المبادأة، المثابرة).

٤/ المشاركة: (مثل: النشاط، حسن العلاقات، التعاون).

٥/ المركز الاجتماعي: (مثل: الحالة الاجتماعية والاقتصادية، الشهرة)[1].

بينما انصب اهتمام الباحثين في النصف الثاني من القرن العشرين علىٰ البحث عن السمات الفارقة بين القياديين وغير القياديين، وليس جميع سمات القادة، حتىٰ نتمكن من معرفة فعالية القائد في المستقبل[2].

وقد انتقدت هذه النظرية بأمور منها:

١/ عدم وجود علاقة حقيقية بين السمات القياديّة من ناحية وسلوكيات القادة من ناحية أخرىٰ[3].

---

(١) الكلابي، سعد بن عبدالله، **نحو نموذج شامل في القيادة: دراسة نقدية لنظريات ومداخل القيادة الإدارية**، (الرياض: مركز البحوث، كلية العلوم الإدارية بجامعة الملك سعود، (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م)، (ص١٣) بتصرف.

(٢) فرج، **السلوك القيادي وفعالية الإدارة**، مرجع سابق، (ص٦٠) بتصرف.

(٣) الكلابي، **نحو نموذج شامل في القيادة**، مرجع سابق، (ص١٦) بتصرف.

٢/ لا توجد مؤشرات علىٰ وجود سمات مشتركة بين القادة، فقد يكون أحد القادة ناجحًا بسبب حسن أخلاقه، وآخر بسبب قدرته علىٰ الملاحظة، وثالث بسبب قوته وحزمه، وربما يكون بسبب ذكائه وحكمته في تدبير الأمور[١].

٣/ كثير من القادة الناجحين لا تتوفر فيهم كل السمات القياديّة، كما أنه من الصعب جداً أن تتوافر كل سمات القيادة في شخصيّة واحدة، وقد وجد قدر كبير من هذه السمات في بعض القيادات إلا أنهم لم يكونوا ناجحين.

٤/ السمات القياديّة تختلف باختلاف مجال القيادة، فقد تكون قيادة سياسية أو عسكرية أو إدارية[٢]، ويؤكد علىٰ هذا أن نمط قيادة (طالوت)، كانت تختلف عن نمط قيادة (داود)، فما يحتاجه الناس في وقت من الأوقات قد يختلف في زمن آخر.

كما أن السمات التي تميز بها طالوت مكنته أن يكون قائداً عسكريـاً، وملكـًا حازمـًا لتثبيت دعائم الملك، ولكن الأمر اختلف في زمن داود، فأوجد الله قائداً جديداً له سمات تلك المرحلة الجديدة.

هذا فضلاً عن أن الباحثين لم يتخذوا موقفـًا واحداً للمفهوم الذي تقدمه نظرية السمات، بل كانت مواقفهم متعددة ومتباينة، قد تصل

(١) كنعان، **القيادة الإدارية**، (ص٢٣٤) بتصرف.

(٢) النمر، سعود محمّد، وآخرون، **الإدارة العامة: الأسس والوظائف**، ط٤، (الرياض: مطابع الفرزدق، ١٩٩٧م)، (ص٣١٩) بتصرف.

أحياناً الىٰ حد التعارض، ولعل هذه الانتقادات هي التي دعت البعض إلىٰ التخلي عن هذه النظرية، والأخذ بنظرية المواقف كأساس لتفسير حقيقة نشأة القيادة وصناعة القائد.

جـ / النظرية الموقفية (The Situational Theory):

ويطلق عليها البعض: النظرية الظرفية أو البيئية (The Environmental Theory)، وتقوم هذه النظرية علىٰ فلسفة مؤداها أن الظروف هي التي تنتج القادة وتبرزهم، وأن نوعية القادة تختلف باختلاف الظروف والمواقف التي يواجهونها، ولهذا لا ترتبط القيادة بموقف أو ظرف قيادي معين.[1]

وتفترض هذه النظرية أن المهارات القياديّة لا تحركها إلا الظروف والمواقف التي يواجهها القائد، وأن نوعية القيادة تختلف باختلاف المواقف والظروف، وبروز القيادة يعتمد علىٰ وجود المشكلات[2].

وهذه النظرية لا تؤمن بنجاح القائد علىٰ أساس صفاته الشخصيّة وحدها، وإنما تعزو نجاح القائد إلىٰ عوامل خارجية وليست ذاتية[3].

كما ترىٰ هذه النظرية أن ما يصيب القائد من نجاح يعتمد علىٰ حسن تصرفه حيال المواقف المختلفة، فالمواقف هنا هي التي تبرز

---

(١) النمر وآخرون، مرجع سابق، (ص٣٢٣) بتصرف.

(٢) جمجوم، هاشم نور، **سيكولوجية الإدارة**، (جدة: دار الشروق، ١٩٩١م)، (ص٢٣٤). بتصرف.

(٣) مصطفىٰ، صلاح عبدالحميد، والنابه، نجاة عبدالله، **الإدارة التربوية: مفهومها – نظرياتها – وسائلها**، ط١، (دبي: دار القلم،١٩٨٦م)، (ص٤٠) بتصرف.

القيادات، وتكشف عن الإمكانات الحقيقية في القيادة، أي أن القيادة (وليدة الموقف).

ولا تنكر هذه النظرية أهمّية السمات للقائد، ولكنها تقررها في إطار الموقف الذي يتطلبها، فهي تقوم علىٰ الربط بين السمات الشخصيّة والموقف.

ولكن هذه النظرية تختلف عن سابقتها في أنّها ترىٰ أن المعول الرئيس في ظهور القادة هو وجود أبعاد متعددة في أي موقف لتحديد وإفراز القيادة في ظل هذا الموقف، ومن أهمّ العوامل الموقفية التي تؤثر في صناعة القائد: صعوبة المهمة، والصفات، ونضج العاملين، واتخاذ القرار الجماعي، والعلاقة بين القائد والأعضاء، ومصادر قوّة القائد[1].

وعلىٰ ذلك فلكل موقف طبقًا لمفهوم تلك النظرية متطلبات قيادية، والشخص الذي يملك قدراً أكبر من المهارات والقدرات التي تستجيب لمتطلبات هذه الأبعاد والعناصر والعوامل الموقفية؛ سوف يكون هو أنسب الأشخاص لتولي القيادة في ظل هذا الموقف.

وهناك من يرىٰ أن الحروب وغيرها من المواقف الحرجة أو الأحداث المفاجئة قد أتاحت وهيأت الفرصة لبعض لأشخاص المغمورين لأن يتولوا زمام القيادة، وأنه لولا هذه المواقف لكان من الممكن أن يظلوا مغمورين يحجبهم عن القيادة الروتين اليومي للحياة،

(١) درويش، إبراهيم السيد، **الوسيط في الإدارة العامة: النظرية والممارسة**،ط١، (القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٨٨م)، (ص٣٦٥) بتصرف.

وهذا بالفعل ما حدث مع طالوت، فلولا وجود ذلك الظرف الحالك الذي وقع فيه بنو إسرائيل لما ظهرت تلك القامة القياديّة السامقة.

وكذلك أيضـًا كان حال داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، الذي برزت قيادته قبل نبوته، فلولا ذلك الموقف الشجاع أمام جالوت لظل مغموراً حتىٰ تأتيه النبوّة.

وقد يظن البعض أن ما ذكرناه يقوّي ويدعم نظريات القيادة الموقفية، ولكن يحدّ من هذا أن ذلك الترابط بين الموقف وظهور القيادة لم يكن مطّرد الحدوث في جميع الحالات، فالملاحظ أن هناك حالات تضمنت عدداً من المواقف الحرجة، ومع ذلك لم تسفر تلك المواقف عن ظهور القيادات القادرة علىٰ تولي زمام تلك المواقف.

وعلىٰ ذلك فليس الموقف في حد ذاته هو العامل الأساس في ظهور القيادة، ولكن لعل توافر الأشخاص ذوي القدرات القياديّة والقادرين علىٰ مجابهة تلك المواقف له دوره وتأثيره أيضـًا في ظهور القيادة، كما هو حال طالوت ومن بعده داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وهناك من يضيف إلىٰ ذلك، أن الأنماط القياديّة الناجحة التي تولت قيادة توجيه تلك الجماعات في الظروف والفترات السابقة، لها تأثير كبير في تحديد المواصفات والشروط القياديّة المطلوبة، ومن ثم فإن لها تأثيرها في تحديد وظهور القائد التالي لها[١]؛ فطالوت كان قد سبقه قائد ناجح ألا وهو النبي (صموئيل)، وهو الذي وضع مواصفات القائد الجديد.

---

(١) أبو الفضل، **القيادة الإدارية في الإسلام**، (ص٢١) بتصرف.

وأيضـًا داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان قد تقدّمه طالوت، وهو الذي صنع الروح القياديّة في داود وهيّأه مع النبي صموئيل للمرحلة الجديدة، وهكذا كان حال سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع والده داود.

واختيار داود وتكليفه بمهمة مجالدة ومبارزة الطاغية جالوت، كان من قِبَل القيادة الرشيدة التي تختار النوابغ وتكلفهم بقيادة مهام قتالية محدّدة، وكان داود أنسب شخصية توافرت فيها سمات التكليف لهذه المهمة الصعبة.

ويحدّد الماوردي أركان التكليف ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب بثلاثة أمور يجب اعتبارها في كل من أوكلت إليه المهام:

١/ الصفات والسمات، وما طُبع عليه من خُلُق.

٢/ الكفاءة، وأن تتكامل فيه المميزات والعلوم والخبرة فيما يخدم به مهمته.

٣/ الهمّة والإرادة والرغبة من الفرد المكلّف فيما خصّص به من مهام.

ثم قال تعقيبـًا: «فلا يعطىٰ أحدهم منزلة لا يستحقّها لنقص أو خلل، ولا يستكفيه أمر ولايته، ولا ينهض بها لعجز أو فشل، فإنهم آلات الملك، فإذا اختلّت كان تأثيرها مختلاً وفعلها معتلاً[(١)]».

فالواجب علىٰ القائد أن يعيّن من أفراده ممن هم تحت قيادته؛ أصلح

(١) الماوردي، **تسهيل النظر**، (ص ١٩٤).

من يقدر عليه في كل موضع ومهمّة[1]، كما أن مبدأ وضع الرجل المناسب في المكان المناسب؛ قائم علىٰ أساس المواءمة بين متطلبات العمل وبين قدرات الفرد الذي سوف يشغل هذا العمل، فإن قيام الفرد بالعمل الذي يناسب استعداداته وقدراته وميوله، يجعلنا نستفيد من إمكاناته أفضل استغلال، مما يرفع من مستوىٰ الأداء ومن مستوىٰ الكفاءة في تحقيق الأهداف[2]، ولذلك فالمطلوب من القائد أن يتعرّف جيداً علىٰ الرجال الذين يرأسهم، وأن يكون شعاره الدائم هو أن يضع كل شخص في مكانه المناسب، فالشخص الذي يجد نفسه أمام جهد أو عمل قد تجاوزه، يظهر مضطربا، أما الذي يعمل في المكان المناسب له يبدو دائمًا أمام الناس ذكيًا وحسن التدبير[3].

وهذا الأمر الذي أحسن فيه طالوت باستفادته من الإمكانات والمواهب ومعرفة الرجال.

ويجدر هنا أن نشير إلىٰ أن هذه النظرية قد تعرضت لبعض الانتقادات: منها صعوبة الاتفاق علىٰ عناصر وعوامل الموقف التي يمكن علىٰ ضوئها تحديد الموقف الملائم أو غير الملائم، كما أنّها تختلف باختلاف اعتبارات موقفية كثيرة، منها علىٰ سبيل المثال: اختلاف المجتمعات والثقافات، حيث يؤدي ذلك إلىٰ اختلاف النظرة

---

(١) ابن تيمية، **السياسة الشرعية**، (ص١٥).

(٢) محفوظ، محمد جمال الدين، **العسكرية في الإسلام**، د.ط، (القاهرة: دار المعارف، سلسلة إقرأ، برقم ٥٩٨)، (ص٥٨).

(٣) كورتوا، **الطريق إلىٰ القيادة**، (ص٤٣).

إلىٰ متطلبات القيادة[1].

ونتيجة لذلك ظهر رأي آخر يرىٰ وجوب التوفيق بين نظرية السمات ونظرية الموقف، مشيراً إلىٰ أن النجاح في القيادة هو ثمرة التفاعل بين سمات القائد وعناصر الموقف وخصائص الجماعة، وهذا ما أفسح المجال لتطوير نظرية تجمع بين عناصر النظريتين السابقتين، باسم (النظرية التفاعلية) .

د/ النظرية التفاعلية (Interactional Theory):

هذه النظرية ترتكز علىٰ الجمع بين نظريتي السمات والموقف في القيادة الناجحة، ولا تعتمد علىٰ سمات القائد في موقف معين، ولكنها تعتمد علىٰ قدرة القائد في التفاعل مع أفراد الجماعة، فالسمات التي يملكها القائد لا تكفي لظهور القائد، بل لا بد من إقناع الجماعة بهذه السمات والقدرات [2].

أي أن النظرية التفاعلية تعتبر القيادة عملية تفاعل اجتماعي بين القائد ومرؤوسيه، وتهتم بتفاعل أبعاد ثلاثة هي: السمات الشخصيّة للقائد، وعناصر الموقف، ومتطلبات خصائص الجماعة[3].

فالقيادة تقوم أساساً علىٰ التفاعل بين هذه القوىٰ الثلاث ، ولذلك فإن هذه النظرية تؤكد علىٰ أهمّية المرؤوسين كعامل مؤثر في نجاح

---

(١) كنعان، **القيادة الإدارية**، (ص٣٤٥) بتصرف.

(٢) النمر وآخرون، **الإدارة العامة: الأسس والوظائف**، (ص٣٢٥) بتصرف.

(٣) كنعان، مرجع سابق، (ص٣٦٦) بتصرف.

القيادة أو فشلها، كما تركز على التفاعل المتبادل بين القائد والجماعة وإدراك القائد لدوره إزاء الجماعة، والقيادة الفعالة هي القيادة المتركزة حول الجماعة.

ولعل هذه النظرية أقرب إلى الصواب من السابقات، وذلك لتكاملها واستيعابها لعناصر القيادة الفاعلة في صناعة القائد.

وهذه النظرية تؤكدها الآيات القرآنية في طريقة صناعة القائدين طالوت وداود، فقد وجدت الأبعاد الثلاثة المطلوبة وتفاعلت مع بعضها حتى نشأ القائد الفذّ طالوت والقائد الفذ داود أيضا.

ولو دققنا في الآيات لوجدنا عددا من العوامل توفرت لطالوت وجعلت منه قائدا متميزا، وهي:

١/ توفّر السمات المطلوبة الأساسية والتابعة، في شخصيّة طالوت، وهي التي استنبطناها من ثنايا آيات القصة، وقد ذكرناها سابقا.

٢/ الموقف والظرف الحرج الذي مرّ على بني إسرائيل في معيشتهم، وفي ميدان المعركة أيضا، واستوجب ذلك إيجاد قيادة تستطيع حل الأزمات: ﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾[البقرة:٢٤٦].

٣/ وجود الجماعة المناصرة، الواثقة بقيادتها، المؤمنة بأهدافها، الماضية في طريقها، المتفاعلة مع قرارات قائدها: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٤٩]، وبسبب تفاعل الجماعة ومناصرتها نسب النصر لهم جميعا، ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٥١].

كل هذه العناصر صنعت قيادة لطالوت يحسب لها بين الأمم المجاورة ألف حساب، وجعلت منه أنموذجًا للقائد الناجح.

وبالمقارنة بداود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فإننا نجد في الآيات التي تحدثت عنه أنه قد توفرت لديه أيضا العوامل التي أعانته فيما بعد علىٰ القيادة الصعبة، والمهمة العسيرة، وكان من أهم تلك العوامل التي تفاعلت وأثّرت علىٰ شخصه:

أ/ إيمانه بالأهداف التي يحملها، وبعظمة رسالته، وأنه إنما جاء ليوقظ أمة تعيش في سبات عميق.

ب/ وجود أعوان وأنصار قد هيّأهم داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ليكونوا قاعدة جماهيرية يعتمد عليها، ويثق فيها.

جـ/ شعوره بالأمان، وقلبه متصل بربّ العالمين، ويسمع ويرىٰ أن الوحي الإلهي يقوّمه ويسدّده ويبشّره.

د/ ميوله القياديّة الشخصيّة، التي تغرس فيه رغبة اتخاذ القرارات، والراحة في الاهتمام بمن يليه[1].

---

(١) لمزيد من الاطلاع في العوامل المؤثرة علىٰ القائد ينظر كتاب: العمري، محمد بن سعيد، **المعايير القيادية في الأنظمة الأمنية**- رسالة ماجستير غير منشورة، (الرياض: أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، ١٤٠٧هـ)، (ص٣٢٨-٣٣١).

المبحث الثاني



تهيئة النبي صموئيل عَلَيْهِ السَّلَامُ للنظام الملكي



المطلب الأوّل: أحوال الملكيّة والقيادة عند بني إسرائيل:

من بعد وفاة نبي الله الكليم (موسىٰ) عَلَيْهِ السَّلَامُ، مكث بنو إسرائيل ردحًا من الزمن فيما يسمّىٰ بعهد القضاة، وقد قدّره بعض المؤرخين القدماء، بأكثر من أربعمائة عام[١].

وربّما كان اعتمادهم في ذلك علىٰ جمع السنين العشوائي لعهد كل قاضٍ ورد ذكره في (سفر القضاة)، وغفلوا أن كثيراً من المراحل الزمنيّة المذكورة لكل قاضٍ هي في حقيقتها يدخل بعضها في بعض، فقد يكون قاضيان أو ثلاثة يعيشان في نفس الزمن، ولكنهم في مناطق مختلفة، حيث إن القضاة لم يكونوا يسيطرون علىٰ جميع الأسباط، كما هو في عهد الملكيّة.

والصحيح أن فترة القضاة لم تتجاوز المائتي عام، من وفاة موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وحتىٰ قيام ملك طالوت والذي يحدّده بعض المؤرخين بـ(١٠٤٠ق.م) أو (١٠٣٠ق.م)[٢].

(١) الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، مرجع سابق، (١/ ٢٧٥)؛ ابن كثير، **البداية والنهاية** مرجع سابق، (٢/ ٥)؛ ابن الأثير، مرجع سابق، (١/ ١٦٣)؛ اليعقوبي، مرجع سابق، (١/ ٤٨).

(٢) دروزة، **تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم**، مرجع سابق، (ص ١٤٨).

وقد قسّم (ابن الأزرق) أوضاع بني إسرائيل في قضية (الملك والرياسة) من عهد موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وحتىٰ حياته إلىٰ ستّ حالات وأزمنة[1]:

الزمن الأوّل:

من بعد موسىٰ ويوشع بن نون عليهما السلام، حيث لم يكونوا يهتمون بأمر الملك، وكانوا يقتصرون علىٰ وجود رئيس من ذرية هارون عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ[2]، وكأنه خليفة موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وكانت مهمته مقتصرة علىٰ إقامة الدين، خاصة الصلاة والقربان، وكانوا يسمّونه (الكوهن) وهو ما يسمىٰ اليوم بـ (القاضي).

ثم تحته بعض المشايخ لإقامة السياسة الطبيعية للبشر، فكانوا يتولّون تنفيذ أحكامها العامّة، والقاضي مشرف عليهم ومراقب لهم.

الزمن الثاني:

يبدأ من عهد طالوت، لما ضجروا من مغالبة الأمم، وقوي توحّدهم، وهيأ النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الوضع لقيام الملك، استطاعوا بذلك غلبة الكنعانيين بعد أن أذن الله لهم في تمليك رجل عليهم، وهو طالوت، فقادهم للنصر وغلب الأمم وقتل جالوت، ثم ملك بعده داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فكان أول نبي

(١) وقد استقىٰ (ابن الأزرق) هذا الكلام من (ابن خلدون)، وقسّمه وأجاد في التقسيم، ابن خلدون، مرجع سابق، (١/ ٢٨٧-٢٨٩).

(٢) وذلك لأن موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يكن له ذرية وعقب إلا من زوجة مديانية وهي (صفّورة)، (**سفر الخروج**، إصحاح٢، مقطع٢١:٢٢).

جمع له النبوة والملك في بني إسرائيل[1]، فقد جاء تكليف نبي الله داود عَلَيْهِ السَّلَامُ بوظيفة الخِلافة في الأرض، وإمارة الناس وقيادتهم بأمر إلهي مباشر؛ قال تعالىٰ: ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [ص:٢٦]، ومعنىٰ ذلك أن الله يخاطبه فيقول له: يا داود إنا استخلفناك علىٰ الملك في الأرض، والحكم فيما بين أهلها[2].

وفي عهد سليمان، توسّع الملك وامتدّ حتىٰ بلغ الحجاز وأطراف اليمن، ثمّ إلىٰ أطراف بلاد الروم.

الزمن الثالث:

افتراق الأسباط بعد سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ إلىٰ دولتين [3]، ثم غلبهم (بختنصّر) ملك بابل[4]، وخرّب مسجدهم وأحرق توراتهم، ونقلهم إلىٰ أصبهان والعراق.

---

(١) ابن كثير، **البداية والنهاية** (٢/ ١٠)، ابن عاشور، محمد الطاهر التونسي، **التحرير والتنوير**، مرجع سابق، (١٧/ ١١٤).

(٢) أبو السعود، محمد بن مصطفىٰ العمادي، **إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم**، مرجع سابق، (٧/ ٢٢٣).

(٣) كان ذلك تقريباً في عام (٩٣٥ ق.م)، شلبي، **اليهودية**، مرجع سابق، (ص٨١-٨٨)، وجميع التواريخ المذكورة في حاشية هذا المبحث مأخوذة منه.

(٤) كان ذلك تقريباً في عام (٥٨٦ ق.م).

الزمن الرابع:

رجوعهم لبيت المقدس علىٰ يد أحد ملوك الفرس وهو (قورش)، بعد أن أخرجوا منها سبعين سنة، فبنوا المسجد، وأقاموا دينهم علىٰ طريقة القضاة فقط بدون ملكية، حيث كان الملك حينئذٍ للفرس.

الزمن الخامس:

غلب اليونانيون الفرس، وصار اليهود في ملكهم، ثمّ إن دولة اليونان ضعفت، فاعتزّ اليهود وأقاموا مملكة صغيرة للكهّان الذين كانوا فيهم، ويسمونهم (المكابيّون)، وقاتلوا اليونانيين حتىٰ أخرجوهم من بيت المقدس [1].

الزمن السادس:

تدخلت دولة الروم، وجاؤوا إلىٰ بيت المقدس وحاصروها مدّة، ثم افتتحوها عنوة، وأفحشوا في القتل والهدم والتحريق، وخرّبوا بيت المقدس، وطردوا اليهود منها، وكان هذا هو الخراب الثاني للمسجد، ويسميه اليهود بـ (الجلوة الكبرىٰ)[2]، فلم يقم لهم بعد ذلك ملْك إلىٰ زمن (ابن الأزرق)[3] الذي قال معقبًا علىٰ الزمن السادس: «لا أبدلهم الله منها، وزادهم ذلاً وصغاراً إلىٰ يوم الدين، وقد فعل»[4]، ولم يُدرك

---

(١) وكان ذلك في عام (١٠٤ ق.م) تقريبـًا.

(٢) كان ذلك في عام ٧٠م تقريبـًا، علىٰ يد (تيطس) الروماني.

(٣) توفي ابن الأزرق سنة(٨٩٦هـ).

(٤) ابن الأزرق، **بدائع السلك في طبائع الملك**، مرجع سابق، (٩٧-٩٩).

(ابن الأزرق) زمننا هذا الذي هو:

الزمن السابع:

والذي بدأ بإعلان الدولة المزعومة باسم (إسرائيل)، منذ عام ١٩٤٨م، والتي قام فيها ملكهم من جديد، وعادت دولتهم بحبلٍ من الناس كبريطانيا، ثم أمريكا من بعدها، وما ذلك إلا بسبب ذلّة المسلمين، وبما كسبت أيدينا، فتسلّطوا علىٰ رقاب العالمين، وركبوا علىٰ ظهر الأمم والشعوب للوصول إلىٰ مآربهم الدنيئة[1]، وهو ما زال مستمراً إلىٰ الآن.

الزمن الثامن:

الذي بدت بشائره، ووعد الله به بقوله ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء:٨]، وسيطهّر الله الأرض المقدسة بمنه وفضله، والنصوص القرآنية والنبوية بشرت وأنذرت وأخبرت بسنن الله، ونحن علينا فهم هذه السنن والعمل بموجبات النصر والرّيادة.

وبعد الأحداث الكبيرة التي حدثت لبني إسرائيل، ووصل الحال بهم إلىٰ وضع غير قادر علىٰ استيعاب الأوضاع الجديدة، وأصبح نظام الملكية أمراً حتميًا للتعبير عن البنية الجديد للمجتمع[2]، حينذاك بدأ

---

(١) للتوسع في معرفة مدىٰ تسلّط اليهود اليوم ينظر الكتب: شيريب سبيريدوفيتش، **حكومة العالم الخفيّة**؛ وليم كار، **أحجار علىٰ رقعة الشطرنج**؛ هنري فورد، **اليهودي العالمي**؛ بول فندلي، **من يجرؤ علىٰ الكلام**.

(٢) المسيري، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، مرجع سابق، (المجلّد٤، الجزء١، الباب ١٣) مدخل الملوك والملكية.

النبي (صموئيل) عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، باتخاذ الخطوات اللازمة للتهيئة للملك، وإيجاد المناخ المناسب لظهور عصر جديد.

وقد كرّس صموئيل حياته من صغره وبداية دعوته حتىٰ شاخ وكبر في السن[1]، من أجل الوصول إلىٰ ثمرة كفاحه ودعوته، ألا وهي إعلاء كلمة الله في الأرض من خلال تتويج طالوت، ليكون ملكًا علىٰ شعب قد تمّ إعداده وتهيئته مسبقًا من أجل التعامل مع الوضع الجديد.

وفي آيات قصّة طالوت بيان لدور النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في التهيئة لملك طالوت بما يصل إلىٰ نصف الآيات الواردة في الحدث، بل أكثر.

وقد كان النبي (صموئيل) عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يسير في تهيئة مجتمع بني إسرائيل بمسارين:

المسار الأوّل: التربية العامّة:

والتي رأينا شيئًا منها في الآيات القرآنية، وقد اتخذ النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في ذلك عدّة خطوات منها:

١/ دعوته للتوحيد الخالص: حيث نجده يكرّر هذا المعنىٰ في أوّل الكلام وآخره، ويربط كل قضية بوحدانيته؛ فالله هو الذي يصطفي: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [البقرة:٢٤٧]، والله هو الذي يؤتي ويعطي

---

(١) بحسب نصّ **سفر صموئيل الأول** فإن (طالوت) لم ينتخب ملكًا إلا بعد أن شاخ النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وكبرت به السن، (**سفر صموئيل١**، إصحاح ٨، مقطع ١)، وكان يقدّر عمر (صموئيل) حينما طلب منه الشعب تنصيب ملك بحوالي ٧٠ سنة، [**شرح سفر صموئيل الأول**، كتاب الكتروني، طباعة (كنيسة السيدة العذراء بالفجّالة: القاهرة)، (ص ٤٢).

ويهب: ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ﴾ [البقرة:٢٤٧]، والله له من الصفات أكملها: ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٤٧]، والله هو الذي تكلم بالتوراة وأوحىٰ بها رأفة بكم: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة:٢٤٨]، والله هو الذي يأتي بالدلائل والمعجزات ليزداد توحيدكم وإيمانكم: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٢٤٨].

وقد جاء أيضاً في (سفر صموئيل الأوّل): (وكلم صموئيل كل بيت إسرائيل قائلاً: إن كنتم بقلوبكم راجعين إلىٰ الرب فانزعوا الآلهة الغريبة والعشتاروت من وسطكم، وأعدّوا قلوبكم للرب، واعبدوه وحده)[1].

٢/ حقّق الوحدة بين أسباط بني إسرائيل: فهو أوّل نبي تجتمع عليه كلمة بني إسرائيل بعد أن عاشوا فترة طويلة في ظلّ التفرق[2].

وهذا يتضح في الآيات من مجيء بني إسرائيل إليه، وتفويضهم له باختيار الملك، فدل ذلك علىٰ أن كلمتهم اجتمعت عليه، ويؤكد هذا المعنىٰ أن النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ربطهم بحبل الاجتماع الأصيل، الذي تجتمع عليه كل أمّة بني إسرائيل، ألا وهو كتاب الله (التوراة) بعد ما كاد يضيع من بين أيديهم، ومن قلوبهم: ﴿يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾[البقرة:٢٤٨]، فأمرهم بالعودة إلىٰ النبع الصافي من ألواح التوراة، لتكون خير معين لهم

(١) **سفر صموئيل الأول**، إصحاح ٧، (مقطع ٣-٤).

(٢) البرغوثي، عمر الصالح، وطوطح، خليل، **تاريخ فلسطين**، د.ط، (مصر، بور سعيد: مكتبة الثقافة الدينية)، (ص ٣٠).

علىٰ اجتماع كلمتهم.

ومن شدّة حرصه علىٰ توحيد صفوف بني إسرائيل، فقد كان يسعىٰ جاهداً بنفسه للذهاب إلىٰ كل مناطق الأسباط وحلّ قضايا النزاع بينهم، فقد جاء في (سفر صموئيل الأوّل): (وقضىٰ صموئيل لإسرائيل كل أيام حياته، وكان يذهب من سنة إلىٰ سنة ويدور في بيت إيل والجلجال والمصفاة، ويقضي لإسرائيل في جميع هذه المواضع)[1]، وهو كان بحكمه هذا بينهم يعدّهم لطريقة الحكم، مع أن القضاة من قبله كان جلّ همهم إنقاذ بني إسرائيل من أيدي أعدائهم فقط[2].

وحينما يريد أن يلقي لهم خطاباً عاماً فإنه يجمع كل بني إسرائيل، ويذكرهم بالله، ويحثهم علىٰ التوبة والإنابة إليه، وقد جاء في السفر المنسوب إليه قوله: (اجمعوا كل إسرائيل إلىٰ المصفاة فأصلي لأجلكم إلىٰ الرب، فاجتمعوا إلىٰ المصفاة، واستقوا ماء، وسكبوه أمام الرب، وصاموا في ذلك اليوم، وقالوا هناك: قد أخطأنا إلىٰ الرب، وقضىٰ صموئيل لبني إسرائيل في المصفاة)[3]، وكانت خطوة توحيد بني إسرائيل مهمة جداً؛ إذ كيف يتأتىٰ لملك أن يحكم في ظل فوضىٰ التنازع والتشتّت.

---

(١) **سفر صموئيل الأول**، إصحاح ٧، مقطع (١٥:١٦).

(٢) الدبس، **تاريخ سورية الدنيوي والديني**، مرجع سابق، (٢/ ٢٣٧).

(٣) **سفر صموئيل الأول**، إصحاح ٧، مقطع (٥-٦).

المسار الثاني: التربية الخاصة:

الشيء المميز في حياة النبي (صموئيل) عَلَيْهِ السَّلَامُ اهتمامه بالتربية الخاصة بشكل عملي ومرتّب، وذلك بتأسيس مدرسة تربوية كان لها دور كبير في تاريخ بني إسرائيل فيما بعد؛ ألا وهي (مدرسة الأنبياء).

والنبي (صموئيل) هو أوّل من أسّس هذه المدرسة، وكان قائمًا عليها ومشرفًا ورئيسًا لها في وقته[1]، حيث جمع حوله مجموعة من الشباب الراغبين في التربية، وأقام هؤلاء الطلاب في سكن حول معلمهم[2]، وهذا العمل الريادي الذي كان له دور كبير في تكوين وصناعة القادة، وكان طلابها يسمّون (بنو الأنبياء)[3].

وقد ورد اسم هذه المدرسة واسم طلابها في مواضع كثيرة من التوراة، ابتداءً من عهد صموئيل [4] ممّا يدلّ علىٰ أمرين:

١/ صحّة أصل وجود هذه المدرسة، لكثرة الحديث عنها في عهود مختلفة[5].

---

(١) منىٰ، زياد، **مقدمة في تاريخ فلسطين القديم**، ط١، (بيروت: بيسان، ٢٠٠٠م)، (ص١٩٢)؛ وكذلك: الدبس، **تاريخ سورية الدنيوي والديني**، مرجع سابق، (٢/ ٢٥٨).

(٢) **قاموس الكتاب المقدس**، موقع ويب: st-takla.org، شرح كلمة (نبي – أنبياء- نبوة)،

(٣) **سفر صموئيل الأول**، إصحاح ١٩، (مقطع ١٨ – ١٩)؛ وكذلك: إصحاح ٢٠، (مقطع ١).

(٤) ذُكِرت هذه المدرسة في: **سفر الملوك الأول**، إصحاح ٢٢، (مقطع١١-١٢)؛ **سفر الملوك الثاني**، إصحاح ٤، (مقطع ٣٨)؛ **سفر صموئيل الأول**، إصحاح ١٠، مقطع (٨-١٠٠).

(٥) وإن كنا نخالف في صحّة بعض مفردات أعمال طلابها وسلوكيّاتهم، ومن ذلك الرقص والإنتشاء المحرّم، وضرب المعازف، وضرب الأجساد بالسيوف، والتعرّي ، لمزيد من الاطلاع: **صموئيل الأول**، إصحاح ١٩ (مقطع٢٣-٢٤)؛ **سفر الملوك الأول**، إصحاح ١٨، =

٢/ استمرارها حتىٰ بعد وفاة (صموئيل) عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وبحسب (سفر صموئيل الأوّل) فإن أوّل عمل طلبه النبي من (طالوت) هو إرساله إلىٰ هذه المدرسة التربويّة، لينهل من علمها، ويستفيد من الجوّ التربوي الذي فيها، ويمارس أنواع العبادة معهم، وقال له بالنص: (وتتحوّل إلىٰ رجل آخر).

وبالفعل استجاب (طالوت) للنبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: (وكان عندما أدار كتفه لكي يذهب من عند صموئيل أن الله قد أعطاه قلباً آخر)، وانطلق طالوت إلىٰ تلك المدرسة، (ولما رآه جميع الذين عرفوه منذ أمس وما قبله أنه يتنبأ مع الأنبياء، قال الشعب الواحد لصاحبه: ماذا صار لابن قيس؟ أشاؤل أيضاً بين الأنبياء؟)[(١)]، وقولهم: (أشاؤل أيضاً بين الأنبياء) يشير لقدرة الله العظيمة في تغيير حياة المؤمنين[(٢)].

والتوراة تشير إلىٰ تسلم طالوت المُلك علىٰ بني إسرائيل، بعد انضمامه إلىٰ بني الأنبياء، وتربط ذلك بانتقال بني إسرائيل من عهد البداوة إلىٰ عهد الكينونة الملكية[(٣)].

= (مقطع ٢٨)؛ **سفر أخبار الأيام الأول** إصحاح ٢٥، (مقطع ١-٣)؛ **أخبار الأيام الثاني**، إصحاح ٢٠، (مقطع ١٤)؛ **صموئيل الأول**، إصحاح ١٠، مقطع(٩-١٠).

(١) **سفر صموئيل الأول**، إصحاح ١٠، مقطع (٥-١٢).

(٢) **شرح سفر صموئيل الأول**، مرجع سابق، (ص ٥١)؛ وكذلك: موقع ويب (**شرح الكتاب المقدس - العهد القديم** - القس انطونيوس فكري).

(٣) مُنىٰ، **مقدمة في تاريخ فلسطين القديم**، مرجع سابق، (ص ١٩٤).

المطلب الثاني: مراحل التغيير للملكيّة في عهد النبي صموئيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

غالبًا ما تمرّ أي عمليّة تغييرية بأربع مراحل:

١/ مرحلة الإنكار.

٢/ مرحلة المقاومة.

٣/ مرحلة الاكتشاف.

٤/ مرحلة الالتزام[١].

وكذلك كان التغيير الكبير الذي شهده بنو إسرائيل نحو الملكيّة؛ ونجد تفصيل ذلك في الآيات القرآنية:

١/ مرحلة الإنكار:

فقد أصيب القوم بالدهشة وعدم التصديق لما عُيّن عليهم ملك حقيقي سيغيّر من أوضاعهم ومفاهيمهم قبل أن يتوجّه لقتال أعدائهم، فأنكروا ذلك: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾ [البقرة:٢٤٧]؟

٢/ مرحلة المقاومة:

وفيها تبدأ تباشير التغيير بالظهور، وتتعرض العملية التغييرية للمقاومة من قِبَل الجاهلين بها، أو المستفيدين من ثبات الأوضاع، وفيها تكال التُهم والنعوت للقائمين علىٰ العملية التغييرية حتىٰ ينفض الناس عنهم: ﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾ [البقرة:٢٤٧]،

---

(١) جاسم سلطان، **قوانين النهضة**، سلسلة أدوات القادة، كتاب الكتروني عبر موقع ويب: (مشروع النهضة)، (ص٥٦-٥٧).

فينبز تارة بالفقر، وتارة بضعف الحسب والنسب، ويحدث التناوش فيها والنقاش، وبين الأطراف الرافضة والقابلة، كما حدث من النبي عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في محاولة إقناعهم.

٣/ مرحلة الاكتشاف:

حيث يشتد عود العملية التغييرية، فيقبل الناس للتعرّف عليها، خصوصـاً وقد رأوا بوادر ما يطمئنهم إلىٰ صواب هذه التغيير: ﴿ إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ [البقرة:٢٤٨]، وتثار لديهم تساؤلات: لماذا لا نّجرب؟ فقد يكون ذلك جيداً، ويخرج الجنود مع ملكهم ليروا نهاية المطاف: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ﴾ [البقرة:٢٤٩].

٤/ مرحلة الالتزام:

وفيها يقتنع الناس بجدوىٰ التغيير ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ﴾ [البقرة:٢٤٩]، ويتساءلون عن أدوارهم في هذه العملية التغييرية: ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ ﴾ [البقرة:٢٥١].

هذه المراحل هي مراحل التغيير الطبيعية التي تحدث وفق سنن الله الربّانية.

لقد بدأ بنو إسرائيل عهداً جديداً لم يكونوا يألفونه، ولقد عانىٰ النبي عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ كثيراً من أجل التمهيد لهذا العهد، وفي مشهد مهيب يقف النبي (صموئيل) عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ليرسم معالم هذا العهد؛ فيقف -وهو الخطيب المفوّه- في محضر حافل عند تنصيب طالوت ملكـًا عليهم

ويقول: (هاأنذا فاشهدوا عليّ قدام الرب وقدّام مسيحه [يقصد الملك طالوت]، ثور من أخذت، أو حمار من أخذت، أو من ظلمت، أو من ضغطت، أو من يد من ارتشيت لأغضي عينيّ عنه؛ فأردّ لكم، فقالوا: ما ظلمتنا ولا ضغطتنا، ولا أخذت من يد أحدنا شيئًا)[1].

ولقد أراد النبي عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بذلك غرس ثقافة جديدة، لصنع مُلك قائم علىٰ العدل، وهو ما كان، وما تمنّاه النبي عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بهذا الملك قد حصل، وأقرّ الله عينه فلم يمُت إلا وقد رأىٰ بشائر النصر[2].

إن التغيير الهائل الذي حدث لبني إسرائيل هو من الضخامة والتأثير؛ بحيث يمثل لبنة هامة بنيت عليها بعد ذلك حضارة بني إسرائيل وتحّولاتها التالية، وبإمكاننا أن نطلق علىٰ هذا التغيير وصف (اللّبنة المؤثرة)[3].

المطلب الثالث: حال الملوك في ابتداء تأسيس الدول

غالبًا ما يكون الملوك والقادة في ابتداء تأسيس الدول أقرب إلىٰ الخير، وذلك لثلاثة أسباب:

١/ أنهم لم يعتادوا عظمة الملك.

٢/ أنهم ما زالوا لم ينسوا مساواتهم لأمثالهم.

٣/ أنهم لم تثبت أقدامهم في الملك وما زالوا يتوقعون الخَلْع.

---

(١) **سفر صموئيل الأول**، إصحاح ١٢، (مقطع٣-٤).

(٢) قيل أن عمره لما توفي ٩٨ عامـًا، فيصبح بذلك أنه قد عاش قرابة ٢٨ عامـًا في ظل حكم الملك طالوت، انظر: الدّبس، مرجع سابق، (٢/ ٢٥٨).

(٣) جاسم سلطان، **أداة فلسفة التاريخ**، سلسلة أدوات القادة، كتاب الكتروني عبر موقع ويب: (مشروع النهضة) www.4nahda.com.(ص٢٥).

وهذا من أعظم منافع صناعة قائد جديد لم يتأثر بكبرياء الملكية، أما الملأ من بني إسرائيل فلم يتفطّنوا لهذه الحكمة لقصر أنظارهم.

ولهذا نجد في التاريخ أن مؤسسي الدول غالبًا ما يكونون أفضل ملوك عائلاتهم إن كانت قاعدة الملك عندهم قائمة علىٰ الوراثة[١].

ويكون الملك الجديد علىٰ المحك والتجربة؛ فإن عدل مع الرعية، وسار فيهم بالسيرة الجميلة، صار ملكه ملك تفويض وطاعة، فرسىٰ وثبت؛ وإن جار وعسف، فقد دنت نهايته، وغُلبت دولته، وستصبح أثراً بعد عين، يبيدها الظلم، ويزيلها البغي، بعد أن تهلك بهم الرعايا، وتخرب بهم البلاد، وأكثر ما يحلّ نظام الملك: إما بالأهمّال والعجز، وإما بالظلم والجور[٢].

أما طالوت فقد سار بهم سيرة حسنة فطال ملكه حتىٰ قيل أنه ملكهم ٤٠ عامًا[٣]، إلىٰ أن مات شهيداً قائداً بطلاً، لم يثنِه طول بقائه في المُلْك أن يخرج للجهاد، وأن يتمنّىٰ الاستشهاد، بل حتىٰ في حياته الخاصة، فقد كانت تتسم بالبساطة، ولم يعش حياة الرفاهية والترف التي كان يعيشها الملوك في الأمم المجاورة لهم، وكان يأكل من عمل يده في حقله الزراعي الخاص، ولم يتخذ لنفسه قصراً أو بلاطًا فخمًا، وكان يجتمع بقيادات الجيش وهو مستند علىٰ الحائط، أو في ظل شجرة، وإلىٰ يمينه حربته[٤].

(١) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مرجع سابق، (٢/ ٤٩٠) بتصرف.

(٢) الماوردي، **تسهيل النظر**، مرجع سابق، (ص١٥٥) بتصرف.

(٣) انظر: ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، **تحفة النبلاء من قصص الأنبياء**، تحقيق: غنيم بن عباس، ط١، (القاهرة: مكتبة التابعين، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م)، (ص٣٩١).

(٤) بيومي، **بنو إسرائيل**، مرجع سابق، (٤/ ٦٦٠)، نقلًا عن: =

وما حال طالوت وهو الملك الجديد صاحب المهمة الكبيرة، إلا كما وصف (الطرطوشي) حال السلطان، إذ قال عنه: «لا يهدأ فكره، ولا تسكن خواطره، ولا يصفو قلبه، ولا يستقرّ لبّه، الخَلْق في شُغل عنه وهو مشغول بهم، والرجل يخاف عدواً واحداً وهو يخاف ألف عدو، والرجل يضيق بتدبير أهل بيته، وإيالة ضيعته، وتقدير معيشته، وهو مدفوع لسياسة جميع أهل مملكته...»[(١)].

ولولا أن طالوت توفّرت لديه بعض العوامل التي ثبّتته، لما كان في استطاعته أن يصبر على هذه القيادة الصعبة، والمهمة العسيرة، وكان من أهمّ تلك العوامل التي أثّرت على شخصه:

أ/ إيمانه بالأهداف التي يحملها، وبعظمة رسالته، وأنه إنما جاء ليرتثّ أمّة قد ماتت من بين ركام الأمم.

ب/ وجود أعوان وأنصار، قد هيأهم النبي صموئيل عَلَيهِ ٱلسَّلَامُ ليكونوا قاعدة جماهيرية يستطيع طالوت الاعتماد عليها، والثقة بها.

جـ/ شعوره بالأمان، وهو مصاحب للنبي عَلَيهِ ٱلسَّلَامُ، ويسمع ويرى أن الوحي الإلهي يقوّمه ويسدّده.

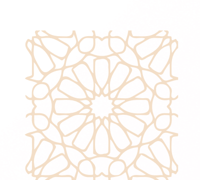
د/ ميوله القياديّة الشخصيّة، والتي تغرس فيه رغبة اتخاذ القرارات، والراحة في متابعة من يليه[(٢)].

= Lods، Adolp،Israel's history from it's beginning through the middle of the eighth century1 ،st edition، (London: Kegan paul،(2005 ، p.356).

(١) الطرطوشي، **سراج الملوك**، مرجع سابق، (ص١٩٣-١٩٤).

(٢) لمزيد من الاطلاع في العوامل المؤثرة على القائد ينظر كتاب: العمري، محمّد بن سعيد، =

المبحث الثالث



بين السلطة التنفيذية و السلطة التشريعية

المطلب الأوّل: صلاحيات متكاملة بين النبي والملك

منذ أوّل يوم أعلن النبي صموئيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ تنصيب طالوت ملكًا، وضع دستوراً عظيمًا حدّد فيه صلاحيات الملك ومهامه، فقد جاء في سفر صموئيل الأوّل: (فكلم صموئيل الشعب بقضاء المملكة، وكتبه في السفر، ووضعه أمام الرب، ثم أطلق صموئيل جميع الشعب كل واحد إلىٰ بيته)[1].

هذا الكتاب أطلق عليه فيما بعد اسم (قوانين المملكة)، وقد سجّل في هذا الكتاب امتيازات الملك وحقوقه، وعيّن له صلاحياته، وأوضح فيه واجبات الأمّة نحو ملكها، ووضع هذا القانون أمام الرب شهادة علىٰ أن كل فريق يقوم بما عليه من الواجبات، وسلّمه للكهنة تثبيتًا له[2].

هذا الكتاب المهم يعتبر في الحقيقة أوّل وثيقة تاريخيّة لأوّل دستور

= **المعايير القيادية في الأنظمة الأمنية**- رسالة ماجستير غير منشورة، (الرياض: أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، ١٤٠٧هـ)، (ص٣٢٨-٣٣١).

(١) **صموئيل الأول**، إصحاح١٠، (مقطع ٢٥).

(٢) موقع ويب: **الخدمة العربية بالكرازة للإنجيل**، (Ar.arabicbible.com).

سياسي في التاريخ، ولكنه مع الأسف ضاع مع ما ضاع من تراث الأنبياء[1].

وهذه الوثيقة الضائعة لو وُجدت سيكون لها شأن أعظم من وثيقة (الماجنا كارتا)، التي يعظّمها أصحاب الحكومات الديمقراطية اليوم[2].

وبصرف النظر عن ضياع هذه الوثيقة؛ إلا أن الآيات القرآنية تبيّن لنا بوضوح الصلاحيات التي كانت لدىٰ الملك، والمهام التي كانت مطلوبة من النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، كما أن الآيات تبيّن الحقوق المكفولة للشعب في ضوء الشرع الحكيم.

وإنّ ما ظن الغرْب اليوم أنهم أبدعوا في إيجاده في ظلّ النظام الديمقراطي من فَصل للسلطات للحدّ من استبداد الحكومات، وذلك بإنشاء سلطات ثلاث هي:

---

(١) وقف مفسرّي الكتاب المقدّس – عند أهل الكتاب – كثيراً عند النص الذي يثبت وجود هذا الكتاب الدستوري، وأنكر كثير منهم وجوده أصلاً خشية أن يكون ذلك مدخلاً لإثبات ضياع نصوص كثيرة من (العهد القديم)، وحرّفوه علىٰ أن المقصود به مازعموا أن (صموئيل) قاله في التحذير من الملكيّة، [موقع ويب: Holy -boble- 1.com، موضوع/ هل يوجد سفر ضائع لصموئيل النبي؟].

(٢) (الماجناكارتا): كلمتان لاتينيتان (Magna Carta)، معناهما: العهد الأعظم، وتعتبر أول وثيقة دستورية في التاريخ، وهي وثيقة ملكية بريطانية التزم فيها (الملك جون) بالقانون في عام ١٢١٥م، وبمقتضاه أجبر الملك علىٰ أن يمنح الأرستقراطية البريطانية كثيراً من الحقوق، بينما لم ينل المواطن العادي من الحقوق غير النزر اليسير، ومن الخطأ القول بأن هذه الوثيقة كفلت الحقوق الفكرية لجميع طبقات الشعب، ولكن أهميتها تنبع من كونها أخضعت الملك لحكم القانون،وكبحت جماح السلطة المطلقة، وتعدّ الوثيقة معلم بارز من معالم تطور الحكومات الدستورية في كثير من الدول الديمقراطية التي اتبعت نهج القانون الانجليزي في إنشاء حكوماتها، [موقع ويب: (**المعرفة**) org.marefa.www، مفردة: ماجنا كرتا].

١/ السلطة التشريعية الرقابية.

٢/ السلطة التنفيذية.

٣/ السلطة القضائية.

هذا الأمر في الحقيقة ليس جديداً علىٰ تاريخ الإسلام وتاريخ الأنبياء، وقصّة طالوت أنموذج ظاهر علىٰ ذلك:

فالنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كان يمارس الدور التشريعي والرقابي، والملك (طالوت) كان صاحب السلطة التنفيذية.

قال **البغوي**: فيما نقله عن وهب وابن إسحاق والكلبي وغيرهم: «وإنما كان قوام بني إسرائيل بالاجتماع علىٰ الملوك وطاعة الملوك لأنبيائهم، فكان الملك هو الذي يسير بالجموع، والنبي يقيم له أمره، ويشير عليه برشده، ويأتيه بالخبر من ربّه»[١]، وأسند **الطبري** هذا الكلام إلىٰ وهب بن منبّه[٢].

وبذلك تتضح سلطة النبي عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ التي تتمثل في أمرين:

١/ الدور التشريعي:

حيث يأتي الوحي للنبي من السماء، ويبلّغ الملك طالوت بما أحدثه الله من الشرائع والأحكام، فيما ليس للملك فيه اجتهاد ولا رأي،

---

(١) البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، مرجع سابق (١/ ٢٩٦)، وكذلك: الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، مرجع سابق،، (٢/ ١٦٥)؛ الرازي، **مفاتيح الغيب**، مرجع سابق، (٦/ ١٨٤).

(٢) الطبري، **جامع البيان**، مرجع سابق، (٥/ ٢٩٥).

خصوصاً في عظائم الأمور وأسس الحكم، والدافع إلىٰ هذه التشريعات الربّانية أن تحدّ السيطرة الفردية.

والملك مهما عظم فإنه لا محالة يكون تحت شريعة الله، والملك الذي هو حامي القانون وراعيه يخضع للقانون، وحرام عليه أن يبدّل أو يغيّر في الشريعة، التي شرعها الله، وطالوت منذ جلوسه علىٰ كرسي الملك أبرم هو والشعب عهداً مع الله علىٰ احترام الشريعة والقانون[1].

٢/ الدور الرقابي:

وهو ما يعرف في الشريعة بـ(الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، ولا شكّ أن دور الاحتساب علىٰ الملوك، ومراقبتهم في سياستهم من أهمّ ما يحرص عليه النبي صموئيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فقد كان النبي صموئيل يعاتب طالوت إذا حاد عن شريعة الله أو خالف أمراً ليس له فيه اجتهاد.

ولم يشأ النبي صموئيل أن يقيم ملكـًا مستبداً برأيه وحكمه، بل كان كل ما يرجوه أن يكون ملكـًا عادلاً قويـًا جريئـًا، وسنداً لكل الشعب لكي يخلّصهم من أيدي أعدائهم[2].

ولذلك كان النبي صموئيل حينما يرىٰ الخطأ الواضح فإنه دائمـًا ما يسارع إلىٰ ممارسة (النقد المتوازن) بدون مواربة، ويوضح تلك الأخطاء السياسية، ويخضع أحداث العصر للتحليل النقدي[3].

(١) فؤاد حسنين، **إسرائيل عبر التاريخ: في البدء**، مرجع سابق،(ص١٧٦).

(٢) بيومي، **بنو إسرائيل**، مرجع سابق، (٥/ ٩٧) بتصرف.

(٣) خليفة حسن، محمّد، **تاريخ الديانة اليهودية**، ط١، (القاهرة: دار قباء، ١٩٨٨م)، (ص١٧٢) بتصرف.

المطلب الثاني: توهّم الصراع بين الدين والسياسة

علىٰ الرغم من أن السياسة جزء من الدين في كل الشرائع السماوية التي لم يدخلها التحريف، إلا أننا نجد من أصابت أذهانهم لوثة فكرية، وتشربت قلوبهم مبادئ غير سوية، دائمًا ما يتوهمون الصراع بين الدين والسياسة، ويقحمون ذلك في تفسيرهم للتاريخ بكل فضاضة.

ولم يسلم تاريخ طالوت السياسي من التحريف في موقفه من (النبي) عَلَيْهِ السَّلَامُ فهذا **موسكاتي** مثلاً يقول: «لم يلبث شاؤل أن اصطدم بالكهنة، وكان هذا هو السبب الرئيسي لسقوطه ومجيء داود بعده، وقد أدرك داود وسليمان القوّة المركزية الدينية وسلطة الكاهن الأكبر، فاتبع السياسة التي يتبعها الملوك والأباطرة دائمًا في مثل هذه الأحوال، وذلك أن بسطا حمايتهما علىٰ الدين، وألحقا الكاهن الأكبر ببلاطهما، وجاهدا ليجعلا الهيئة الدينية إدارة من إدارات الدولة»[1].

وهو بذلك يغفل عن أن داود وسليمان عليهما السلام كانا من الأنبياء، وكانا أكبر مصدر للسلطة التشريعية في زمانهما، فما حاجتهما إلىٰ مداهنة الكهنة، وهم حماة الشريعة والملّة أصلاً، ثم يمضي **موسكاتي** بالقول عن جميع الأنبياء: «وكان يميز دعوتهم العداء للتطور السياسي الديني الذي شهده عهد الملكية، وأدىٰ إلىٰ تلّوث دين يهوه القديم وفساده، وقد ندّد الأنبياء بالبدع الوثنية؛ وبذلك عارضوا السلطة الملكية معارضة صريحة، وقد لاحظ العلماء بثاقب نظرهم أن هذه النبوة تعبير عن انبعاث روح

---

(١) موسكاتي، **الحضارات السامية القديمة**، مرجع سابق، (ص١٤٢).

الحرية الموروثة عن حياة البداوة، تلك الروح التي رأت في الملكية بدعة منكرة، ونظاماً منقولاً عن العالم الخارجي المعادي لإسرائيل»[١].

وربّما بالفعل نشأت جدلية الصراع والصدام بين الدين والسياسة، حينما انحرفت الديانة الموسوية الصحيحة، وحينما تسلّط الملوك عليهم واستكبروا عن أوامر الله، ولكن ذلك لم يحدث في تاريخ اليهود إلا بعد قرون من عهد الملك (طالوت).

أما الملوك الأوائل فقد كانت نظرة الأنبياء لهم أنهم منحة من الله وخير وبركة للشعب، وحينما تحوّل الملوك إلىٰ حكّام طغاة مستبدين فقد رأىٰ فيهم كل المجتمع الإسرائيلي أنهم لعنة حلت بهم، ومصيبة حاقت بدارهم، ولذلك حاول رجال الدين الاسرائيلي -المحرّف آنذاك- أن يوجّهوا الحكم السياسي بالوجهة التي تروق لهم؛ وبالتالي حرّفوا نصوص الكتاب المقدس، وخصوصاً (سفر صموئيل)[٢].

قال **الطبري**: «فإذا عتت ملوكهم وتركوا أمر أنبيائهم فسد أمرهم، فكانت الملوك إذا تابعتها الجماعة علىٰ الضلالة تركوا أمر الرسل»[٣].

وقال **ابن الأزرق**: «ما من دين زال سلطانه إلا بدلت أحكامه، وغيرت سننه، كما أن السلطان إذا عري عن الدين، كان سلطان قهر ومفسد دهر»[٤].

---

(١) **الحضارات السامية القديمة**، مرجع سابق، (ص١٤٥).

(٢) **إسرائيل عبر التاريخ: في البدء**، مرجع سابق، (ص١٧٠) بتصرف.

(٣) **جامع البيان**، مرجع سابق، (٥/ ٢٩٧).

(٤) **بدائع السلك**، مرجع سابق، (ص١٠٩).

وعلىٰ حدّ زعم كتابهم المقدس، فقد ذكروا في أسفارهم المتأخرة أن الأنبياء كثيراً ما كانوا يثيرون سخط الملوك، بسبب السلطة التشريعية التي كان بنو إسرائيل يعترفون لهم بها[١].

هذا ما يمكن أن يبرّر به مقالة من توهّم الصراع بين الدين والسياسة، وأنه ناشئ من الخلط بين متقدّمي الأنبياء والملوك من بني إسرائيل، وبين متأخّري الكهّان المحرّفين والحكام المستبدّين.

أما ما لا يمكن تبريره بحال من الأحوال، أن يأتي من يزعم أن النبي (صموئيل) عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هو واضع أسس العلمانية! ومن النماذج الصارخة فيمن زعم ذلك الحاخام اليهودي (م.ص، سيجال)[٢] حيث قال: «لكن صموئيل قد أحدث تغييراً جوهرياً في تنظيم الشعب الإسرائيلي، نتج عنه إصفاق أثر النبوة في حياة الأمّة، فهو قد نصّب في إسرائيل ملكاً، فأخرج الملك قيادة الأمّة من يد النبوة ووضعها في صولجان الملك.

وهكذا حوّل الملك أسباط إسرائيل إلىٰ أمّة عسكرية مدنية يرأسها قائد عسكري مدني، أي انتقل بها من الأساس الديني إلىٰ الأساس العلماني، وبهذا انتهىٰ أمر إسرائيل كأمّة ثيوقراطية (دينية الحكم)، وكشعب مختار، الله ملكه والنبي قائده، وأصبحت دولة علمانية ككل الدول المجاورة، علىٰ رأسها ملك علماني بشر من لحم ودم، ولها تطلعات سياسية؛ ومطامح في الملك.

(١) بيومي، **بنو إسرائيل**، مرجع سابق، (٤/ ٦٥٥).

(٢) هو أستاذ دراسات العهد القديم في الجامعة العبرية، وأحد أكبر الباحثين المتخصصين في شروح التوراة من اليهود المعاصرين.

والحق أن هذا الانتقال في قيادة الأمّة من النبوة إلىٰ الملك لم يقع طفرة واحدة، وبلا صراع قاسٍ بين الملك الأوّل (شاؤل) ونبي هذه الفترة (صموئيل)، وإن كان هذا الصراع قصير الأجل، إذ بموت صموئيل لم يعد في إسرائيل نبي قادر علىٰ منافسة الملك في القيادة»[1].

ونحن بدورنا لا نملك أن نقول أمام هذا الادعاء الفاحش إلا: سبحانك هذا بهتان عظيم، ولا ندري كيف استنتج هو وأمثاله هذه الفكرة السقيمة، التي ليس عليها أي دليل من توراتهم المحرّفة، فضلاً عن التوراة التي أنزلها رب العالمين.

بينما القرآن ينصّ صراحة علىٰ أن اختيار الملك كان باصطفاء من الله، فهل من المعقول أن ينتخب الله ملكـًا ليخرّب شريعته؟ ويرمي بالقوانين الإلهية ليستبدلها بقوانين أرضية؟ حاشا طالوت من ذلك، وماذا عساه سيقول عن داود وسليمان الملكَيْن النبيَّيْن!

وبالمقابل نجد اتجاهـًا آخر من الباحثين اليهود، يرون أن الله هو الذي اختار الملك، وأن الله هو الذي يمدّه بالسلطان والعدالة، وهو يحكم بفضل الله، بل أنهم بالغوا أيضـًا وزعموا أنه (سراج إسرائيل)[2]، وأنه (ملاك الله لفهم الخير والشر)[3]، وأن من حقه أيضـًا أن يدعي أنه

---

(١) سيجال، **حول تاريخ الأنبياء عند بني إسرائيل**، ترجمة: حسن ظاظا، الكتاب يقع ضمن مجموعة كتب تحت عنوان: أبحاث في الفكر اليهودي، حسن ظاظا، ط١، (دمشق: دار القلم- بيروت: دارة العلوم، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، (ص٨٩).

(٢) **سفر صموئيل الثاني**، إصحاح٢١، مقطع (١٧).

(٣) المرجع السابق، إصحاح٤، (مقطع١).

(ابن الرب)[1].

أما الإنصاف والعدل فهو الوقوف مع الآي القرآني، والنص المحكم الذي وصف طبيعة ملك طالوت بما يحقق مصالح العباد الدنيوية والأخروية.

(١) بيومي، **إسرائيل عبر التاريخ: في البدء**، مرجع سابق، (٤/ ٦٥٠).



المبحث الرابع



إنجازات طالوت وداود



أولا: منجزات طالوت:

بعد مرور أجيال متعاقبة علىٰ بني إسرائيل من الذلّ والسقوط، بعث الله إليهم طالوت ملكـًا، ليقودهم إلىٰ نجاحات متتالية، منذ بداية تنصيبه، والذي كان حوالي عام ١٠٢٠ق.م[(١)].

ولترتفع بذلك مؤشرات النجاح من الحضيض إلىٰ مستوىٰ عالٍ من جودة الإدارة وتحقيق الأهداف، التي رسمت لمن بعده خططًا يبني عليها، ويواصل المسيرة بها، كما فعل داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وقد أخطأ جداً من زعم «أن الأعمال التي قام بها شاؤل، والخاصة بالوحدة بين الشمال والجنوب، وتحرير الإسرائيليين من الاستعباد قد ذهبت مع الريح، ولو أن النظام الملكي ظلّ قائمـًا»[(٢)].

ويشير إلىٰ ذلك أيضـًا (لودز Lods) الذي قال: «إن عملية توحيد بني إسرائيل وتحريرهم التي تمت علىٰ يد شاؤل قد أزيلت وطمست.،

---

(١) يختلف المؤرخون حول تاريخ بدء حكم طالوت؛ إذ يرىٰ مؤرخون أن حكمه بدأ سنة (١٠٣٠ق.م)، ويرىٰ غيرهم أنه بدأ سنة (١٠٢٥ق.م)، ويرىٰ آخرون أنه كان في سنة (١٠٠٠ق.م)، وأيـًا كان الأمر فالذي يهمّنا أنه جاء إلىٰ أمة قد وصلت فيها مؤشرات الفشل إلىٰ القاع؛ لمعرفة تاريخ بدء حكمه ينظر كتاب: الأحمد، مرجع سابق، (ص٤٣).

(٢) فؤاد حسنين، **إسرائيل عبر التاريخ**: في البدء، مرجع سابق، (ص٢٣٣).

ومهما يكن من أمر فإنه لجدير بالملاحظة أن النجاح الذي حققه شاؤل الملك الأوّل لبني إسرائيل، قد طبعهم بطابعه، بحيث إنهم لم يفكروا مطلقاً في إلغاء تأسيس الملكية»[1].

وحقيقة الأمر أن منجزات طالوت، قد نمت وازدهرت في عهد داود وسليمان عليهما السلام، حتىٰ قال سليمان عليهما السلام: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [ص:٣٥].

وإذا ما جئنا لسرد الإنجازات التي تحقّقت في عهد طالوت سنجد أنّها كثيرة من حيث التفصيل؛ خصوصاً إذا ما اعتبرنا ما ورد في العهد القديم من أحداث، ولكنني سأورد علىٰ سبيل الإجمال ما استقيناه من القرآن، وأيّد به العهد القديم، ومن تلك الإنجازات:

أوّلاً: توحيد صف بني إسرائيل:

كان من أولىٰ مهمات القائد الجديد توحيد أمّة بني إسرائيل؛ وذلك أن القائد يعتبر رمزاً للوحدة، وهو قادر علىٰ أن يشرح للجميع أهمّية الائتلاف، ويرسخ في أذهانهم ماهية العمل الجماعي، ثم هو يقودهم بعد ذلك إلىٰ تحقيق طموحاتهم وأهدافهم[2].

وفكرة الوحدة أساساً هي من الأمور التي نادىٰ بها النبي (صموئيل) عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ولكنها لم تتحقّق إلا في عهد (طالوت)، وكان النبي خير معين

---

(١) الأحمد، **داوود وسليمان في العهد القديم والقرآن الكريم**، مرجع سابق، (ص٤٦-٤٧)، نقلًا عن: Lods، p.359.

(٢) كورتوا، **الطريق إلىٰ القيادة وتنمية الشخصية**، مرجع سابق، (ص١٠).

له في ذلك، كما أن الموقف التاريخي كان مواتياً علىٰ نحو فريد، فمصر كانت في فترة تأخر واضمحلال، وآشور كانت مشغولة بتأمين حدودها في العراق[١].

وعلىٰ ضوء ما ورد في (العهد القديم)، فإنه لم تقم لبني إسرائيل أية سلطة مركزية قبل تلك المشار إليها في قصّة طالوت، كما لم يرد ولو ضمناً أن قبائل إسرائيل قد قامت بأي نشاط جماعي شارك فيه كل بني إسرائيل أو أنهم أوجدوا بنية موحّدة للدفاع قبل نشوء الملكية[٢].

صحيح أنه قد وُجِدت عند أسباط بني إسرائيل بعض التحالفات قبل الفترة الملكية، اضطروا إليها، ولكن لم تحدث الوحدة الاندماجية إلا في منتصف القرن الحادي عشر قبل الميلاد، عندما تفاقم الضغط علىٰ بني إسرائيل من الأمم المعادية، وخافوا علىٰ أنفسهم من خطر الإبادة.

حينذاك سارعوا للمطالبة بملِك يحمل لواء المقاومة، ويوحّد صفوف الأسباط، فاختار الله لهم طالوت[٣]، وبذلك نستنتج أن الظروف والشروط المسبقة لظهور مفهوم الوحدة الكاملة، لم تتوافر أبداً قبل مجيء طالوت[٤].

---

(١) مصطفىٰ كمال وسيد فرج، **اليهود في العالم القديم**، مرجع سابق، (ص٧٢).

(٢) طومسون، **التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي**، مرجع سابق، (ص٦٩).

(٣) شوفاني، إلياس، **الموجز في تاريخ فلسطين السياسي**، ط١، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ديسمبر ١٩٩٦م)، (ص٩٢-٩٣).

(٤) طومسون، **التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي**، مرجع سابق، (ص٩٣).

ثانيًا: انتصارات متتالية في المعارك بقيادته:

لم يخض أحد من ملوك بني إسرائيل حروبًا كثيراً مثلما خاضها (طالوت)، والذي كان النصر حليفه في كل المعارك التي دخلها ما عدا المعركة الأخيرة التي نال فيها شرف الشهادة.

ولقد قاد طالوت تلك المعارك المتعددة باقتدار وحنكة، «وحارب أعداءهم من بني فلسطين وعمّون وموءاب والعمالقة ومَدْين فغلب جميعهم، ونصر بنو إسرائيل نصراً لا كفاء له»[١].

ومع أن كاتب (سفر صموئيل الأوّل) حاول أن يغيّب كثيراً من الأحداث والمعارك، إلا أنه أشار إلىٰ ذلك إشارة موجزة تدل علىٰ مدىٰ ما بلغ طالوت من انتصارات متتالية علىٰ جميع الجبهات، يقول النص: (وأخذ شاؤل الملْك علىٰ إسرائيل وحارب جميع أعدائه حواليه... وأنقذ إسرائيل من يد ناهبيه)[٢].

وكما نلاحظ فإن (السِّفر) لا يذكر تفصيلات تلك الحروب[٣]، يقول المطران يوسف الدّبس: «لم يطرفنا الكتاب [يعني سفر صموئيل] بشيء من تفصيل أخبار هذه الحروب»[٤].

ولا شكّ أن يد كاتب السفر تعمّدت حذف وقائع تلك المعارك

(١) ابن خلدون، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر**، مرجع سابق، (٢/ ١٠٩).

(٢) **سفر صموئيل الأول**، إصحاح ١٤، (مقطع ٤٧-٤٨).

(٣) سليمان ناجي، **اليهود عبر التاريخ**، مرجع سابق، (ص٤١).

(٤) الدّبس، **تاريخ سورية الدنيوي والديني**، مرجع سابق، (٢/ ٢٤٥).

والانتصارات، واختزلت جميع هذه الأحداث بعبارة موجزة لا تفي بعظمة تلك الملاحم التي سطّرها الملك طالوت.

حتّىٰ أن بعض الكتّاب، ومنهم **سيّد القمني** بالغوا في حدود تلك الانتصارات وأوصلوها إلىٰ بلاد مصر، وأن طالوت دخل بجيشه وانتصر علىٰ (الهكسوس)، الذين هم (عماليق) في الأصل، وحرّر أهلها من الحكم الجائر[١].

وزعموا أيضـًا أن طالوت تمكن من استئصال شأفة الهكسوس العرب، وتحرير مصر من أيديهم[٢]، وأن طالوت حينما حرّر مصر تركها لأبنائها المصريين ليحكموها[٣].

وبعيداً عن المبالغات، فإن الذي يعنينا أن الملك طالوت جاهد في سبيل الله حقّ جهاده، حتىٰ أذلّ كبار الملوك الجبابرة من حوله، وقد لخّص **ابن العبري** عدداً من تلك المعارك في تاريخه[٤].

وتحدّث (سفر صموئيل الأوّل) عن جزء من الانتصارات مما انتقاه

---

(١) القمني، سيّد، **إسرائيل: التوراة.، التاريخ، التضليل**، د.ط، (القاهرة: دار قباء، ١٩٩٨م)، (ص ٢٠٠-٢٠٢).

(٢) المرجع السابق، (ص٣٠٤)، ولكن في ذلك مغالطة تاريخية واضحة، فـ (الهكسوس) لم يكونوا يحكمون مصر في عهد طالوت، بل إن حكمهم قد انتهىٰ قبيل مجيء طالوت بمئات السنين، حتىٰ موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يعاصرهم ولا كان في عهدهم، بل كانوا علىٰ الصحيح في عهد يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

(٣) المرجع السابق، (ص٢٩٤).

(٤) ابن العبري، **تاريخ مختصر الدول**، مرجع سابق، (ص٤٥-٤٧).

كاتب السفر، مما يطعن في سيرة طالوت أكثر مما يمدح، ويحطّ من ذكره أكثر مما يرفع[1].

ويكفي طالوت شرفًا تخليد القرآن له في معركة فرقان بني إسرائيل، تلك المعركة التي كانت بداية لسلسلة طويلة من الانتصارات، ما كانت لتحدث لولا أن منّ الله علىٰ بني إسرائيل بهذا القائد العظيم.

ثالثًا: إنشاء جيش منظّم:

منذ أن استقرّت الملكيّة في عهد طالوت، بدأ القضاء تدريجيًا علىٰ عصبيّة القبائل، والانتماءات الأسرية التي كانت من قبل تتولىٰ مهمة الدفاع عن المجتمع الإسرائيلي، وأصبح بديلاً لذلك إنشاء جيش منظّم عامل، يتولىٰ تدريبه رجال من قِبل الملك، ويدينون بالولاء له، كما أصبحت مهنة الجيش مهنة ثابتة للجندي والقائد[2].

«كما أن شاؤل في السنة الثانية لملكه انتخب لنفسه ثلاثة آلاف رجل من بني إسرائيل ليكونوا جنوداً يقيمون عنده»[3]، وقد انتقىٰ طالوت كل لائق للخدمة العسكرية وضمّه لجيش المجاهدين[4].

---

(١) لمطالعة سياق تلك المعارك ينظر كتاب: جلوب، فون باجوت، ٢٠٠١م، **اليهود واليهودية في العصور القديمة**، وأصل الكتاب: السلام في الأرض المقدسة تحليل تاريخي لمشكلة فلسطين، ترجمة: رشاد الشامي، القاهرة: المكتب المصري، ط١، (ص١٠٤-١٠٧)؛ سليمان ناجي، مرجع سابق، (ص٤١)؛ الدّبس، مرجع سابق، (ص٢٤١-٢٤٦).

(٢) فؤاد حسنين، **إسرائيل عبر التاريخ: في البدء**، مرجع سابق، (ص١٧٢).

(٣) الدّبس، **تاريخ سورية الدنيوي والديني**، مرجع سابق، (٢/ ٢٤٢).

(٤) بيومي، **بنو إسرائيل**، مرجع سابق، (٤/ ٦٨٣).

وتدلّنا لفظة (الجنود) في الآية الكريمة ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾ [البقرة:٢٤٩] علىٰ أنه جيش منظم ومرتب، وليس مجموعة عشوائية من البشر، وذلك ان أصل لفظة (الجَنَد) هو الغليظ من الأرض ذات الحجارة، إذ بعضهم يعتصم ببعض[١]، وأصبح كل مجتمع متماسك قوي يسمىٰ: جنداً[٢].

ومع أن الآيات التي تحدثت عن بني إسرائيل في عهد موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ كثيرة جداً، إلا أنه لم تذكر لفظة (الجندية) في تاريخهم إلا في عهد (طالوت)، ثم من بعده (سليمان) عَلَيْهِ السَّلَامُ[٣].

رابعًا: الانتقال لحياة الاستقرار والأمن:

من آثار قيام الدولة في عهد طالوت إيجاد حكومة مستقرة، تسهر علىٰ مصالح الشعب، واستقرار الأمن في ربوع البلاد، ولا شك أن من أقوىٰ دعائم الاستقرار: العدالة، ولا أحد يستطيع رعاية هذه العدالة وخدمتها سوىٰ الشخص القوي، وهو الملك[٤].

لقد جاء الملأ من بني إسرائيل إلىٰ النبي (صموئيل) في بداية الآيات، وهم في أشد الخوف، ويبحثون عن الحياة التي يأمنون فيها علىٰ

---

(١) أبو حيان، **البحر المحيط**، مرجع سابق، (٢/ ٢٧٣) بتصرف.

(٢) رشيد رضا، **تفسير المنار**، مرجع سابق، (٢/ ٤٨٦) بتصرف.

(٣) وذلك في قوله الله: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝١٧ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٧ - ١٨].

(٤) فؤاد حسنين، **إسرائيل عبر التاريخ**: في البدء، مرجع سابق، (ص١٧٢- ١٧٣)؛ بيومي، **بنو إسرائيل**، مرجع سابق، (٢/ ٦٥٦).

أعراضهم وديارهم وأبنائهم وأموالهم، وصرخوا: ﴿ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٤٦]، ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَا﴾ [البقرة:٢٤٦]، فأبدلهم الله بعد خوفهم أمنًا، وبعد هروبهم استقراراً، وبدأت نفوسهم تطيب وتنتعش بروح الحياة والأمل، في عهد مليكهم الأوّل طالوت، وصدق الله: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة:٢٥١].

خامسًا: استنقاذ الأسارىٰ:

لقد كان من أهمّ الأمور التي بسببها طلب بنو إسرائيل تعيين ملك، وإيجاب الجهاد والقتال عليهم، هي قضية الأسرىٰ الذين كانوا في أيدي الأعداء، وبالأخصّ (الأبناء)، لأنهم بمكان في القلب فوق سائر القرابة[1].

قال (ابن جماعة) في حقوق الرعية علىٰ السلطان: «إقامة فرض الجهاد بنفسه وبجيوشه أو سراياه وبعوثه... واشتغالهم بفكاك أسراهم، واستنقاذ بلاد استولىٰ الكفار عليها»[2].

وقد حمل (طالوت) هذه المسؤولية (استنقاذ الأسرىٰ) علىٰ عاتقه، وكان من الأمور التي عملها بعد قتله الطاغية (جالوت) أن سارع

---

(١) الشوكاني، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، مرجع سابق، (١/ ٢٩١) بتصرف.

(٢) ابن جماعة، **تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام**، مرجع سابق، (ص٦٧).

هو وجنوده «واستنقذوا من كان في أيديهم من الأسارىٰ»[1].

هذه أهمّ الانجازات التي قام بها طالوت في عهده، والتي يستحقّ كل واحدٍ منها أن يخلّد بسببه اسم هذا الملك في جبين أجيال بني إسرائيل، ولكنهم قوم لا يفقهون.

وبذهاب هذا القائد واستشهاده قرابة عام ١٠٠٠ق.م، عاد الشتات لبني إسرائيل وهربوا من المدن[2]، ولولا أن الله أنقذهم ببعث (داود) عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ليكون ملكـًا نبيّـًا، وإلا فالقارعة كانت قد حلّت قريبـًا من دارهم.

ثانيًا: منجزات داود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ:

من المؤكد أن داود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ شارك طالوت بعض منجزاته باعتباره جنديا أو قائدا في جيش ومملكة طالوت، ولقد كان من أهم المنجزات التي يمكن رصدها لداود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ:

١ـ الوقوف أمام جالوت وقتله له:

وقد كان هذا الموقف قبل أن يصير داود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ خليفة، كما قال تعالىٰ:﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ﴾[البقرة: ٢٥١].

وما أعظم هذا الموقف من داود، فلقد وقف جالوت بكل صلفه وجبروته، وبكل الضجيج الذي انتشر عن بطولته وشجاعته... ولما طلب

(١) المقدسي، المطهر بن طاهر، **كتاب البدء والتاريخ**، المنسوب تأليفه لأبي زيد أحمد بن سهل البلخي، د.ط، (باريس: الخواجة آرنست الصحّاف، ١٩٠٣م)، (٣/ ٩٨).

(٢) **سفر صموئيل الأول**، إصحاح٣١، (مقطع ٧).

المبارزة بصوت قوي أثار الرعب في القلوب، لم يجرؤ أحد علىٰ منازلته، فانبرىٰ (داود)، وقال لقائده بكل بسالة: أنا كفيل به بإذن الله، ولم يكن داود يحمل مؤهلاً عسكرياً يحفزه لمثل تلك المواجهة غير المتكافئة، ولكنه كان يحمل مؤهلاً إيمانياً عميقاً يؤهله للانتصار في تلك المواجهة، وكان يحمل مؤهلاً ثانوياً تمثل في خبرته التقليدية باستعمال المقلاع إضافة إلىٰ عدة أحجار، وكان سريع الحركة خفيفها.

ولما وضعت الحرب أوزارها صار داود أبرز شخصية قيادية بعد شخصية طالوت، ونظر الناس إليه بكل المهابة والتقدير، لكن داود لم يعبأ كثيراً بهذه المظاهر الدنيوية الزائلة، وأرجع كل فضل ناله إلىٰ الله.

والأسلوب القرآني يخبرنا في خاتمة قصة طالوت بخاتمة تتضمن مفاجأة، وهي ظهور شخصية داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ البطولية، ووراثته لملك بني إسرائيل ليؤسس لهم - فيما بعد- ملكاً عظيماً: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ﴾ [البقرة: ٢٥١][(١)].

ويتبين أيضاً من هذه القصة أن الأدوار العظيمة للقادة لا تتأتىٰ من بيئات الترف والنعومة والراحة، وإنما تأتي من ميادين المعركة، فداود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ خرج من وسط الجيش المجاهد، فمن ميدان المعركة بدأ أمره، وترقىٰ في طريق القيادة والملك والحكمة والمسؤولية، وفي هذا إشارة إلىٰ أن العمل هو الذي يخرج القادة، والميدان هو الذي يكشف عن المواهب،

(١) الظواهري، كاظم، **بدائع الإضمار القصصي في القرآن الكريم**، ط ١، (١٩٩١م - ١٤١٢هـ)، (ص ١١٢-١١٤).

فالقائد داود ظهر من وسط الناس، وقدمه للناس الميدان والعمل والواقع، فهذه هي طريقة القادة الذين يقودون الأمة إلىٰ طريق النصر والتمكين[1].

٢ـ فتح بيت المقدس وعمارتها:

وبعيداً عن مبالغات التوراة في الفتوح فإن «من المجمع عليه -وإن كانت روايات التوراة تختلف في التفاصيل- أن الفتح الذي بدأ بقيادة يشوع لم يصادف أول أمره إلا نجاحـًا قليلاً، ولكنه استمر في الواقع أجيالاً وأجيالاً، ولم يتم علىٰ وجه التحقق إلا باستيلاء الملك (داود) علىٰ (أورشليم)، ومن الجلي أن بني إسرائيل قد كافحوا أشد كفاح في المدة التي أنقضت بين يشوع وداود، وتعذر علىٰ عشائرهم المنعزلة أن تثبت لأعدائها[2]».

ويزعم الصهاينة اليوم، والذين ينسبون أنفسهم لداود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، أنه أسس نواة القدس الأولىٰ التي يعتقد أنها كانت علىٰ تلال أوفل وسلوان المحاذية للسور الجنوبي للبلدة القديمة بالقدس حاليا، ولذا، يطلقون علىٰ سلوان التي تعتبر البوابة الجنوبية للمسجد الأقصىٰ المبارك اسم (مدينة داود City of David)، والصحيح أن اليبوسيين[3] العرب كانوا أول من

(١) صلاح الخالدي، **مع قصص السابقين في القرآن** (١/ ٣٣٢).

(٢) هامرتن، **تاريخ العالم** (٢/ ١٠٥).

(٣) (اليبوسيون) الذين سكنوا مدينة القدس من أزمنة متقادمة، لم يكونوا يمثّلون فرعـًا واحداً من القبائل العربية، بل يبدو أنهم كانوا يمثّلون أخلاطـًا من القبائل العربية، جمعهم دين التوحيد في يوم ما، وربمّا كانت مهاجراً لهم مع أحد أنبياءهم، وهذا ما حدا بكثير من المؤرخين الخَلْط في حقيقة نسب اليبوسيين؛ بينما يحدثنا سفر (حزقيال): (هكذا قال السيد الرب لأورشليم: مخرجك ومولدك من أرض كنعان، أبوك أموري وأمك حثيّة) **حزقيال**، إصحاح١٦، (مقطع ٢-٣).

أسس القدس في هذه المنطقة لوجود عين سلوان بها، وهو ما تدلّ عليه الحجارة اليبوسية التي لا تزال موجودة فيها.

أما داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فتمثل دوره في فتحها واتخاذها عاصمة لمملكته التي امتدت لتشمل كل أراضي فلسطين، للمرة الأولىٰ في حياة أتباع التوحيد من بني إسرائيل[1].

ولما رأىٰ داود أن تكون مدينة (القدس) عاصمة له، لم يدخُل إليها علىٰ أنهار من الدماء -كما تصوّر التوراة في المعارك الأخرىٰ-، ولا يشير العهد القديم إلىٰ أن سكان مدينة (أورشليم) قد طردوا، بل إن داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ «قد التزم العدل والرحمة في فتحه أورشليم، إذ لم يقتصر علىٰ احترام السكان الحاليين للمدينة، بل تعاون معهم تعاونًا وثيقًا وأشركهم في الإدارة التي أنشأها»[2].

بل يكاد يكون من المؤكّد أن داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قد استعان بهؤلاء السكان في تنظيم جيوشه، وكان كثير من الجنود منهم، بل حتىٰ بعض قادة الجيش، مثل (أوريا الحثّي) الذي كان من اليبوسيين، واستعان به داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كثيراً في حروبه، كما أن داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان قد تزوج منهم أيضًا[3].

و(اليبوسيون) الذين سكنوا مدينة القدس من أزمنة متقادمة، لم يكونوا يمثّلون فرعًا واحداً من القبائل العربية، بل يبدو أنهم كانوا يمثّلون

(١) محسن محمد صالح، **الطريق إلىٰ القدس**، (القاهرة، مركز الإعلام العربي،٢٠٠٣م)، (ص ٣٢).

(٢) أرمسترونج، كارين، **القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث**، ترجمة: فاطمة نصر، محمد عناني، د.ط، (لبنان: سطور، ١٩٩٨م)، (ص٨١-٨٢) .

(٣) المرجع السابق، (ص٨٣-٨٤).

أخلاطًا من القبائل العربية، جمعهم دين التوحيد في يوم ما، وربمّا كانت مهجرًا لهم مع أحد أنبيائهم، وهذا ما حدا بكثير من المؤرخين الخَلْط في حقيقة نسب اليبوسيين؛ بينما يحدثنا سفر (حزقيال) فيقول: (هكذا قال السيد الرب لأورشليم: مخرجك ومولدك من أرض كنعان، أبوك أموري وأمك حثيّة)[1].

٣ـ امتداد مملكة إسرائيل في عهده:

فتوسع المملكة يظهر أنه كان في أيام داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وذلك يتضح من قوله تعالىٰ: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى﴾ [ص:٢٦]، فقوله: ﴿خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾، «يجوز أن يجعل الأرض مرادا به جميع الأرض، فإن داود كان في زمنه أعظم ملوك الأرض، فهو متصرف في مملكته ويخاف بأسه ملوك الأرض، فهو خليفة الله في الأرض إذ لا ينفلت شيء من قبضته»[2]، وأيضا قوله: ﴿بَيْنَ النَّاسِ﴾ قد يفهم منه أن هناك أناسا يحكمهم داود ليسوا من بني إسرائيل؛ حيث جاء التعبير بالناس ولم يأت ب(قومك) مثلا.

٤ـ الوصول إلىٰ حالة الاستقرار الاقتصادي:

وهذا يمكن فهمه من قوله تعالىٰ: ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ [الأنبياء:٧٨]، حيث إن مثل هذه القضايا الاجتماعية صارت مما يحكم به، وأيضا فيها

---

(١) **سفر حزقيال**، إصحاح١٦، (مقطع ٢-٣).

(٢) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مرجع سابق، (٢٣/ ٢٤٢).

دلالة علىٰ نوع المهن والحرف والأعمال من زراعة ورعي، ومثل ذلك يفهم من قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِى لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى الْخِطَابِ﴾ [ص:٢٣]، والأعمال الصناعية يمكن فهمها من قوله تعالىٰ:﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء:٨٠].

المبحث الخامس



الفروق القياديّة بين شخصيّات القصّتين

المطلب الأوّل: الشخصيات في القصّتين

يرسم القرآن الكريم بضع (نماذج إنسانية) من شخصيات متعددة، تتجاوز حدود الشخصيّة المعينة إلىٰ الشخصيّة النموذجية، ومهما تكن صورة هذه الشخصيّة القياديّة فإنّها بطبيعة الحال هي التي تحرك الأحداث، ويحرص القرآن علىٰ إحداث الترابط الوثيق بين الشخص والحدث، في توازن جميل بحيث لا يطغىٰ الحدث علىٰ الشخصيّة[1].

ولا شكّ أن تطور الشخصيّة بهذا المفهوم يكسبها جمالاً ويولد فيها الحركة والحيوية حتىٰ تعطي العبرة والعظة كاملة، علىٰ عكس عرض القصّة ذات الشخصيات الجامدة التي لا نحسّ فيها بتقدم ولا بتأخّر أو نمو أو نقص، فعلىٰ ما فيها من جلب النفور للسامع والقارئ، فليس حولها مغزىٰ كبير يمكن أن يستفاد منها[2].

وحين يريد القرآن تحريك حدث من الأحداث وفق اتجاه معيّن، فإنه يحركه بشخصيّاته إلىٰ الهدف دون أن يتوقف أو ينحرف، فلا يكون

(١) مطاوع، **الإعجاز القصصي في القرآن**، مرجع سابق، (ص٩٣) بتصرف.

(٢) باحاذق، عمر محمّد عمر، **الجانب الفني في قصص القرآن الكريم**، ط١، (دمشق: دار المأمون، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م)، (ص١٣١) بتصرف.

هناك خلخلة أو انقسام بين ظاهر الشخصيّة وباطنها[1].

وفي قصّتنا نجد الأحداث تتحرك مع أربع شخصيات وكلها شخصيات قيادية:

١/ صموئيل النبي.

٢/ طالوت.

٣/ داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

٤/ جالوت (قائد جيش الشر).

إلا أن هذه الشخصيات تنقسم إلىٰ نوعين من خلال القصّة:

النوع الأوّل: الشخصيّة المحورّية:

وهي الشخصيّة الأكثر أهمّية في القصّة، والتي تكاد تسند لها كل الوظائف، ومن دونها تتوقف الأحداث عن التطوّر، وهذه الشخصيّة هنا هي شخصيّة (طالوت) وشخصية (داود).

النوع الثاني: الشخصيات الثانوية:

وهي شخصيات معاونة تظهر قيمتها في علاقتها مع الشخصيّة المحورية، وهم بقيّة الشخصيات.

وفي كل قصّة من قصص القرآن نجد شخصاً أو أشخاصا يقومون بدور رئيس فيها، إلىٰ جانب شخصيات أخرىٰ ذات دور أو أدوار ثانوية،

(١) الخطيب، **القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**، مرجع سابق (ص١٢١) بتصرف.

يقوم بينهم جميعاً رباط يوحّد اتجاه القصّة، ويدعم الأفكار الجوهرية فيها[1].

كما نؤكّد هنا أن القصص القرآنية التي معنا لا تركز علىٰ قضية التحليل النفسي للشخصيات؛ وذلك لأن التحليل النفسي يكاد يكون خالياً من الحركة، ويكون الصراع فيه منطوياً داخل الشخصيّة، بينما قصّة طالوت وداود تركز علىٰ قيمة معينة من قيم الخير والحق، ولا يتسنّىٰ ذلك إلا من خلال اعتماد القصّة علىٰ الصراع الخارجي، الذي يكون له نتيجة مشهودة، تبرز القيمة المرادة وتؤكدها[2].

المطلب الثاني: القائد المناسب للمرحلة

يختار الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ويهيء لبني إسرائيل في كل مرحلة من مراحل الزمن قائداً مناسباً لتلك المرحلة، ومتوافقاً مع ما تقتضيه طبيعة المجتمع الإسرائيلي وبحسب حاجة الأمّة، وإذا جئنا إلىٰ تحليل كل شخصيّة من شخصيات القصتين القياديّة فإننا سنكتشف ما يؤكد ذلك، وهذا بيان كل شخصيّة قائدة في الحدث:

أوّلاً: النبي (صموئيل) عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

حينما يبعث الله أحد الأنبياء فإن دعوة ذلك النبي لا تخضع لعوامل نفسيّة داخلية، أو حوادث وقتيّة خارجية، ولا يدير رسالته حيث دارت

---

(١) مطاوع، ، **الإعجاز القصصي في القرآن**، مرجع سابق، (ص٩٦) بتصرف.

(٢) دبّور، محمّد عبد الله عبده، (١٤١٧هـ- ١٩٩٦م)، **أسس بناء القصص من القرآن الكريم دراسة أدبية ونقدية**، رسالة دكتوراه، القاهرة: جامعة الأزهر، (ص١٦٩) بتصرف.

الأحوال والأوضاع وشاء المجتمع.

فهو لا يستطع بحال من الأحوال أن يغيّر أو يبدّل أو يحوّر أو يعدّل شيئًا من رسالته، ومن أحكام الله.

وهذه هي السمة الفاصلة الأساسية المميزة بين الأنبياء صلوات الله عليهم وبين القادة الذين يكون كفاحهم نابعا من وحي بيئتهم وثقافتهم ومشاعرهم، واستجابة للقلق الذي يساور المجتمع، فنجدهم يراعون الظروف والأحوال، ويلاحظون المصلحة والسياسة، ويخضعون لها في كثير من الأحيان.

فلم يكن النبي (صموئيل) عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ليقع أبداً في المداهنة، ولم يكن ليراعي إلا المصلحة الشرعية، ولم يكن يرىٰ منه بنو إسرائيل سوىٰ الأخذ بالعزائم، لا الأخذ بالرّخص والتجوّز في بعض الأبواب.

كما أن وضع بني إسرائيل الفوضوي لم يكن مهيّأً لتقبّل فكرة (الملكية) في بداية عهد (صموئيل)؛ إذ لم يكن يمارس النبي عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ سوىٰ دور الموجّه والقاضي في شؤون النزاع فقط، ولو قدّر أن بعث الله ملكـًا في ذلك الوقت، لقتله بنو إسرائيل من يومه، ولم يؤخروه إلىٰ الغد! خصوصـًا في ظل النزاع الكبير القائم بين الأسباط فيما بينهم.

وفي أواخر عهد النبي (صموئيل) عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لما توافر المناخ المناسب، واتسم المجتمع الإسرائيلي ببعض الميزات، استحقوا أن ينتقلوا لمرحلة (الملكية)، وكان أهمّ تلك الميزات:

١/ وجود المحفّز للقتال والجهاد في سبيل الله.

٢/ وجود جيل جديد يبحث عن التغيير، وإرادته قويّة.

٣/ وجود عناصر تحمل ذات الهدف، وتؤمن بنفس الفكرة.

هذه المميزات هي التي هيّأت لبروز قيادة جديدة متناسبة مع المرحلة، ألا وهي قيادة (طالوت).

ثانيًا: طالوت:

حينما رسم القرآن الشخصيّة القياديّة لطالوت أبرزها بثلاثة أبعاد:

أ/ البعد الجسمي: حيث تحددت فيه الملامح والصفات الخارجية الشخصيّة لطالوت، والتي فهمنا منها أنه قويّ الجسد، طويل، ضخم البُنية، وذو شخصيّة آسرة.

ب/ البعد النفسي: حيث اكتشفنا أن حالة طالوت الشخصيّة السيكولوجية في قمّة التوازن والتكامل، يغذيها سلاح العلم، التي أفرزت شخصيّة ملؤها التفاؤل، والصبر، والحِلم، والشجاعة.

ج/ البعد الاجتماعي: والذي وصل فيه طالوت ليكون رأس الهرم من حيث مكانته الاجتماعية، واستطاع أن ينمّي مهارات تواصله بالآخرين بفاعلية عبر هذا المنصب.

يقول **غوستاف لوبون**: «كان شاؤل وداود وسليمان نفسه، وجميع خلفائهم، يعيشون قريبين من الشعب بلا تكلف، ليّني الجانب تجاه الجميع»[١].

---

(١) لوبون، **الإعجاز القصصي في القرآن**، مرجع سابق، (ص٧٨).

ولقد كان طالوت مناسبًا لتلك المرحلة؛ فإن حال الحرب والسياسة يناسبها الدراية بفنون الحرب والعلم بقواعد التعامل مع الجيوش، إضافة إلىٰ القوّة الجسدية بكل ما تحويه من معان، والتي لها وقعها في نفوس جنده وتفرض عليهم الاحترام والسمع والطاعة، كما أن لها مهابتها في نفوس العدو، وتفتّ في عضدهم وتلقي الرعب في قلوبهم[(١)].

ولم يكن النبي (صموئيل) عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ليصلح لهذه المهمة بعد أن بلغ به العُمر مبلغه، يقول **ابن جماعة**: «لو كانت شروط الخلافة في جماعة صالحة لها، قدم أهل الحل والعقد أصلحهم للمسلمين، فإن عُقِدت للمفضول جاز عند أكثر العلماء، ولو كان أحدهم أعلم مثلاً والآخر أشجع مثلاً: فالأولىٰ أن يقدم منهما من يقتضيه حال الوقت؛ فإن كان عند ظهور العدو وخوفه وخلل الثغور، فالأشجع أولىٰ من الأعلم، وإن كان عند ظهور البدع وقلة العلم مع الأمن من العدو وظهوره، فالأعلم أولىٰ»[(٢)].

ولم تكن مهمة (طالوت) هي قيادة المعارك فقط، بل كان ملكًا يحكُم ويرجع الناس إليه في الملمات، ويضع القوانين المناسبة، ولذلك احتاج أن يكون له الكثير من الصفات التي أهّلته لهذا العمل الكبير، يقول **الماوردي**: «والإمارة علىٰ الجهاد مختصة بقتال المشركين، وهي علىٰ ضربين: أحدهما: أن تكون مقصورة علىٰ سياسة الجيش وتدبير الحرب؛ فيعتبر فيها شروط الإمارة لخاصة، والضّرب الثاني: أن يفوّض الأمير فيها

(١) الخنين، **الإعجاز القصصي في القرآن**، مرجع سابق، (ص٥٥٢).

(٢) ابن جماعة، **تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام**، مرجع سابق، (ص٥٦).

جميع أحكامها من قسم الغنائم وعقد الصلح فيعتبر فيها شروط الإمارة العامّة»[1].

ثالثًا: داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

شخصيّة داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ نشأت وترعرعت منذ الصغر لتكون في مستقبلها مضطلعة بمهمّة جسيمة، لا يطيقها إلا صاحب مواصفات كبرىٰ، قد بلغت الغاية في المنتهىٰ لتلك الصفات، وهي صفات لا تليق إلا بنبي اختاره الله ليكون حاكمًا وملكًا، ولو تأمّلنا في ملامح شخصيّة داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في القرآن والسنة، فإننا سنجد:

-أنه كان قوي الشخصيّة لا يتردّد في الأمر والحكم، كما آتاه الله الحكمة وتدبير الأمور: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾[ص:٢٠] .

- كان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قويًّا في دينه كثير العبادة، كثير الشكر: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[ص:١٧].

- علّمه الله الصناعة العسكرية، وصناعة الدروع، وألان له الحديد: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الأنبياء:٨٠]، وقال سبحانه: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ﴾[سبأ:١٠-١١].

لقد اقتضت الفترة التي كانت في أواخر عهد (طالوت) إلىٰ إيجاد ملك له مزايا خاصّة أكثر من تلك التي عند (طالوت)، وذلك أن (داود)

---

(١) الماوردي، **الأحكام السلطانية**، مرجع سابق، (ص٤٧).

عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أصلح للقيادة في فترة الاستقرار النسبي، وتكوين دولة حديثة تبحث عن النموّ والتقدّم من بين الحضارات المجاورة.

رابعـًا: جالوت:

بمقابل الشخصيات القياديّة للخير، رسم لنا القرآن شخصيّة قائد الشرّ والباطل، وأتىٰ باسمه صريحـًا أيضـًا كرمز للشر والقيادة الفاسدة القائمة علىٰ الاستبداد والطغيان، لا علىٰ الشورىٰ.

وإذا ما دقّقنا في الآيات، استطعنا أن نستنبط منها ملامح شخصيّة (جالوت) وشخصيّته التعسّفية في قيادة شعبه، وذلك بملاحظة الآتي:

أ/ جالوت برز بنفسه لقتال (داود)، ولم يفوّض أحداً للمبارزة، بينما (طالوت) قد فوّض (داود): وفي هذا يتّضح لنا عدم ثقة الطاغية (جالوت) بجنوده، وأن إدارته تعتمد علىٰ إنجاز كل شيء بنفسه، وبقيّة الأتباع همل وغوغاء.

ب/ ابتدأ الله بذكر (جالوت) قبل ذكر (جنوده) مرتين في القصّة: ﴿قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾[البقرة:٢٤٩]، ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٠]، مما يدل علىٰ أن حكمه كان حكم الفرد المطلق، وكان شخصيّة مرعبة تحكم بالتخويف، وما شعبه إلا أداة لنيل مآربه وتحقيق رغباته الشخصيّة فقط، وحرب بني إسرائيل لم تكن قضيّة شعبه وإنما كانت قضيّته، وإذا ما حقق الانتصار فالانتصار ينسب إليه لا إلىٰ المستعبدين من شعبه، ويدلّ ذلك أيضـًا علىٰ أن بني إسرائيل كانوا يخشون من شخص (جالوت) وجنوده.

جـ/ جاء الضمير في (جنود) جالوت منسوباً إليه في كلا المرتين ﴿جَالُوْتَ وَجُنُوْدِهِ﴾ [البقرة:٢٤٩]، بينما مع (طالوت) لم ينسبهم إلىٰ شخصه وقال: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ﴾ [البقرة:٢٤٩]: مما يدلّ علىٰ أن جنود طالوت حاربوا من أجل الله وفي سبيل الله؛ بينما جنود جالوت حاربوا من أجل شخصه فقط، فحقيقة المعركة كانت ضد (جالوت)، والأتباع مجرد غوغاء لا يقدّمون ولا يؤخّرون، وقد جعل منهم جالوت «جنداً طائعين له يسيرون مع رغبته في السلطان والقهر والغلب بالحق وبالباطل، وكذلك الشأن دائماً في أهل الباطل يجتمعون علىٰ رجل ويسيرون وراءه، فليست لهم إرادة غير إرادته، ولا روح جماعية تجعل لهم كياناً قائماً بذاته، مظهره قائدهم، بل يكون الطاغية هو المسلط عليهم، يملي إرادته علىٰ أحدهم، ولا إرادة لأحد وراء إرادته، فإذا قتل ذلك الطاغية، أو قُضي علىٰ سلطانه تفرّق الجمع، وذهبت الوحدة الرابطة»[١].

د/ مقتل (جالوت) كان سبباً مباشراً في الهزيمة، مما يدلّ علىٰ عدم وجود تراتبيّة مؤسسيّة، وأن الدولة التي كانت تقاتلهم لم تكن دولة حضاريّة تحمل قيم الدفاع عن أفكار وقيم أساسا، وإنما كانوا مجرّد جنود «جمعهم جالوت تحت إمرته، وفرض عليهم إرادته بحكم القهر، أو بالاستهواء، أو التبعية الشخصيّة...حتىٰ إذا قُتل تفرّق الجمع وولوا الأدبار، ولا يكون الأمر كذلك إذا كانت الجماعة تحسّ بالوحدة الجامعة التي تربط آحادها، وقائدها مظهر توحد الإرادة وجمع الكلمة، وليس

(١) أبو زهرة، **زهرة التفاسير**، مرجع سابق، (٢/ ٩٠٨).

موجد هذه الوحدة لتسخّر لإرادته؛ فإنه في هذه الحال إذا ذهب القائد، قام مقامه من يماثله أو علىٰ الأقل يقاربه، لأن الجماعة لها إرادة موحّدة، وليست خاضعة لإرادة مسلطة وهي الموجدة لقائدها، وليس قائدها هو الموجد لإرادته، والإرادة التي أقامته تقيم غيره مقامه إذا خلا مكانه»[١].

المطلب الثالث: انتقال السلطة من (طالوت) إلى (داود) عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

صوّر لنا (سفر صموئيل) صراعـًا مريراً دام بين القائد (طالوت) وبين خليفته (داود) عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وزعم يهود أنّ الغيرة دبّت في قلب طالوت، والحسد أكل فؤاده منذ قتل (دواد) لجالوت[٢].

ويمضي النصّ التوراتي المحرّف ليطيل الحديث حول تآمر (طالوت) علىٰ حياة داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، مما اضطر داود إلىٰ الفرار إلىٰ كهنة اليهود أوّلاً ثم إلىٰ أعدائهم ثانيـًا، والاختباء في الصحارىٰ والمغارات، وطالوت لا يكل ولا يملّ في مطاردته والبحث عنه، وحاول قتله أكثر من مرّة، ولكن الله حفظ (داود)، وداود مع كل ذلك ظل وفيـًا للملك طالوت، ولم يتعرض له بأذىٰ، وفي مقابل موقف (طالوت) يأتي ابنه (يوناثان) الذي كان يتسم بالحبّ العميق لدواد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وبالتضحيّة من أجله في أصعب المواقف، وكان يسرّ إلىٰ داود بنوايا أبيه[٣].

إلىٰ آخر ما هنالك من التشويه المتعمّد لسيرة الملك البطل

(١) أبو زهرة، **زهرة التفاسير**، مرجع سابق، (٢/ ٩٠٨).

(٢) انظر: **سفر صموئيل الأول**، إصحاح١٨، (مقطع ٦:١٦).

(٣) لمطالعة تلك الأحداث ينظر: المرجع السابق، إصحاح ١٨ (مقطع٣١).

(طالوت)، فيا ويح من كتب هذه السطور، وملأها بالاتهامات الباطلة، التي لا يخرج القارئ منها إلا بصورة مشوهة لقائد عظيم.

وإذا ما اتخذ المؤرخ أيّـًا كانت عقيدته، هذا السفر الفاسد للحكم علىٰ (طالوت) فإنه سيخرج بلا شك ببضاعة مزجاة؛ وهذا ما جعل كثيراً من المؤرخين يقعون في عرض (طالوت) بالسوء، ويتهمونه بكل نقيصة، حتىٰ قال (أبكاريوس) عن طالوت: «كان في أوّل أمره سالكـًا طريق الحكمة والاستقامة، ممتازاً بمكارم الأخلاق والتقوىٰ، لكنه أخيراً تجبّر وتكبّر، إذ اتخذ لنفسه وظيفة الكهنوت المحصورة في الكهنة فقط وعصىٰ الله»[1]، وهذا ما سيقوله كل من اعتمد علىٰ نصّ التوارة المحرّف.

ولكننا نستنكر من بعض المؤرخين المسلمين الذين وقعوا في (طالوت) بالذّم، وكتاب الله الكريم بين أيديهم، لم يلقوا له بالاً[2].

ولا بد من التنبيه إلىٰ أن تحريفات كثيرة حدثت للنصوص التي أرّخت لطالوت، وخاصة عندما تم تسليم الملك لداود عَلَيْهِ السَّلَامُ، حيث صوروا حالة من الصراع بين طالوت ودواد؛ سببه رفض طالوت تسليم الملك لداود.

وعلىٰ أسوأ الأحوال إن حدثَ ذلك الرفض من (طالوت)، فما هو إلا ذنب من الذنوب قد تاب منه، ومعصية من المعاصي قد ندم عليها،

(١) أبكاريوس، يوحنّا أفندي، **قطف الزهور في تاريخ الدهور**، ط٢، (بيروت، ١٨٨٥م)، (ص٤٠).

(٢) انظر مثلا: فوزي محمّد حميد، **حقائق وأباطيل في تاريخ بني إسرائيل**، مرجع سابق، (ص ٣٠-٣١).

وهو ما نبّه إليه بعض علماء الإسلام؛ حتىٰ لا تقع أفواهنا بالسوء لمن مدحه وأثنىٰ عليه رب العالمين، يقول **المباركفوري**: «كانت نية طالوت تغيرت لدواد، وهمّ بقتله، فلم يقدر عليه فتاب، وانخلع من الملْك، وخرج مجاهداً هو ومن معه من ولده حتىٰ ماتوا كلهم شهداء»[1].

وذكر نحواً من ذلك القاضي **أبو اليُمن**[2]، وأضاف **ابن حجر** مسألة الرؤيا في توبته حيث قال: «فرأىٰ يوشع أو شمويل في المنام فسأله عن توبته، فأمره أن ينخلع من الملك، ويقاتل في سبيل الله حتىٰ يُقتل، فنزل عن الملك لداود، وذهب بأولاده، وهم ثلاثة وعشرون رجلاً فقاتلوا في سبيل الله حتىٰ قُتلوا»[3].

والذي اختاره **الدِّينوري** أن طالوت تنازل عن الملك برضاه، ولم يقع منه حسد ولا شئ من ذلك، حيث قال بعد حديثه عن المعركة ضد جالوت: «فاجتمع بنو إسرائيل عند ذلك علىٰ تمليك داود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وخلْع طالوت برضا منه»[4].

وعلىٰ كل حال فالذي أجزم به أن (طالوت) مات بطلاً وعاش مؤمنًا، وأن (طالوت) نموذج قرآني للقائد الصالح، ويدعم قولي حُجج منها:

---

(١) المباركفوري، أبو العلا محمّد عبد الرحمن بن عبد الرحيم، **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، د.ط، (بيروت: دار الكتب العلمية)، (٥/ ١٨٤).

(٢) أبو اليُمن، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، مرجع سابق، (ص٩٥).

(٣) ابن حجر، **تحفة النبلاء**، مرجع سابق، (ص٣٩٠).

(٤) الدينوري، أبوحنيفة أحمد بن داود، **الأخبار الطوال**، تحقيق: فيلاديمير جرجاس، ط١، (هولندا، ليدن: مطبعة بريل، ١٨٨٨م)، (ص٢٠).

١/ أن الله اصطفاه واختاره؛ ومعنىٰ ذلك أنه كان أفضل بني إسرائيل في وقته بعد النبي صموئيل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

٢/ أنه كان من العلماء، وهو ما نصّ عليه القرآن، ومن المعلوم أن غاية العلم خشية الله وتقواه، وقد كان طالوت كذلك.

٣/ أن الله ذكره بالاسم في سياق (المدح)، وماكان الله ليذرنا نحبّ رجلاً خلّد الله اسمه في القرآن وخاتمته خاتمة سوء.

٤/ أن (طالوت) عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ جاء في القرآن بصورة رمزية للخير، مقابل الصورة الرمزية للشر (جالوت)، ولو كان طالوت طغىٰ، لكان في هذا من العبرة ما يمكن أن يذكره القرآن، كقصّة الذي انسلخ من آيات الله، وصار مثله كمثل الكلب.

٥/ «عدم انسجام التركيبة الإخبارية في النص التوراتي دائماً وأبداً في كل ما يسوقه وما يتحدث عنه، فمثلاً هنا وعلىٰ حدّ هذه الرواية؛ كيف يكون عبدان لله... أي أنهما الاثنان يلتقيان في الهدف والسلوك والاعتقاد عند الرب، ثم يكون في نفس الوقت كل منهما عدواً للآخر، يرضىٰ الرب علىٰ أحدهما ويغضب علىٰ الآخر»[(١)]، مع أن النصّ التوراتي ما زال يؤكد علىٰ أن (طالوت) هو مسيح الرب حتىٰ بعد وفاته!

ولما جاء قاتِل (طالوت) ليبشّر (داود) بقتله، (قال له داود: كيف لم تخف أن تمّد يدك لتهلك مسيح الرب، ثم دعا داود واحداً من الغلمان وقال: تقدّم أوقع به فضربه فمات، فقال له داود: دمك علىٰ رأسك لأن

(١) طعيمة، **التاريخ اليهودي العام**، مرجع سابق، (١/ ٢٠٤).

فمك شهد عليك قائلاً: أنا قتلتُ مسيح الرب)[1].

٦/ رثاء داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لطالوت، وهي مرثيّة تعدّ عند أهل الكتاب من أصحّ مزامير داود، بل من أشهرها، وهي ما تسمىٰ بـ(نشيد القوس)، وهو رثاء صادق من قلب النبي داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ للملك طالوت وابنه (يوناثان)، أمر (داود) بني إسرائيل أن يعلموها أجيالهم وأن يسجّلوها في التاريخ، وهذا نصّها: (وقال أن يتعلّم بنو يهوذا نشيد القوس، هوذا ذلك مكتوب في سفر ياشر: الظبي يا إسرائيل مقتول علىٰ شوامخك، كيف سقط الجبابرة، لا تخبروا في جت [هي المدينة التي منها جالوت] لا تبشّروا في أسواق أشقلون لئلا تفرح بنات الفلسطينيين، لئلا تشمت بنات الغُلف، يا جبال جلبوع لا يكن طلّ ولا مطر عليكنّ ولا حقول تقدمات، لأنه هناك طرح مجنّ الجبابرة، مجنّ شاؤل بلا مسح بالدهن، من دم القتلىٰ من شحم الجبابرة، لم ترجع قوس يوناثان إلىٰ الوراء وسيف شاؤل لم يرجع خائباً، شاؤل ويوناثان المحبوبان والحلوان في حياتهما، لم يفترقا في موتهما، أخفّ من النسور وأشد من الأسود، يا بنات إسرائيل ابكين شاؤل الذي ألبسكن قرمزاً بالتنعّم، وجعل حلي الذهب علىٰ ملابسكن، كيف سقط الجبابرة في وسط الحرب، يوناثان علىٰ شوامخك مقتول، قد تضايقت عليك يا أخي يوناثان، كنت حلواً لي جداً، محبّتك لي أعجب من محبة النساء، كيف سقط الجبابرة وبادت آلات الحرب؟)[2].

(١) **سفر صموئيل الثاني**، إصحاح١، (مقطع ١٤-١٦).

(٢) المرجع السابق، إصحاح١، (مقطع ١٨-٢٧)، مع ملاحظة أن هذه الترجمة العربية ركيكة جداً ولم تحُسن في عرض الصورة الأدبية الصحيحة للنص العبري.

ومع زعم أهل الكتاب أن رثاءه لطالوت كان من قبيل صفاء قلب داود ومسامحته له، إلا أن ذلك يُشكل عليه اتهام داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالكذب في مقالته ورثائه، فهل المسامحة تقتضي أن يكذب النبي داود في كلماته حين بيّن صدق جهاد طالوت وقوته وبأسه ضد أعداء الله، ومدىٰ تفانيه في خدمة شعبه؛ أم سيكذب داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في صدق حبّه.

لقد انتهت مرحلة طالوت حينما انتهت مهمّته، وحينما حقّق ما أراده الله منه في مرحلة احتاجت إلىٰ المهارة العسكرية أكثر من السياسية، وإلىٰ الدفاع والحماية أكثر من البناء والتعمير.

وأيـاً كانت تلك الظروف التي انسحب فيها طالوت من منصّة القيادة، فقد احتفظ له القرآن الكريم بصورة إيجابية مشرقة، وكان التغيير حتمـاً لازمـاً، وفق سنن الله في التغيير، وأن المرحلة الجديدة تتطلب صنّاعـاً مختصين لطبيعتها[1].

ومن خلال العرض القرآني، فقد جاء طالوت إلىٰ بني إسرائيل فجأة وغادرهم فجأة؛ وكأنه لم يأت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلا ليخوض بهم المعركة وينتصر بهم علىٰ أعدائهم، وينهي بذلك فترة هزائمهم، ويفتح لهم طريق النصر والتمكين والسلطان، فيكون أوّل من يسير فيه، وكأنّ حكم طالوت كان تمهيداً لحكم داود وسليمان عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ، ومقدمة للفترة الذهبيّة في تاريخ بني إسرائيل، التي تمثّل أعلىٰ قمة وصل إليها بنو إسرائيل[2].

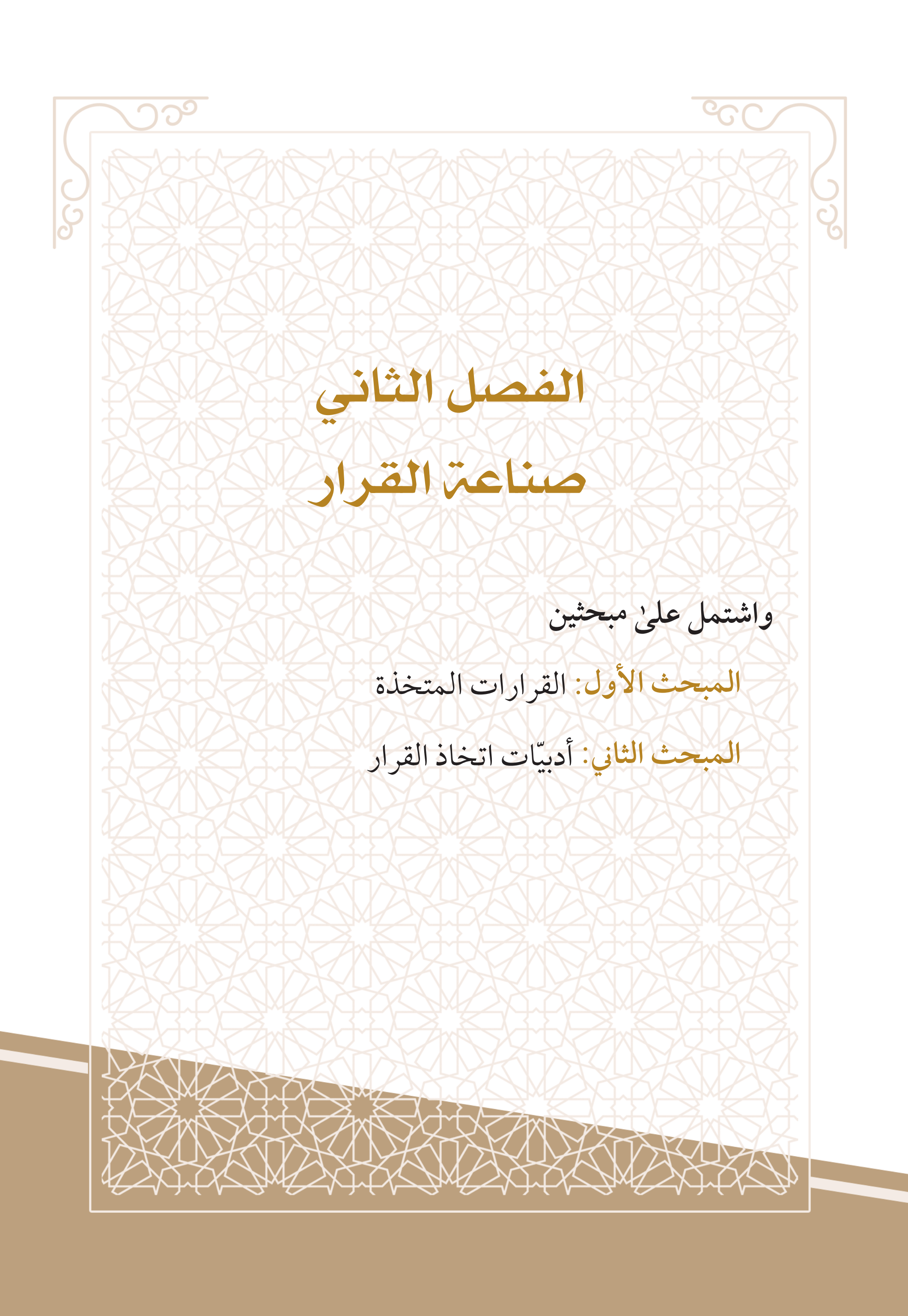
---

(١) مختار، محمّد، **طالوت بين الحق الإلهي والتجربة المرحلية**، مقال الكتروني في موقع: مشروع النهضة): www.4nahda.com

(٢) الخالدي، **الشخصية اليهودية**، مرجع سابق، (ص٩٨).

كما أن العرض القرآني يعلّمنا أن لا نتعلّق بالأشخاص، فجميع القادة الصلحاء رفعوا راية الإسلام، وكل يسلم راية القيادة لمن خلفه في هدوء، بدون صخب ولا ضجيج، وكل منهم يعلم أن لكل قائد زمنه، ولكل بارع تخصّصه، فمن (صموئيل) إلىٰ (طالوت) إلىٰ (داود)، كل في ركاب واحد... تختفي الشخوص من الحدث، وتبقىٰ الراية عزيزة مرفوعة.





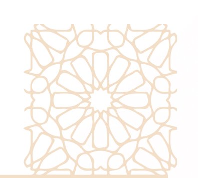
الفصل الثاني
صناعة القرار

واشتمل علىٰ مبحثين

المبحث الأول: القرارات المتخذة

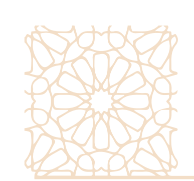
المبحث الثاني: أدبيّات اتخاذ القرار





المبحث الأوّل

القرارات المتخذة



المطلب الأوّل: أنواع القرارات المتّخذة:

إن اتخاذ القرارات هو العنصر الأساس في القيادة والإدارة، وهو جوهر عمل القادة في كل الميادين، فالقرار هو نقطة البداية والانطلاق لما يأتي بعده من أعمال وإجراءات وتصرفات تستهدف تحقيق النتائج المرجوّة.

وعملية اتخاذ القرارات ليست بالمهمة اليسيرة؛ لأنّها في حقيقتها عملية اختيار بين أفضل البدائل والسُبل لتحقيق الهدف، وهي في نفس الوقت اختبار لمدىٰ كفاية القادة وقدرتهم علىٰ تحمّل المسؤولية والبتّ في الأمور.

وتزيد أهمّية عميلية اتخاذ القرارت وتعظم آثارها تبعًا لجسامة المهام وحساسيتها وضخامة أهدافها[1]، ولأهمّية اتخاذ القرارات بالنسبة للقائد «فقد أكّد كثير من كتّاب الإدارة، أن الإدارة برمّتها ما هي إلا اتخاذ قرارات لدرجة أن كثيراً منهم عند تعريفهم للإدارة قالوا إن الإدارة هي اتخاذ القرارات، وأن التوفيق في اتخاذ القرارات هو نجاح الإدارة، وأن

---

(١) محفوظ، محمّد جمال الدين، **العسكرية في الإسلام**، د.ط، (القاهرة: دار المعارف، سلسلة إقرأ، برقم ٥٩٨)، (ص٦٢).

عدم التوفيق في اتخاذ القرارات هو فشلها»[١].

وتنقسم القرارات في القصّة بحسب طبيعتها إلىٰ قسمين:

أ/ قرارات استراتيجية:

وتعتمد علىٰ منهج التفكير المستقبلي للاختيار بين بدائل محتملة، لتحقيق أهداف رئيسة أو أهداف بعيدة المدىٰ، أو قرارات مصيريّة.

وهذا النوع من القرارات له أهمّية عظمىٰ، إلا أنه من أصعب القرارات نظراً لما يحيط به من حالات مبنيّة في أغلب الأحيان علىٰ الظن والتوقعات، فيدخل فيه عنصر المخاطرة إلىٰ حدّ كبير باعتباره يخصّ المستقبل، وهو بلا شك من الأمور الغيبية التي لا مجال للقطع والحسم بشأنها[٢].

ومن هذه القرارات الاستراتيجيّة:

١/ قرار تعيين الملك: وهو القرار الذي اتخذه النبي (صموئيل) عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فكان فيصلاً لبداية عهد جديد هو (عهد الملوك) في بني إسرائيل.

٢/ قرار بدء الجهاد والقتال في سبيل الله: وهو القرار الذي اتخذه طالوت بمشاركة ومشاورة النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكان مفتاحاً للنصر.

---

(١) أبو العينين، جميل جودت، **أصول الإدارة في القرآن والسنّة**، ط١، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ٢٠٠١م)، (ص٦٤).

(٢) بهجت، عبد الله محمّد؛ وكردي، إيمان عبد اللطيف، **القرار طريقك إلىٰ المثالية**، ط١، (المدينة المنورّة: مكتبة دار الزمان، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م)، (ص٢٣) بتصرف.

٣/ قرار نقل السلطة والملك إلىٰ داود.

٤/ قرار التخلّي عن السلطة: وهو القرار الذي اتخذه (طالوت) بمشاركة النبي ومشاورته أيضـًا.

ب/ قرارات تكتيكيّة:

وهي القرارت المتعلقة بالأمور الفوريّة والقريبة المدىٰ لحل مشكلة مؤقتة، أو حالة طارئة يغلب عليها طابع الإلحاح والعجلة، وتعتبر هذه القرارات أقلّ درجة من حيث الأهمّية، وهي كذلك أقلّ من حيث احتمالية الخطأ، لأنّها لا تتطلّب شدّة الفطنة والحدْس، كما في القرارات الاستراتيجية[١].

والقرارات التكتيكيّة كثيرة في القصّة منها:

١/ قرار النبي صموئيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الدخول في حوار ونقاش مع المعترضين علىٰ ملك طالوت.

٢/ قرار طالوت الاستمرار بالقليل الذين بقوا معه للذهاب إلىٰ المعركة.

٣/ قرار عدم تولي طالوت الرد علىٰ المخذّلين، والسماح للمؤمنين الصادقين للردّ عليهم.

٤/ قرار الإذن لداود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بمبارزة (جالوت).

٥/ قرار عدم السماح بالشرب من ماء النّهر: ويتبع هذا القرار حزمة

---

(١) بهجت وآخرون، **القرار طريقك إلىٰ المثالية**، مرجع سابق، (ص٢٤).

من القرارات المكمّلة، وهي:

- قرار السماح بغرفة واحدة.
- قرار مكافأة وتقريب من لم يشرب أو شرب غَرْفة واحدة،
- قرار معاقبة من شرب أكثر من غَرْفة واستبعادهم من المعركة.

المطلب الثاني: أنماط القيادة المؤثّرة في اتخاذ القرارات

هناك ثلاثة أنماط شائعة الاستعمال لدىٰ علماء الإدارة، وكل نمطٍ من هذه الأنماط له أسلوبه الخاص في صناعة القرار، هذه الأنماط هي كالآتي:

أ/ القيادة الاستبداديّة:

ويطلق عليها القيادة الأتوقراطية (Autocratie)، وهي قيادة تسلّطية، وتدور حول محور واحد وهو إخضاع كل الأمور لسلطة القائد، فيحتكر سلطة اتخاذ القرار ويحدّد المشكلات ويضع لها الحلول بمفرده، ويبلّغ المرؤوسين الأوامر وعليهم السمع والطاعة دون فرصة للمناقشة، ويستخدم أسلوب التخويف والتهديد؛ ومن ثَمَّ فإن المرؤوسين يعملون وينفذون خوفًا من الجزاء والعقاب، وليس حبًّا في العمل.

هذا الأسلوب يؤدي إلىٰ الإقلال من فرص التعاون بين القادة والمرؤوسين، ونتيجته النهائية هي الإحباط الذي يصيب الأفراد[1]، ويتسبّب أيضًا في فتح هوّة بين القائد ومرؤوسيه، لأنّها تولد سوء الفهم،

---

(١) النّمر وآخرون، **الإدارة العامة: الأسس والوظائف**، مرجع سابق، (ص ٣٠٠-٣٠٤).

مما يثير الخلاف والعداء أحياناً، صراحة أو ضمناً، كما أنه يقضي تماماً علىٰ الإبداع والابتكار وروح المبادرة لدىٰ الأفراد[1].

وجالوت في قصّتنا يمثّل نموذجاً صارخاً لهذا النمط القيادي الاستبدادي، الذي لا يبالي بالآخرين في اتخاذ القرارات.

ب/ القيادة الحرّة:

وهو نمط يقتضي عدم التدخّل (Laissez Faire) ويطلق عليها أيضاً القيادة المنطلقة، أو القيادة الفوضويّة، حيث تكون الجماعة متحررة من سلطة القائد.

وتقوم هذه القيادة علىٰ إعطاء الفرد كامل الحرية في أن يفعل ما شاء، وفيها يتنازل القائد لمرؤوسيه عن سلطة اتخاذ القرارات، ويصبح القائد في حكم المستشار، ويهتم بالتوجيه العام لمرؤوسيه من خلال تعليمات غير محددة وملاحظات عامّة؛ وبذلك تتجاهل الجماعة وجود القائد تماماً[2].

ولا شك أن هذا النمط له آثار سلبية كثيرة منها: تفكّك الجماعة، وفقدان التعاون، والافتقار إلىٰ الضبط، وزيادة الأنانيّة والروح الفرديّة[3].

(١) أبو الخير، **أصول الإدارة العلمية**، مرجع سابق، (ص ٣٦٧) بتصرف.

(٢) كنعان، **القيادة الإدارية**، مرجع سابق، (ص ٢٣٩) بتصرف.

(٣) المرجع السابق، (ص٢١٠) بتصرف.

جـ/ القيادة المشاركة:

وتسمىٰ أيضـًا القيادة الشورويّة، وهي تستند إلىٰ ركائز ثلاث هي: (العلاقات الإنسانية، والمشاركة، وتفويض السلطة)، فالقائد المشارك هو الذي يتفاعل مع أفراد الجماعة ويشركهم في اتخاذ القرارات وبعض المهام الإدارية، ويفوّض كثيراً من سلطاته إلىٰ مرؤوسيه، ويباشر مهام عمله من خلال الجماعة(١).

وهذه القيادة تقوم علىٰ الثقة في المرؤوسين، والاستفادة من آرائهم وأفكارهم، وإتاحة الفرصة لمبادراتهم، وتوفير جوّ من الانفتاح معهم، كما أنّها تؤدي إلىٰ رفع المعنويات، وتحقّق التآلف والاندماج بين الأفراد، ويتفهّم القائد مشاعر مرؤوسيه، ويتعرف مشكلاتهم(٢).

والقائد المشارك لا يتمسّك في الغالب بالسلطة، وإنما يتفاعل مع مرؤوسيه من خلال إجراء اللقاءات والحوارات والمناقشات، كما أن القائد المشارك يبتعد عن أسلوب العقاب إلا في أضيق الحدود، ويتيح الفرصة للمرؤوسين للتقدم إلىٰ مراكز أعلىٰ، عن طريق زرع الثقة في نفوسهم وأن بإمكانهم القيام بالأعمال الموكلة إليهم، وهذا سيؤدي بهم إلىٰ الاستغلال الأمثل لمواهبهم وقدراتهم.

كما أن هذا الأسلوب القيادي يزيد من شعور الانتماء لدىٰ الفرد، الذي يشعر باهتمام القيادة به وحرصها علىٰ تحقيق حاجاته الإنسانية(٣).

---

(١) النمر وآخرون، **الإدارة العامة: الأسس والوظائف**، مرجع سابق، (ص ٣٢٨) بتصرف.

(٢) كنعان، **القيادة الإدارية**، مرجع سابق، (ص١٧٧-١٩٩).

(٣) النمر وآخرون، **الإدارة العامة: الأسس والوظائف**، مرجع سابق، (ص٣٠٤)؛ أبو الخير، **أصول الإدارة العلمية**، مرجع سابق، (ص ٣٦٧)؛ مصطفىٰ والنابه، **الإدارة التربوية**، مرجع سابق، (ص٤٩).

ومن خلال هذا العرض للقيادة المشاركة يتضّح لنا جليّاً أن (طالوت) كان أسلوبه القيادي يجنح كثيراً إلىٰ هذا النّمط، فقد كان يمتلك قدرات إدارية رفيعة الطراز، تنمّ عن خبرة واسعة فيما يصلح للنّاس وما يحقّق الهدف، ونستطيع أن نلمح ذلك من خلال الآتي:

١/ مباشرة عمله في قيادة الجيش والخروج معهم.

٢/ إلزام نفسه بالقرار في المنع من الماء.

٣/ لم ينس طالوت حاجتهم الإنسانية إلىٰ الماء فسمح لهم بغَرفة ولم يمنعهم البتّة.

٤/ ابتعد طالوت عن أسلوب العقاب الرادع للمخذّلين والشاربين فوق غرفة، واكتفىٰ بعدم مشاركتهم.

٥/ أوجد جوّاً من الانفتاح، فقد اعترض المخذّلون علناً وبلا مواربة، وعبّروا عن عدم طاقتهم لقتال جيش جالوت.

٦/ تفويضه في الإجابة عن المخذّلين للذين يظنون أنهم ملاقو ربّهم.

٧/ ثقته في أنهم سيدافعون ويجيبون بالإجابة السديدة.

٨/ الاستفادة من رأي الصالحين وأخذ أفكارهم حول السنن التاريخية وأحوال الأمم السابقة ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٤٩].

٩/ الاستفادة من مواهبهم وخبراتهم بأصول الأدعية حال القتال ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا...﴾ [البقرة:٢٥٠].

١٠/ كان حريصاً علىٰ مصلحة الجماعة، ويتضح ذلك من دعائهم للجميع بالثبات والنصر، ولم يقولوا: انصر طالوت، وثبّت طالوت.

١١/ تفويضه داودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بالمبارزة لقائد جيش الكفر (جالوت)، وتشجيعه في مبادرته.

١٢/ ثقته في (داود) عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأنه علىٰ مستوىٰ المسؤولية.

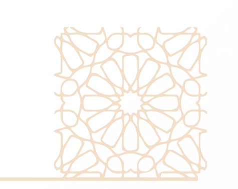
١٣/ الاستفادة من موهبة داود القتالية.

١٤/ تحرك جميع الأفراد للهدف، ولما انتصروا كان النصر لهم جميعاً لا لطالوت فقط ﴿فَهَزَمُوهُمْ﴾ [البقرة:٢٥١] ولم يقل: فهزمهم طالوت.

١٥/ لم يتمسّك طالوت بالسلطة بل لما حان وقت تركها تنازل عنها لداود عَلَيْهِ السَّلَامُ.

١٦/ أتاح الفرصة لداود عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يتقدم إلىٰ مراكز أعلىٰ حتىٰ وصل إلىٰ درجة الملك.

١٧/ النبي (صموئيل) عَلَيْهِ السَّلَامُ لما اتخذ قرار تعيين الملك ناقشهم وحاورهم ليقتنعوا بالقرار.

المبحث الثاني

أدبيّات اتخاذ القرار

اتخاذ القرار هو جوهر العملية القياديّة، وهو يمثل الحل الأمثل الذي يتم اختياره علىٰ أساس أنه أفضل الحلول من بين الحلول المطروحة لمشكلة ما[١].

ويمكن تعريفه بأنه: «اختيار بين أكثر من بديل للوصول لنتيجة معيّنة كما يجب أن يؤديه، وكما يجب أن لا يؤديه في موقف معيّن ووقت معيّن»[٢].

ولما لأهمّية اتخاذ القرار من دور كبير في القيادة، فإن بإمكاننا أن نستنبط من قرارات قصّة (طالوت) عدداً من الأدبيّات التي ينبغي لكل قائد مراعاتها حين اتخاذ أيّ قرار، ومن تلك الأدبيّات:

أوّلاً: وضوح الهدف:

ينطلق القائد في رسم أهدافه من العقلانية الشديدة في فهم واقعه، ويحسن تفسيره التفسير الصحيح، فالقائد يرىٰ الواقع كما هو، وليس كما يتمنّىٰ أن يراه حين يتخّذ القرار.

---

(١) قرموط، نايف شعبان عبد الله، **الإدارة في سورة يوسف** عَلَيْهِ السَّلَامُ، رسالة ماجستير (نسخة الكترونية)، (غزة: الجامعة الإسلامية، كلية أصول الدين، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م)، (ص١٥١) بتصرف.

(٢) أبو العينين، **أصول الإدارة في القرآن والسنة**، مرجع سابق، (ص٦٥) بتصرف.

وليس مقبولاً من القائد أن يشرد في الحلم الذي يتمناه، ويجنح بخياله إلىٰ عالم الأمنيات، ثم يتخذ القرار علىٰ هذا الأساس[1]، وهذا ما جعل نبي الله (صموئيل) عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يتردّد في قرار إيجاب القتال علىٰ مجتمع بني إسرائيل الواهن المثُقل بالأمراض ﴿هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْ﴾ [البقرة:٢٤٦].

فالقائد لا يرسم الهدف كما يهوىٰ ويحبّ، وإنما يرسم الأهداف بمشاركة الجماعة وفي مصلحتها، بعد دراسة كافية، ولذلك فكل قرار ينبغي أن يمرّ بالمراحل الآتية:

١/ تقييم الموقف أوّلاً بموضوعية وشجاعة.

٢/ ثم التشخيص السليم لمشاكله.

٣/ ثم معرفة العلاج المناسب .

٤/ ثم اتخاذ القرار الحاسم بعد إعداد إمكانيات تنفيذه قدر الاستطاعة.

وبرغم ما كان فيه بنو إسرائيل من ضعف وتشتت علىٰ كل المستويات، إلا أن القرار الذي اتخذه النبي كان سليما وبتوفيق من الله تعالىٰ له، ثم عن دراسة موضوعية حكيمة، كما أن جميع القرارات الأخرىٰ في القصّة كانت واضحة الهدف وملائمة للواقع آنذاك.

ومما يُنبّه له هنا أن اتخاذ القرارات الحاسمة ينبغي أن لا يكون له

---

(١) جاسم سلطان، **قواعد في الممارسة السياسية**، سلسلة أدوات القادة، كتاب الكتروني عبر موقع ويب: (مشروع النهضة)، (ص٧٩).

علاقة من قريب أو بعيد بالحالة الوضعية للإنسان من حيث استعداده النفسي لقبول هذا القرار، ولا يصحّ أن نربط بين القرار السليم والظروف النفسية والمادية لأصحاب القرار، ويترتّب علىٰ ذلك أن لا نقول: إن بني إسرائيل ضعفاء، فلا داعي للقتال في سبيل الله!

فيكون الواجب هو البحث في كيفيّة تنفيذه والإعداد له، لا أن نبحث عن بديل آخر له حسب أهوائنا، لنهرب من مواجهة واقع ضعفنا، والوهن الذي أصابنا[1].

ونلاحظ في القصّة أيضاً أن (النبي) لم يتشتت في الأهداف؛ بل حدّد أهدافه بدقّة، ولم تشغله المؤثرات الخارجية وصخب أصوات بني إسرائيل عن إبعاد بصره عن الهدف.

فالهدف الاستراتيجي لدىٰ النبي هو القتال في سبيل الله ضد أعداء الدين، واستنقاذ الديار والأبناء، فوضع عينه علىٰ النقطة المركزية في القرار الذي سيتّخذه، بينما كانت المشكلة الأولىٰ عند عامّة بني إسرائيل هي اختيار القائد الملك والاختلاف حول شخصه، أما موضوع القتال وحيثيات تنفيذه فلم ينل من الأهمّية مثلما نال أمر اختيار القائد.

والنبي عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ قد ناقش موضوع القتال أوّلاً، فقدّم بذلك أصل موضوع القرار علىٰ فروعه، إذ لاحظ بفراسته أن أكثرهم غير جاد، ويقودهم الحماس الكلامي الفارغ، فأحبّ أن يكتشف مدىٰ جدّيتهم،

(١) الحديدي، صالح، متىٰ نصر الله: **المؤامرة الكبرىٰ لتفتيت الدول الإسلامية وإقامة إسرائيل الكبرىٰ**، كتاب (المختار)، طبعة الكترونية، (ص١٠٠)، وكذلك (ص ١٤٤).

ووجود ثلّة ناصرة ولو قليلة، وحينما وجد هذه الفئة القليلة اتخذ القرار بتعيين الملك وبدء الجهاد في سبيل الله.

يقول **سون تزو**: «من يقصر نظره علىٰ ما هو واضح جلي ينتصر بصعوبة، ومن يتخطىٰ ببصره حدود المعتاد ينتصر بكل سهولة، ومن ثم تجلب انتصاراته له السمعة الطيبة نتيجة حكمته الواسعة»[(١)].

ومن المهم أيضـًا توضيح تلك الأهداف للجنود؛ لأن ذلك يسهم في بناء الشخصيّة القياديّة للجندي، ويعطيهم الثقة، والإقدام علىٰ القتال[(٢)].

ثانياً: مناقشة القرار واستماع الآراء:

ينبغي للقائد الحصيف عند اتخاذ القرار إذا رأىٰ من يخالفه في الرأي أن يلجأ إلىٰ الحوار والمناقشة، واستماع الآراء المعارضة، حتىٰ ولو كان هذا الرأي الجديد لا يغيّر النتيجة.

وهذا ما عمله النبي (صموئيل) عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، حينما اتخذ قرار تعيين الملك، ومع أن مناقشتهم لن تغيّر في النتيجة، لأن هذا التعيين إلهي، إلا أنه مع ذلك ناقشهم وحاورهم في القرار، وسمع رأيهم في أنه كيف يصبح ملكـًا علينا وهو لا يملك المال الكافي ولا الجاه العريض، وردّ عليهم بكل هدوء وثبات وعمق في الطرح، محاولاً إقناعهم بالملك الجديد

---

(١) سون تزو، **فن الحرب**، ترجمة: رؤوف شبابك، (طبعة الكترونية)، الفصل الرابع، الفقرة (١١-١٢).

(٢) النحّال، طاهر حمد محمّد، **القيادة والجندية في السنة النبوية**، رسالة ماجستير في الحديث وعلومه، (طبعة الكترونية)، غزة: الجامعة الإسلامية، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م، (ص ٥٠).

(طالوت)؛ لأن تجاهل مثل هؤلاء- خصوصاً الملأ- سوف يفصم عرىٰ الجماعة، مع أن أعظم مقاصد الملكيّة هو جمع كلمتهم ووحدة صفّهم.

ومناقشة القرار تربّي الأتباع أيضاً علىٰ المشاركة وتحمّل تبعة ومسؤولية القرار، فلا ينقلب القائد متسلطاً يقود مجموعة من التابعين بلا عقول.

ولولا أن الله اصطفىٰ (طالوت) وعيَّنه وأن أمّة بني إسرائيل فوّضت نبيها لاختيار الملك، وإلا لكان النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ استشارهم أيضاً في تعيينه قبل اتخاذ القرار.

وممّا ألمحت الآيات له، أن طالوت عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يتخذ قرار الاستمرار بالعدد القليل لمواجهة العدد الكبير من جيش جالوت إلا بعد أن استشار أهل العلم والإيمان، وهذا يُفهم حينما قال المخذّلون: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ [البقرة:٢٤٩]، فكأنَّ طالوت صمت ولم يُجِب، وكان ينتظر رأي القلة المؤمنة الصابرة الذين رأوا الاستمرار في الجهاد بقولهم: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٤٩]، وحينما سمع طالوت رأيهم حسم قراره بمواصلة المسير.

قال **ابن جماعة** عن القائد: «يستحبّ أن يشاور أهل التجارب والرأي فيما أعضل، ويرجع إلىٰ ذوي الحزم والعلم فيما أشكل، ويأخذ ما عندهم، فإن ذلك أقرب إلىٰ الحزم والظفر، وأبعد عن الخطأ والخطر، قال الله لنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران:١٥٩]...

وقيل: من كثرت مشاورته، حُمِدت إمارته، ولأن في المشورة تطييباً للقلوب، واجتماع الكلمة، وظهور الحُكم، وربّ رأي صحيح لا يبديه صاحبه قبل أن يُسأل عنه، ولا سيما مع الملوك والعظماء، لما في النفوس من مهابتهم وتعظيمهم، ولأن الأدب معهم يقتضي ذلك، فإذا بسطوا بساط المشاورة انشرح الصدر لإظهار الرأي، والحكماء يعدّون المشورة من أساس المملكة وقواعد السلطنة »[١].

وإن من أخطر الأمور علىٰ الأتباع أن يعتقدوا أن القيادة تعرف كل شيء، وما علىٰ الأفراد سوىٰ الانصياع؛ ولا شكّ أن هذا يضيّع العقول ويعطّل القدرات ويجفّف منابع التفكير لدىٰ شرائح كبيرة، لو أعملت عقولها لربما أنتجت خيراً، والقيادات مهما بلغت هي بحاجة آراء وأفكار الأتباع للخروج بقرار رشيد[٢].

ثالثاً: بيان سبب القرار وملابساته، واستخدام الإقناع بالبراهين:

بعض القرارات التي قد تشكل علىٰ عامّة الأفراد تحتاج إلىٰ مزيد بيان بذكر أسباب القرار وتوضيح ملابساته، وكما نلاحظ فالنبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما أشكل علىٰ بني إسرائيل اختيار (طالوت)، جاء التفصيل سابغاً من النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بذكر أسباب اختياره واصطفائه بما لا مزيد لسائل بطرح الاستفهام بـ (لماذا؟) مرة أخرىٰ.

---

(١) ابن جماعة، **تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام**، مرجع سابق، (ص١٦٨- ١٦٩).

(٢) جاسم سلطان، **النهضة من الصحوة إلىٰ اليقظة**، سلسلة أدوات القادة، كتاب الكتروني: موقع مشروع النهضة (www.4nahda.com)، (ص١٣٩).

وجاء بالأسباب مرتّبة ترتيباً منطقياً «بادئاً بذكر الأهمّ فالمهمّ؛ لقول نبيهم في جوابه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ ...﴾ [البقرة:٢٤٧]، فبدأ بذكر ما لا جدال فيه- وهو أن الله اصطفاه عليهم-؛ ثم ذكر بقيّة المؤهلات: وهي أن الله زاده بسطة في العلم، وتدبير الأمّة والحروب وغير ذلك، وأن الله زاده بسطة في الجسم... وأن الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي يؤتي ملكه من يشاء، وفعله هذا لا بدّ وأن يكون مقروناً بالحكمة: فلولا أن الحكمة تقتضي أن يكون طالوت هو الملك ما أعطاه الله عَزَّوَجَلَّ الملك، ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾، فهو ذو الفضل الذي يمدّه إلىٰ من يشاء من عباده، فله أن يتفضّل علىٰ من يشاء، الله أعلم حيث يجعل رسالته، والله أعلم حيث يجعل ولايته»[١] .

ومن أجل الوصول إلىٰ الإقناع الفكري السليم بالقرار، وحتىٰ يكون لدىٰ الفرد قناعة حقيقية من داخل نفسه، فإنه ينبغي أن نسلك مسلك النبي عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ الذي ناقش وأقنع بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن[٢].

رابعاً: المبادرة في اتخاذ القرار:

المبادرة صفة قيادية تجعل من المبادر شخصاً قادراً علىٰ اتخاذ القرارات المناسبة إزاء أي صعوبة تعترضه دون انتظار أحد يقوده،

(١) ابن عثيمين، محمّد بن صالح، **تفسير العلامة محمّد العثيمين**، كتاب الكتروني، موسوعة المكتبة الشاملة، الإصدار (٣,٤٨)، (٥/ ١٦٨).

(٢) حبنكة، **الأخلاق الإسلامية**، مرجع سابق، (١/ ٢٠٥).

والقائد الذي يملك زمام المبادرة في قراره يصبح شخصاً مسؤولاً عن صنع الأحداث في الحياة، وهو في الحقيقة يملك أعظم أداة تغيير في العالم، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ما خلقنا إلا لنكون فاعلين، لا أن نكون عرضة لأفعال الآخرين.

وهذا ما ظهر في واقع (طالوت)، في أكثر من قرار، حيث بادر إلىٰ اتخاذ القرار بدون الرجوع إلىٰ النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في قرار (منع الشرب من ماء النهر إلا غرفة) وفي قرار (الاستمرار بالجيش القليل)، وغيرها من القرارات التي تنمّ عن قوّة شخصيّته القياديّة.

ويقارن **سون تزو** بين قوّة الشخصيّة واتخاذ القرار فيقول: « يمكن تشبيه القوّة بشدّ القوس من أجل إطلاق السهم، وتشبيه القرار بلحظة ترك القوس لينطلق في اتجاهه الذي حددته له»[(١)].

خامساً: تكليف الأفراد بما يُستطاع:

ينبغي للقائد أن يراعي أفراده حين اتخاذ القرار، فلا يبالغ بذكر قرارات تعجز النفس البشريّة عن إطاقتها، وقد قيل: إذا أردت أن تُطاع فَأْمر بما يُستطاع.

وطالوت هنا لما نهىٰ عن شرب ماء النّهر، وضع في نفس القرار السماح بغرفة واحدة فقط، و«الغَرفة بالفتح الفعل، وهو الاغتراف مرة واحدة»[(٢)].

---

(١) سون تزو، **فن الحرب**، مرجع سابق، الفصل ٥، (فقرة ١٥).

(٢) الرازي، **مفاتيح الغيب**، مرجع سابق، (٦/ ١٩٦).

وليس من الحكمة أن يمنعهم نهائيًا من هذه الغَرْفة الواحدة، وهم في أبلغ العطش وأقساه، كما أنهم في الطريق إلىٰ معركة شديدة، ولذلك «رخّص لهم في الغرفة؛ ليرتفع عنهم أذىٰ العطش بعض الارتفاع، وليكسروا نزاع النفس في هذه الحال، وفيه أن الغَرْفة تكفّ سَوْرة العطش عند الصابرين علىٰ شظف العيش، الدافعين أنفسهم عن الرفاهية»[1].

يقول **العزّ بن عبد السلام**: «علىٰ من تولىٰ أمر المسلمين في جهاد أو غيره ألا يكلفهم ما لا يطيقون، ولا ما تشتد مشقّته عليهم»[2].

سادساً: القرار بين الأمر والتنفيذ:

تُحسب كلمات القائد في نظر متبوعيه بميزان عظيم، ووقعها علىٰ سمع الأفراد يحظىٰ باهتمام بالغ، خصوصًا إذا كان في مرتبة رفيعة في القيادة، مثل الملك (طالوت)، فعليه أن يحافظ بقدر الإمكان علىٰ كلامه الذي يتحوّل إلىٰ قرارات ربّما تسعد أو تشقىٰ بها الأمّة، وعليه أن يترك الثرثرة الزائدة «ليسلم من هذر الاسترسال، ويأمن من معرّة الطيش؛ فإن الملك مرموق بالألحاظ، محفوظ الألفاظ، تشيع زلاته، وتنشر هفواته، وبحسب ذلك تكون محاسنه أنشر، وفضائله أشهر»[3].

وإذا ما نطق القائد بقرار؛ فعليه أن يحسن استخدام ألفاظه، ثم هو

(١) الشوكاني، **فتح القدير**، مرجع سابق، (١/ ٢٩٢)؛ وكذلك: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، مرجع سابق، (٣/ ٢٥١).

(٢) العز بن عبد السلام، **أحكام الجهاد وفضائله**، تحقيق: نزيه حمّاد، ط١، (جدّة: دار الوفاء، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م)، (ص٨٥).

(٣) الماوردي، **تسهيل النظر**، مرجع سابق، (ص٥٨).

بعد ذلك يحزم في القرار ويتابع في التنفيذ متوكلاً علىٰ الله، ومعتمداً علىٰ تسديد الله وتوفيقه ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فيبُتّ في القرار بحزم من غير تردد ولا تحيّر ولا تراجع، ما دام أنه اتخذ القرار بعد دراسته، وظنه الغالب أنه هو الأصلح.

وأخطر الأمور علىٰ القائد التردّد بعد اتخاذ القرار، لأن التذبذب يولد الإثارة والانزعاج لدىٰ التابعين والمنفّذين، كما يزيد من خسارة المادة والزمن، ويخلّف مضاعفات جديدة[١].

ومع أن بني إسرائيل قد تخاذل أغلبهم ولم ينفّذوا قرار الذهاب للقتال في سبيل: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:٢٤٦] إلا أن ذلك لا يعني فساد القرار، وهناك فرق بين اتخاذ القرار السليم، وموقف الأتباع من تنفيذه، فبنو إسرائيل لم ينفّذ أغلبهم القرار لفساد أشخاصهم؛ ولذلك وصفهم الله في الآية ﴿بِالظَّالِمِينَ﴾، فقد ظلموا أنفسهم بعدم تنفيذهم للقرار الذي كان لهم فيه خير وعزّة.

كما أن أغلبهم أيضـًا رفض قرار منع الشرب من ماء النهر، وولغوا فيه إلىٰ أن انتفخت بطونهم، ولا يعني ذلك أيضـًا فساد هذا القرار، فإحجام غالبية بني إسرائيل في تنفيذ القرار لم يصرف طالوت عن الاستمرار في القرار، وبالجانب المقابل لم يتوقف المطيعون عن تنفيذه لمجرد أنّ الغالبية نكصت.

(١) كورتوا، **الطريق إلىٰ القيادة وتنمية الشخصية**، مرجع سابق، (ص٢٦).

قال **ابن الأزرق**: «يجب علىٰ الحازم استفراغ الوسع، وإعمال الاجتهاد في أسباب الفائدة والخلاص، فإن غلبت الأقدار كان بذلك معذوراً، وكان قلبه مستريحاً، وغير عجيب أن يغلب الله سبحانه مخلوقاته، وأن يتصرّف كما يجب في مصنوعاته، وليس نفوذ الأقدار مما يقود العاقل إلىٰ تضييع الحزم، وذلك من خلائق الجهّال»(١).

سابعاً: القدوة والمشاركة في تنفيذ القرار:

عندما يجد المنفذون قائدهم بينهم، يشاركهم في مهامهم، ويقف معهم إن اقتضىٰ الأمر في مقدّمة الصفوف؛ فلا شك أن ذلك مما يجعل هؤلاء الأفراد مندفعين لأداء وتنفيذ القرار بحماس وفعالية، وبروح معنوية عالية.

قال **الماوردي**: «لا يحسن بالملك أن يأمر بالمعروف إلا بدأ بفعله، ولا ينهىٰ عن منكر إلا بدأ بتركه، ولا يلُم أحد فيما لا يلوم عليه نفسه، ولا يستقبح منه ما لا يستقبحه من نفسه، ولا يأمرهم بالبّر بما لا يأمر به نفسه؛ فإن الناس علىٰ شاكلة ملوكهم يجرون، وبأخلاقهم يستنّون، لأنهم أعلام متبوعة، ومناهج مشروعة»(٢).

فالقدوة الحسنة إذاً هي المثال الواقعي لإمكانية تنفيذ القرار، فإذا كان البعض يظنون أن التنفيذ صعب أو مستحيل، فأعظم ردّ عليهم تنفيذ قائدهم أمام أبصارهم، دافعاً كل شبهة من هذا القبيل، وسيظلّ تاثير هذه

---

(١) ابن الأزرق، **بدائع السلك في طبائع الملك**، مرجع سابق، (١/ ٤٩٨).

(٢) الماوردي، **تسهيل النظر**، مرجع سابق، (ص١٣٥).

القدوة مؤثراً في قلوب ونفوس الأتباع، إلىٰ أن يترسّخ في نفوسهم أن ذلك عادة ممكنة، والقدرة علىٰ تنفيذه أسهل مما يتصوّر المهوّلون.

ونجد (طالوت) ههنا كان أوّل الممتنعين من الشرب من ماء النهر، كما أنه لما قرّر الاستمرار بالذهاب إلىٰ المواجهة، كان في مقدّمة الصفوف، وهو ما جاء به التعبير القرآني: ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ﴾ [البقرة:٢٤٩]، وانظر اللفظ ﴿ جَاوَزَهُۥ هُوَ ﴾ فبدأ به قبل جيشه لأنه هو المبتدئ بالمجاوزة، ولم يقل: فلما جاوزوه.



الفصل الثالث

قواعد تربويّة في التعامل مع الأفراد

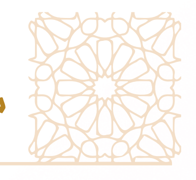
واشتمل على مبحثين

المبحث الأول: مرتكزات في علاقة القائد بالأفراد

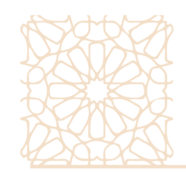
المبحث الثاني: مهارات في تنمية الموارد البشريّة



المبحث الأوّل



مرتكزات في علاقة القائد بالأفراد



عظمة القيادة لدىٰ (طالوت) ليست ناشئة من تحقيقه النصر في معركته ضد (جالوت) ولا غيرها من المعارك، وإنما العظمة ظهرت في سرّ قيادته أتباعه من بني إسرائيل، وكيف استطاع أن يرفع أمّة قد نخر فيها الفساد والوَهَن.

ومن خلال الآيات نستطيع أن نستلهم بعض هذه الركائز التي تعامل بها طالوت مع أتباعه، وكان بذلك ممتلكًا زمام الملك والقيادة، ومن أهمّ تلك المرتكزات:

أوّلاً: روح الفريق والجماعة:

جلائل الأعمال الكبرىٰ لا تتحقّق إلا عن طريق العمل الجماعي المنظّم المتعاون، بخلاف العمل الفردي، فإنه لا يثمر في الغالب إلا أعمالاً تتناسب مع مستوىٰ طاقات الأفراد شدة وضعفًا، والنزعة الانفرادية تنمو معها الرغبة القبيحة بتهديم أعمال الآخرين، حرصًا علىٰ الانفراد بمجد التقدير بين الناس، فتتبدّد الأعمال، وتضيع الثمرات، أما حينما تحل روح الجماعة والفريق الواحد فإن ذلك يضاعف مقادير القوّة، بخلاف القوىٰ الانفرادية المتناثرة، التي يصيبها عادة الوهن والتخاذل[1].

---

(١) حبنكة، **الأخلاق الإسلامية وأسسها**، مرجع سابق، (٢/ ١٧٢).

والقيادة بالنسبة للجماعة كالرأس للجسد، وبها يرتبط نجاح العمل وفشله، وفي طريقة تعاملها وإدارتها يتوقف الجزء الأكبر من تحقيق الفوز.

وإذا كان هذا التلاحم بين القيادة والأفراد مطلوب علىٰ العموم، فإنه في زمن المعارك والحروب يصبح من الأهمّية بمكان، وهي أوجب عندما تصاب أمّة كأمّة بني إسرائيل بالشّلل الذي يفقدها القدرة علىٰ مواجهة الشعوب الأخرىٰ التي تستغل عامل الانفرادية والضعف للإجهاز عليها.

يقول (الطبري) في تفسير قول الله سبحانه: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة:٣٦]: «يقول جلّ ثناؤه: وقاتلوا المشركين بالله أيها المؤمنون جميعًا، غير مختلفين، مؤتلفين غير متفرّقين، كما يقاتلكم المشركون جميعًا، مجتمعين غير متفرقين»[١].

وهذا الاتّحاد والعمل بروح الجماعة قد نبّه الله إلىٰ أهمّيته أيضًا في قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال:٤٥-٤٦]، وفي هذا تحذير من التنازع المؤدي إلىٰ:

١/ الفشل: وهو الجبن في الحرب[٢]، وتخلّصَ بنو إسرائيل بصعوبة من هذه الخصلة الذميمة بعد اتحادهم وعملهم بروح الفريق الواحد.

(١) الطبري، **جامع البيان**، مرجع سابق، (٦/ ١٢٨).

(٢) الشوكاني، **فتح القدير**، مرجع سابق، (٢/ ٣١٥).

٢/ ذهاب الريح: والريح هو القوّة والنصر، وقيل الريح بمعنىٰ (الدولة)، شبهّت في نفوذ أمرها بالريح في هبوبها[١]، ولولا أن (طالوت) أقام دولته علىٰ الروح الجماعيّة لزالت دولته.

ومن خلال الآيات نستنبط ما يدل علىٰ ذلك:

أ/ في قوله سبحانه ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:٢٥١]: نجد الآية نسبت الأمر للجميع، فهم بجماعتهم هزموهم، ولم تنسبه إلىٰ (طالوت) فقط، ولا إلىٰ (داود) عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع أنّه هو قاتل (جالوت)، مع أن قتله قد يكون أحد أهمّ أسباب هزيمة جيش جالوت، لكن «لا دلالة في الظاهر علىٰ أن انهزام العسكر كان قبل قتل جالوت أو بعده، لأن الواو لا تفيد الترتيب»[٢].

ب/ في قوله سبحانه علىٰ لسان طالوت: ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [البقرة:٢٤٩]، ﴿فَلَيْسَ مِنِّي﴾[البقرة:٢٤٩]: فجعل أكبر مكافأة للطائعين أنّه معهم، وهم جزء منه ومن عمله، وكلهم في فريق واحد، وبالمقابل فإن الجنود المتمرّدين علىٰ أوامر القيادة لا مكان لهم بين صفوف الجماعة، قال (أبو السعود) في تفسيرها: « ليس بمتّصل بي ومتّحد معي، من قولهم: فلان منّي، كأنه بعضه لكمال اختلاطهما »[٣].

جـ/ في قوله سبحانه: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ...﴾[البقرة:٢٥٠]: نجد

(١) الشوكاني، **فتح القدير**، مرجع سابق، (٢/ ٣١٥).

(٢) الرازي، **مفاتيح الغيب**، مرجع سابق، (٦/ ٢٠٤).

(٣) أبو السعود، محمّد بن مصطفىٰ العمادي، **إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم**، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، د.ط، (الرياض: مكتبة الرياض الحديثة)، (١/ ٣٧٥).

أن الجميع شارك في الدعاء ولم يكن الدّاعي طالوت فقط، بل كان ضمن مجموعهم، وكلهم رفعوا أكفّهم وسأهمّوا في الدعاء.

د/ وفي آخر القصّة نجد لفتة قرآنية لمحمّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [البقرة:٢٥٢]: وفي ذلك إشارة إلىٰ عدم تفرّد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمعرفة والدعوة، وإنما هو يسير في ركب جماعة الأنبياء وفريق المرسلين، وكلهم يحمل نفس الهم، ومتوجّه لذات الهدف.

ثانياً: الاصطفاء والانتقاء:

تحتاج كل حركة تغييرية إلىٰ ثلاث شرائح مختلفة، حيث تعبّر كل شريحة عن طبيعة المرحلة التي تمرّ بها الأمّة، وهذه الشرائح الثلاث هي: (شريحة البدء وشريحة التغيير وشريحة البناء)[1].

وقد كان دور طالوت القائد وهو من (مرحلة البدء) البحث الدؤوب عن الشريحة القادرة علىٰ إحداث (التغيير)، وهو ما وجده في (داود) وفي القلّة المؤمنة الثابتة المؤمنة بالهدف والفكرة، وهي التي تعطي قوّة وتمكيناً للدولة، ثم يأتي بعد ذلك دور شريحة (البناء)، وهي تضمّ كل الطاقات في المجتمع، وتمارس دورها في ظلّ دولة ممكّنة ومستقرّة.

ولذلك فقد كان المطلوب من القائد طالوت أن يختار ذوي المواهب العالية، ومن كان فيه قدرات ومميزات القيادة، وهذا ما فعله فأولاهم من العناية ما يأخذ بأيديهم إلىٰ المستوىٰ اللائق بهم، ودرّبهم

---

(١) جاسم سلطان، **قوانين النهضة**، مرجع سابق، (ص٦٥-٧١) (بتصرّف).

علىٰ تحمّل مسؤولياتهم؛ لأن القائد الواحد يربّي قادة، والصف يربي صفوفًا، كلما ذهب قائد حلّ قائد آخر محلّه، وكلما ذهب صفّ تقدم إلىٰ مكانه الصف الذي يليه.

وليس كل الناس مهيئين للاصطفاء والاختيار، بل هم كما قال صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إنما الناس كالإبل المائة، لا تكاد تجد فيها راحلة)[1].

فطبائع الناس تختلف في استعدادها النفسي والفطري للقيادة، وهم في ذلك علىٰ ثلاثة أقسام:

١/ قسم يقود ولا يُقاد، ٢/ قسم يُقاد ولا يقود، ٣/ قسم يُقاد ممّن فوقه، وهو يقود من دونه[2].

والقائد البارع هو الذي يحسن اختيار الرجال، ويحسن الاستفادة من مواهبهم[3].

ومن خلال الآيات نستطيع أن نميّز ثلاث طرائق في الاصطفاء، وهي كالآتي:

---

(١) رواه البخاري في **صحيحه**، كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة، برقم (٦٤٩٨) (٨/ ١٠٤)؛ ورواه مسلم في **صحيحه**، كتاب فضائل الصحابة، باب قوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة، برقم (٢٥٤٧)، (٤/ ١٩٧٣)، كلاهما من حديث عبدالله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) الراغب الأصفهاني، **الذريعة**، مرجع سابق، (ص١٢٨) بتصرف.

(٣) سون تزو، **فن الحرب**، مرجع سابق، الفصل ٥، الفقرة (٢١) بتصرف.

أ/ الاصطفاء من قبل الله بدون تدخل بشري:

وهذا مثل اصطفاء الله طالوت، وهو ما نصّ الله عليه بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة:٢٤٧].

ب/ الاصطفاء بالفراسة:

وهو مثل اصطفاء طالوت بفراسته داودَ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

جـ/ الاصطفاء بعد إجراء الاختبارات:

وهو كاصطفاء طالوت للثلة المؤمنة بعد اختبارات المعركة، وهم الذين مرّوا أوّلاً باختبار الخروج للجهاد ثم اختبار النهر ثم اختبار لقاء العدو ومواجهته، وهم في كل ذلك ثابتون بعد أن تساقط المتساقطون، فكانوا: صَفْوةُ صفوةِ الصَفْوة، حتىٰ غدا عددهم ثلاثمائة وبضعة عشر من بين عشرات الألوف من الغثاء، ولكن ميّزهم عن هذا الكم صفة قوّة العقيدة والإيمان، وهو مصداق قول الله في: ﴿يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٤٩]، فقد بلغوا الغاية في قوّة اعتقادهم ويقينهم بلقاء الله، كما أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وصف كل واحد منهم بأنه (مؤمن)، فقد جاء في الصحيح من حديث البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: (كنّا نتحدّث أن أصحاب محمّد الذين كانوا يوم بدر ثلاثمائة وبضعة عشر علىٰ عدّة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر، وما جازه إلا مؤمن)[1]، فهؤلاء تجاوزا الاختبارات بكفاءة عالية.

---

(١) سبق تخريجه (ص ٢٣).

وقد أشار (سفر صموئيل الأوّل) أيضاً إلىٰ هذا الاصطفاء حيث جاء فيه: (وإذا رأىٰ شاؤل رجلاً جبّاراً أو ذا بأس ضمّه إلىٰ نفسه)[1].

وسنّة الله في هذه الفئة أن تكون قلّة: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة:٢٤٦]، فلما أراد الله إحياء هذه الأمّة بعد موتها نفخ روح الشجاعة والإيمان في خيارها وهم الأقلّون[2].

ثالثاً: تقريب العلماء:

لم يكن القائد (طالوت) وهو من أهل العلم يجهل أهمّية تقريب العلماء، فالعلم رحم بين أهله، ولذلك كان أهل العلم هم الصفوة الذين ثبتوا لما وقر في قلوبهم من معرفة الله والعلم به والعلم بجزاء الله في اليوم الآخر: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٤٩].

فكان حريّاً بطالوت أن يقربهم إليه، ويسمع مشورتهم إذا ما أشاروا عليه، فواجب علىٰ القائد أن لا يقطع أمراً دونهم، ولا يفصل حكماً إلا بمشاورتهم، فهذه طريقة إقامة العدل والسياسة الإسلامية الجامعة لوجوه المصلحة[3].

كما أن القائد حين يماشي العلماء أمام أفراده، فإنما هو في الحقيقة يدعو أفراده إلىٰ العلم والانتساب إليه، حتىٰ يصلوا إلىٰ حظوتهم، وهو

---

(١) **سفر صموئيل الأول**، إصحاح ١٤، (مقطع ٥٢).

(٢) رشيد رضا، **تفسير المنار**، مرجع سابق، (٢/ ٤٧٥) بتصرف.

(٣) الطرطوشي، **سراج الملوك**، مرجع سابق، (ص٢١٦-٢١٧)؛ ابن الموصلي، **حسن السلوك الحافظ دولة الملوك**، مرجع سابق، ، (ص٧١-٧٢) (بتصرّف).

أيضـًا يفخر بقرنائه من أهل العلم ويُنسب إليهم[1].

فالعلماء لهم دور كبير يحملون أمانته تجاه قادتهم، من أداء واجب النصيحة، والاحتساب[2]، ولم يكن (طالوت) بدْعـًا من طريق العلماء، بل كان الفيصل في اختياره وتفضيله علىٰ بني إسرائيل بسبب بسطة العلم في صدره؛ ولذلك عرف قيمة العلماء ودورهم في صناعة الأمم، فقرّبهم ورفع مكانتهم.

رابعاً: إبعاد المخذّلين والمرجفين:

في الامتحان الأخير لبني إسرائيل قبل الدخول في المعركة، وهو امتحان (المواجهة)، تخاذلت فئة كبيرة منهم في ذلك الامتحان وسقطت، بل وزادت علىٰ ذلك أن خذّلت، حتىٰ قالوا: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ [البقرة:٢٤٩]، فاستبعدهم طالوت كما استبعد من قبلهم الساقطين في اختبار (النهر)، وقد جاء في رواية (السدّي) أن سبب شربهم من النهر إنما كان هَيْبَة من جالوت[3]، وإنما أرادوا بذلك أن يوجدوا لهم المبرّر للرجوع وترك القتال، ومثل هؤلاء لا يصلحون للدخول في الميدان، فكان استبعاد طالوت لهم هو عين الحكمة، وقد قال الله في مثل هؤلاء: ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ

---

(١) الماوردي، **درر السلوك**، مرجع سابق، (ص ١٢٠)؛ الماوردي، **تسهيل النظر**، مرجع سابق، (ص٢٧٤) بتصرف.

(٢) من الكتب التي تحدثت عن أهمية دور العلماء مع الملوك: ابن الأزرق، **بدائع السلك في طبائع الملك**، مرجع سابق، (١/ ٣٨٩ - ٣٩٠).

(٣) الطبري، **جامع البيان**، مرجع سابق، (٥/ ٣٤٤) (بتصرّف).

﴿يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التوبة:٤٧]، فمن المهم للقائد أن يتصفّح جنده قبل السير باتجاه العدو، فيخرج منهم من كان به تخذيل للمجاهدين، وإرجاف بالمسلمين[١].

وقد فرّق **ابن جماعة** بين المخذّل والمرجف بقوله: «المخذّل: من يخوّف الناس بكثرة العدوّ أو ضعف المسلمين، ونحو ذلك، والمرجف: من يحكي ما يضعف به قلوب المسلمين من قتل كبير فيهم، أو كسر سريّة منهم، أو هزيمة بعضهم أو مجيئ مدد للعدو»[٢].

وكلاهما يؤدي نفس الهدف في الفتّ من عضد وقوّة المسلمين، وإنما (المخذّل) يستخدم الأسلوب المباشر، كما هي مقالة من قالوا: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ [البقرة:٢٤٩]، و(المرجف) يستخدم الأسلوب غير المباشر.

فهذا حال هذه الطائفة من الجند عند خروجها للقتال في سبيل الله، لا يزيدون الجيش إلا توهينًا، رغم أن الجند في حاجة إلىٰ من يقوّي عزائهم، ويشدّ من أزرهم؛ ومن أجل هذا كان من حقّ القائد أن يستبعد مثل هذه العناصر الضارّة، ويطهّر الجيش منها.

والقائد هو الذي يوازن بين الضرر الناجم عن وجود أشخاص مثلهم في الجيش، وبين المصلحة المترتّبة علىٰ بقائهم فيه، وبناء علىٰ

(١) الشيزري، **المنهج المسلوك في سياسة الملوك**، مرجع سابق، (ص٦٠٢)؛ الماوردي، **الأحكام السلطانية**، مرجع سابق، (ص٣٧)؛ الفراء، **الأحكام السلطانية**، (ص٤٠) (بتصرّف).

(٢) ابن جماعة، **تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام**، مرجع سابق، (ص١٦٣).

ذلك يتّخذ قراره بتسريحهم من هذا الجيش أو الاحتفاظ بهم فيه؛ كل ذلك يُبنىٰ علىٰ المصلحة الراجحة[1].

خامساً: عدم تحديد العقوبة:

كان أقسىٰ ما تلفّظ به طالوت لمعاقبة من شرب من النهر أن قال: ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ [البقرة:٢٤٩]، وكان ذلك بحدّ ذاته عقوبة، ولكنها لم تكن علىٰ وجه التحديد، بل تُرك قرار تحديد العقوبة مفتوحًا؛ وقد كان لذلك أسباب منها:

١/ أن طالوت يريد منهم الجهاد بدافع ذاتي منهم، لا خوفًا من عقوبته لهم وبطشه بهم.

٢/ أنه إذا كثُر المخالفون - وهو ما حدث- وكانت العقوبة شديدة، فربمّا أدىٰ ذلك إلىٰ انقلابهم علىٰ تمليك طالوت، وأقلّ ما يقال أن ينتشر بين الجيش بوادر الانقسام حتىٰ من الطائعين.

٣/ كان طالوت في بداية ملكه، وهو بحاجة إلىٰ غضّ الطرف عن بعض المخالفات حتىٰ يتمكّن.

وعلىٰ كل حال فإنه ينبغي أن «لا يعرف منه في المسيئ شيمة مألوفة لا في عفو ولا عقوبة؛ لأن المسيئ إذا عرف منه العفو اجترأ، وإن عرف منه العقوبة قنط، وإن لم يعرف منه واحداً منها كان علىٰ رجاء عفوه وخوف من عقوبته؛ فكان ذلك أبلغ في تأديبه ومصلحته»[2]

---

(١) هيكل، محمّد خير، **الجهاد والقتال في السياسة الشرعية**، ط٢، (بيروت: دار البيارق، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م)، (٢/ ١١١٠) بتصرف.

(٢) الماوردي، **درر السلوك**، مرجع سابق، (ص ١٢٢).

وقد أخطأ المؤرخ **البكري** حينما زعم أن طالوت قتل كل من شرب من النهر عن آخرهم[1]، ومع أنه لم يعتمد علىٰ نص يدعم قوله، فهو فوق ذلك مخالف لسياسة العقوبات والتأديب؛ إذ أن العقوبة إنما تكون بقدر الاستحقاق والجُرمْ بدون سرف[2].

سادساً: الشفافية في التعامل وتقبّل المقترحات:

لما عرضت علىٰ النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فكرة إقامة ملك عليهم، وكانت فكرة جديدة، تعامل مع هذا المقترح بكل شفافية، وبلا استخفاف أو احتقار، وأيضـًا بلا حماسة وموافقة عفويّة دون نقاش وتمحيص، وقد تقبّل النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الفكرة كمبدأ، وبدأ يسأل عن الدافع لهذه الفكرة، قبل أن يسأل عن كيفيّة تنفيذها، وهو منهج أصيل في التعامل مع أي فكرة جديدة، وهي أن نبدأ بالسؤال بـ(لماذا؟) قبل (كيف؟)، فنعرف بذلك الأسباب والدوافع أوّلاً، ثم ننتقل إلىٰ مناقشة الفكرة ونتائجها.

وبكل شفافية أيضـًا بيّن لهم النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عاقبة قولهم حتىٰ يكونوا علىٰ بصيرة من أمرهم: ﴿هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْ﴾ [البقرة:٢٤٦]، ولذلك فإن علىٰ القائد أن يوضّح لأتباعه نتائج القرارات، وأن يجعلها بيّنة أمام أعينهم وأنظارهم[3].

وحتىٰ لما استجاب النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لمقترحهم، وعيّن (طالوت)

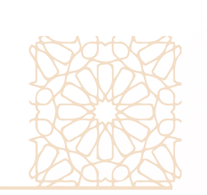
---

(١) البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز، **المسالك والممالك**، تحقيق: جمال طلبة، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م)، (١/ ١٢٨).

(٢) الماوردي، **تسهيل النظر**، مرجع سابق، (ص٧٠)، (ص٢٨١).

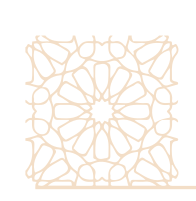
(٣) سون تزو، **فن الحرب**، مرجع سابق، الفصل ١١، (الفقرة ٥٧).

واعترضوا علىٰ ذلك، لم يقمع الآراء ويكبت الأفكار، ولم يبدأ حملة تخوين وعدم ثقة، ولا طالبهم برفع شعارات الطاعة والولاء بدون مناقشة؛ بل ناقشهم وأوضح لهم بكل سبيل، في جوّ يسوده الشفافية في التعامل والنقاش.



المبحث الثاني

مهارات في تنمية الموارد البشريّة



علىٰ الرغم من أن مفهوم (التنمية البشريّة) من المفاهيم الحديثة، التي شاعت في العقود الأخيرة، ولكن أساس فكرة التنمية البشريّة ليست حادثة علىٰ الإنسان، بل تمتدّ بامتداد الوجود الإنساني منذ خلق آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وما بعث الأنبياء والمرسلين، وقيامهم بعملية التعليم والتزكية: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [الجمعة:٢] إلا جزء من التنمية البشريّة للإنسان.

ومع أن التعاريف تكاثرت في الإحاطة بمفهوم (تنمية الموارد البشريّة)، إلا أن من أفضلها: «هي عمليّة واسعة وشاملة ومستمرة ومتعدّدة الجوانب لتغيير حياة الإنسان وتطويرها إلىٰ الأفضل»(١).

كما أن (التنمية البشريّة) بمجملها هي جزء من التربية بمفهومها العام، وقد مارس (طالوت) بعض تلك المهارات التربويّة في إدارة الموارد البشريّة، والتي نستطيع أن نلاحظها من خلال الآتي:

أوّلاً: الإعداد التربوي قبل التكليف بالمهام الصعبة:

إن الإعداد التربوي للفرد قبل دخوله المواجهة أو تكليفه بالمهام الصعبة أمر بالغ الأهمية؛ لأن ذلك سينعكس علىٰ حالة الجماعة وقوّتها

---

(١) حارب، سعيد عبد الله، **أسس تنمية الموارد البشرية من منظور إسلامي**، مقال في مجلّة الوعي الإسلامي، (العدد٥٣٢)، بتاريخ ٣/ ٩/ ٢٠١٠م.

أثناء تأديتها للمهام.

وكلما كان الأفراد علىٰ درجة عالية من الإعداد التربوي كانوا قادرين علىٰ مواجهة الصعوبات التي تعترض طريقتهم، ويرسخ في نفوسهم الإيمان العميق بالهدف، فتصير نفوسهم لا تكل ولا تملّ ولا تلين، حتىٰ يحققّوا غايتهم ومرادهم.

ونلحظ هذا الإعداد من خلال قصّة طالوت في مواطن كثيرة وبأساليب متعدّدة ومتنوّعة، ومن أهمّ الأساليب التربويّة التي وردت بها الآيات:

١/ التربية بالحوار:

وهو ما أخذ حيزاً كبيراً في نقاش نبي الله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع بني إسرائيل، وكان في حوار معهم يختبر جدّيتهم في القتال والجهاد في سبيل الله، ثم هو يذكّرهم بوجوب طاعة الله والامتثال لأمره، ويناقشهم أيضًا في إسقاط المقاييس الدنيوية في اختيار القادة والملوك، وتقييمهم الأفراد بشكل عام.

٢/ التربية بالأحداث:

فقد سنحت للنبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وطالوت فرصة وجود أحداث عظام نزلت علىٰ بني إسرائيل وألحقت بهم الهزائم والسبي والطرد: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾ [البقرة:٢٤٦]، فاهتبل القائد الفرصة، وقد أصبحت نفوسهم مهيأة لتقبّل الجهاد في سبيل الله، وعرّفهم بأنه لا منقذ لهم سوىٰ بالعودة إلىٰ الله وإقامة علم الجهاد تحت راية ملك عظيم.

٣/ التربية بالقصّة:

وهو الدور الذي مارسه المؤمنون الصالحون في تذكيرهم قومهم من المتساقطين، فأخبروهم بقصص السابقين، وفتحوا لهم أبواب التاريخ: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٤٩]، وتشير إليه عبارة (كمْ مِن) التي تفيد التكثير، وأنهم أشاروا إلىٰ العديد من القصص، لعلّهم يتحفّزون أو يعقلون.

٤/ التربية بالعودة إلىٰ كتاب الله:

وهو ما نفهمه من سبب عودة التابوت وهو يحمل في داخله (ميراث الأنبياء)، من الكتب التي نزلت من ربّ السماء: ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾ [البقرة:٢٤٨]، إذ إن المقصود ليس التبرّك بذات الصندوق، وإنما العمل بما في داخله من التوراة والوصايا الربّانية.

٥/ التربية بالترغيب والترهيب:

وهو ما جاء صريحاً علىٰ لسان طالوت، حينما كافأ من لم يشرب من النهر إلا غرفة بقوله: ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [البقرة:٢٤٩]، وعاقب من شرب منه أكثر من غرفة بقوله: ﴿فَلَيْسَ مِنِّي﴾ [البقرة:٢٤٩]، وهكذا ربّاهم علىٰ الترغيب للمحسن والترهيب للمسيء.

٦/ التربية بالمنع من الملّذات:

فليس كل ما رغب فيه الإنسان أخذه وناله، وهو ما قام به القائد طالوت حينما منعهم من الشرب من ماء النهر إلا غرفة، فأعطاهم

كفايتهم، ومنعهم من الترف والسّرف.

٧/ التربية بالإبعاد عن المفسدات:

فإن الإنسان إذا خرج وابتعد عن البيئة الفاسدة والمثيرة لشهواته، كان ذلك أدعىٰ إلىٰ صلاحه، وهو ما عمله طالوت حينما ابتعد بهم عن الدّيار والأبناء والزوجات: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ﴾ [البقرة:٢٤٩]، ولفظ (الفَصْل) هو ضدّ (الوصل)، ولم يقل الله: فلما خرج أو ذهب، وهو ما يشعرك أن طالوت فعلاً قصد إبعادهم عما يثير فسادهم.

٨/ التربية بالاعتبار:

فقد جاءتهم آية عظيمة وعبرة أيّما عبرة، ألا وهي تابوتٌ فيه ميراث أنبيائهم، يخرج من قَعْر بلاد أعدائهم، لتطير به الملائكة بين السماء والأرض، ويوضع بين أيديهم عياناً بياناً: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٢٤٨].

٩/ التربية باللجوء إلىٰ الله:

وهو ما شهدناه من توجّههم جميعاً برفع أكفّهم إلىٰ الله بالدعاء: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٥٠]، وفي الدعاء ذاته من المعاني التربويّة الكثير، من طلب الصبر والثبات من الله، وتحقيق نتيجة الانتصار بإذن الله.

كل هذه الأساليب التربويّة الواردة في القصّة تفيدنا أن التغيير الداخلي للإنسان هو الذي يحدّد قيمته ومسؤوليته تجاه الأحداث: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ [الرعد:١١]، وبقدر ما نغيّر في منظومتنا النفسية الداخلية؛ بقدر ما ستكون حضارتنا قائمة بالقيم الفاضلة، ومرتبطة بنداوة السماء.

ثانياً: وضع الاختبارات القياسيّة للتدريب:

وكان من الأمور الهامة التي رأىٰ (طالوت) باجتهاده أن يقيمها، اختبار (النّهر): ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ﴾ [البقرة:٢٤٩]، وقد نسب هذا الاختبار إلىٰ الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، مع أنّ الصحيح أن ذلك كان باجتهاد منه لمصلحة رآها في ذلك، وذلك لأمرين:

١/ أن الله أوجب طاعة القائد ووليّ أمر المسلمين فيما يأمرهم به، فكأن طاعته من طاعة الله.

٢/ أن المجتهد يصحّ له أن يقول فيما يظهر له باجتهاده أنه دين الله، وذلك ليس بإطلاق.

وقد سمّاه طالوت (ابتلاء) لتقريب المعنىٰ لعقولهم، وحتىٰ يعطوا الاختبار مزيداً من الاهتمام[1].

وقد كان هذا الاختبار اختباراً شاقًا بالنسبة لبني إسرائيل الذين

---

(١) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مرجع سابق، (٢/ ٤٩٦) (بتصرّف).

اعتادوا علىٰ أن يحصلوا علىٰ كل شيء بسهولة، لأن الله سبحانه - في اعتقادهم- يعينهم علىٰ كل أمور حياتهم، فهم -كما زعموا- أنهم أبناء الله وأحباؤه.

ولقد كان بنو إسرائيل في شدة العطش وكانوا يترقبون وجود ماء في الطريق الطويل، فلمّا وصلوا إليه وكان الماء أمام أبصارهم وبين أيديهم، وهدير ماء النهر يصكّ ويملأ أسماعهم؛ بل وذاقوا عذوبته لما سُمح لهم بأخذ غَرفْة منه، وربما لامس أبدانهم أيضًا؛ إذ أنهم لم يُمنعوا من الاغتسال فيه، فأحسّت أجسادهم نداوته وطراوته، وغمرت أنوفهم رائحة الحياة التي في قطراته، وفوق كل ذلك كانوا في وقت حرّ وقيظ شديدين[1]، «وهذا أشدّ في التكليف مما ابتلي به أهل أيْلة من ترك الصيد يوم السبت، مع إمكان ذلك فيه، وكثرة ما يرد إليهم فيه من الحيتان»[2].

ولم يضع طالوت هذا الاختبار من أجل استفزاز جنوده، أو تحدّيهم، أو لشهوة في نفسه لاستعبادهم وإذلالهم -كما يفعل الطواغيت- ولكن كان ذلك لمصالح وأسباب عظيمة، لا يدركها إلا من سَبَرَ أغوار هذا القرار، ونظر إلىٰ نتائجه وتداعياته، ولعلّ أهمّ تلك الأسباب:

أ/ أن من لم يستطع تجاوز هذا الاختبار فلن يستطيع تجاوز ما بعده، والذي هو أكبر منه ألا وهو الابتلاء بالمواجهة الحقيقيّة؛ إذ إن «فتنة

(١) البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، مرجع سابق، (١/ ٣٠١)؛ الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني**، مرجع سابق، (٢/ ١٦٩)؛ السمرقندي، **بحر العلوم**، مرجع السابق، (١/ ٢١٩)؛ الثعلبي، **الكشف والبيان**، مرجع سابق، (ص١٥١).

(٢) أبو حيّان، **البحر المحيط**، مرجع سابق، (٢/ ٢٧٥).

اللقاء ببحر الجيش وما فيه من أعظم الخطر المزلزل للقلوب»[1].

وكان في عدم صبرهم عن الماء ساعة واحدة أكبر دليل علىٰ عدم صبرهم علىٰ القتال الذي سيتطاول وقته، وتحصل به مشقة أشدّ وأكبر[2]، فإخراج مثل هؤلاء الناكلين قبل المواجهة أهون من تراجعهم أمام العدو، فيفتّ ذلك في عضد الجيش وقت بدء المعركة، وأما الذين ذهبوا وجاوزوا الامتحان فقد انطلقوا وهم يعلمون مقدار قوّتهم وعددهم، فأخذوا ذلك في حسبانهم.

ب/ من أجل معرفة مقدار الثقة بقائدهم الملك طالوت، ومدىٰ استجابتهم له، فمن أطاعه هنا كان حريًا به أن يطيعه في الميدان، ومن عصاه فهو بالعصيان في سائر الشدائد أحرىٰ[3]، خصوصًا وأن بني إسرائيل قد بدا منهم كره لملك طالوت عليهم في أوّل الأمر، ثم أذعنوا من بعد، وكان إذعانهم ورضاهم بطالوت مما لا يُعلم إلا بواسطة الاختبار؛ فاختار طالوت من بين الجند المطيع الذين يرجىٰ منه الصبر في القتال، والثبات في معامع النزال، ونفىٰ من الجند من ظهر عصيانه، وخشي في الوغىٰ خذلانه، وذلك أن من أهمّ أسباب الظفر الثقة بالقائد، وأخطر القيادات هي قيادة

(١) البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، مرجع سابق، (٢/ ٤٣٢).

(٢) ابن سعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط١، (دمشق: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م)، (ص١٠٨) بتصرف.

(٣) الشوكاني، **فتح القدير**، مرجع سابق، (١/ ٢٩٢) بتصرف.

من ولي علىٰ قوم وهم له كارهون، أو كان فيهم من يكرهه[١].

جـ/ الإنسان إذا عطش جداً ينبغي له من الناحية الصحيّة أن لا يشرب كثيراً من الماء في هجمة واحدة، فإن ذلك قد يؤدي إلىٰ هلكته، أو علىٰ أقل تقدير يضعفه عن القتال ويوهن جسده[٢]، وقد ثبت طبيّاً أن ذلك يؤدي إلىٰ مغص حاد ناتج من تقلص في العضلات وجدار المعدّة، وفي ذلك إعجاز قرآني علمي ظاهر، وإذا أراد المحارب أن يبقي علىٰ نشاطه شرب قليلاً من الماء، فإذا شرب كثيراً بعد التعب، انحلّت عراه ومال إلىٰ الراحة، وأثقله الماء[٣].

د/ في هذا الاختبار ترويض علىٰ الانضباط، وكبح شهوات النفس، فعندما نترك العنان لرغباتنا وشهواتنا وننغمس فيها تضعف قوانا الجسدية والعقلية، كما تضعف علاقاتنا الاجتماعية، فأجسادنا عبارة عن مجموعة متكاملة من الأنظمة، إذا شكت قصوراً في أي ناحية تداعىٰ لهذا القصور سائر الأنظمة.

وهذا هو السبب وراء الأهمّية الكبرىٰ التي تتمتع بها عادة: (اشحذ المنشار)[٤]، حيث تصبح مبادئ الاعتدال والاستقامة وضبط النفس مبادئ أصلية ترتكز عليها حياة الفرد، والمرء بين أمرين لا ثالث لهما، إما

---

(١) رشيد رضا، **تفسير المنار**، مرجع سابق، (٢/ ٤٨٦) بتصرف.

(٢) المظهري، **التفسير المظهري**، مرجع سابق، (١/ ٣٤٩).

(٣) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مرجع سابق، (٢/ ٤٩٦) بتصرف.

(٤) عبارة (اشحذ المنشار) تعني: صيانة وتحسين ما يساعدنا علىٰ إنجاز أعمالنا، وتحقيق رغباتنا.

أن يسيطر علىٰ رغباته وشهواته، أو أن يتركها فتسيطر عليه[1].

وتلك هي القوّة التي اعتمد عليها (طالوت) في جيشه، ألا وهي قوّة الإرادة واليقين في نصرة الدين، ومخاطرتهم بأنفسهم، وعزيمتهم علىٰ هزيمة انكسار نفوسهم، وبمثل هؤلاء الرجال كان النصر، فإنه وإن تراجع تسعة أفراد من بين عشرة، فقد أخرج (طالوت) واحداً بألف من بين هؤلاء العشرة، ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنفال:٦٥]، ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد:١٧].

هـ/ ظروف الحرب قد تقتضي انقطاع سابلة الطعام والماء، من جراء حصار، أو طول لبث، فإذا لم يكن الجندي قادراً علىٰ تحمل الجوع والعطش يوماً أو أياماً عند الضرورة فإنه حتماً سيستسلم للأعداء ويرضخ لإرادتهم، أما إذا كان الجندي قادراً علىٰ تحمل ذلك حتىٰ تنجلي الغمة، فإنه يقاوم الأعداء ويصاولهم ويحبط محاولاتهم في هزمه واستسلامه[2]، وبهذا الاختبار أيضاً «علم طالوت من له نية في القتال ومن ليس له نية»[3]، ووضع الجندي في مثل (ظروف الحرب)، هي ما تسمىٰ اليوم بـ(المناورات العسكرية)، وذلك من أجل تدريب الجنود[4].

---

(١) ستيفين كوفي، **القيادة المرتكزة علىٰ مبادئ**، مرجع سابق، (ص٧٨) بتصرف.

(٢) خطاب، محمود شيت، **الإسلام والنصر**، كتاب الكتروني pdf، (ص٩٥) (بتصرّف).

(٣) ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، مرجع سابق، (١/ ٢٤٦).

(٤) ابن عثمين، محمّد صالح بن محمّد، **تفسير القرآن الكريم**، طبعة الكترونية، السعودية، عنيزة: مؤسسة الشيخ محمّد بن صالح العثيمين الخيرية، المجلد (٣).

و/ كان في ذلك رفع لمعنويات من أطاعوه ونجحوا في الامتحان، ومن المعلوم أن النجاح في الامتحان له مردود نفسي علىٰ الفرد، خصوصًا في وقت الأزمات.

فهؤلاء الثابتون الذين لم يزيدوا علىٰ غرفة قويت قلوبهم، وصحّ إيمانهم، وبارك الله فيما اغترفوه حتىٰ كفتهم، وأما الذين خالفوا وشربوا فقد انهارت معنوياتهم، وجبنوا عن لقاء العدو، ولم يشهدوا النصر[١].

بل إنه قد روي عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنهم حتىٰ مع شربهم من النهر لم يرتووا[٢]؛ وربّما ذلك محمول علىٰ ما ذكرناه من الضرر الصحّي لمن استعجل شرب الماء وهو في عطش شديد، ويدل علىٰ ذلك التعبير بالفاء في قوله سبحانه: ﴿فَشَرِبُوا﴾ التي تدلّ علىٰ «بيان سرعة السقوط وإجابة داعي الهوىٰ»[٣].

وقد ساق (سفر القضاة) هذا الحدث، واختبار النهر علىٰ أنه لجدعون، وهو من الأخطاء الفادحة، التي ردّ عليها القرآن الكريم، فهذا الحدث كان مما لا شكّ فيه لـ(طالوت)، ولا يمكن أن يتكرر الحدث

(١) الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري، **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرون، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م)، (١/ ٣٦٠) بتصرف.

(٢) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، مرجع سابق، (١/ ٦٦٨)؛ الألوسي، **روح المعاني**، مرجع سابق، (٢/ ١٧١).

(٣) مصطفىٰ مسلم وآخرون، **التفسير الموضوعي**، مرجع سابق، (١/ ٣٣٥).

بنفس الطريقة وبنفس العدد في عهد متقارب[1].

وعلىٰ كل حال فليس اعتمادنا علىٰ هذا النصّ المحرف لنشرحه أو نبرّره، وإنما علينا أن نكتشف من خلال النص القرآني العبر والعظات، ومنها تلك المعادلة الاختباريّة الربّانية، ألا وهي معادلة النصر فيمن حقّقها، وهي في الآيات قد مرّت بأربع مراحل:

١/ اختبار النية والصدق والإخلاص: ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا۟﴾ [البقرة:٢٤٦].

٢/ اختبار التسليم لأمر الله وحكمه: ﴿قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾ [البقرة:٢٤٧].

٣/ اختبار الانضباط والطاعة العملية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ [البقرة:٢٤٧].

٤/ اختبار الثقة بوعد الله: ﴿قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ [البقرة:٢٤٩].

فهذه معادلة مركّبة من أربعة أركان:

الصدق والإخلاص+ التسليم+ الانضباط والطاعة + الثقة= النصر بإذن الله .

فمن تحقّقت فيه وصبر عليها وثبتت أقدامه فيها كان حقاً علىٰ الله أن ينصره، ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى

(١) انظر: سفر القضاة، إصحاح ٧، (مقطع ٣-٦).

﴿ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢٥٠ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[البقرة:٢٥٠].

ثالثاً: تنمية الدافعيّة، والتركيز على (المحفّز):

الحافز الذاتي هو القوّة الداخلية في الإنسان، المحرّك لعواطفه، والموجهة لإرادته، والدافعة له حتىٰ يمارس سلوكًا معينًا داخليًا أو خارجيًا[1].

ولا بدّ للقيادة أن تجمع أفرادا حول فكرة محفّزة، يكون جوهرها قضية محورية تمس حياتهم مباشرة، وتؤسس خطابها علىٰ البواعث الداخلية النفسية الدفينة، هذه الفكرة المحفزة في قصّتنا تتمثل في (قضية استعادة أرضهم وفكّ أسراهم)، وهي التي وردت من أوّل الأحداث: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾ [البقرة:٢٤٦].

وأصبحت هذه الفكرة المحفزة هي القضية التي تم التركيز عليها لاستقطاب بني إسرائيل ورفع علم الجهاد، من خلال طرح هذه القضية المحسوسة الملموسة، وهي تقع في المجال الذي يرىٰ فيه الفرد دوره فيه واضحًا، وحاجته إليه ماسّة، وهذا ما جعل بني إسرائيل يلتفّون حول هذه الفكرة وينصرونها، ويبذلون في سبيلها أرواحهم.

وذلك أن قضية الإخراج من الديار ليست بالقضية الهيّنة في وجدانهم، ولا يمكن أن تنطفي جذوتها بسهولة من عقولهم، وهي ذات القضية التي

---

(١) الميداني، **الأخلاق الإسلامية وأسسها**، مرجع سابق، (١/ ٢٠٢).

أذن الله فيها ببدء الجهاد والقتال في ديننا: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ﴾ [الحج:٣٩-٤٠].

ومن المهم جداً أن يبقىٰ هذا الحافز مستقراً في النفوس، وأن يذكرهم القائد به ويؤكد عليه، لأنه إذا ما غاب هذا الحافز عن الأذهان فإنهم يتفلّتون وينفضّون ويسأمون[١].

رابعاً: رفع المعنويات:

توالت علىٰ بني إسرائيل الكوارث التي أصابتهم بإحباطات نفسيّة متتابعة، وهم بالكاد وافقوا علىٰ الملك الجديد (طالوت)، ومع أن النبي عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ حاول جاهداً إقناعهم ببعض الحقائق وتصحيح الأفكار، فجاءت إليهم هذه الآية العجيبة (التابوت) لترفع من معنوياتهم: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [البقرة:٢٤٨]، قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا: (جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والأرض وهم ينظرون إليه حتىٰ وضعته عند طالوت)[٢].

فالمعجزة هنا التي رفعت المعنويات هي حمل الملائكة للتابوت من بين أيدي أعدائهم الذين نهبوه، ورؤيتهم للملائكة عياناً وهم يطرحون التابوت بين أيديهم، ثم يفتحون التابوت فيجدون بداخله آثار أنبيائهم،

(١) جاسم سلطان، **قوانين النهضة**، مرجع سابق، (ص٢١).

(٢) البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، مرجع سابق، (١/ ٣٠١).

وبقايا من دينهم.

وبهذا التابوت حصلت (السكينة) وارتفعت المعنويات، قال ابن عطية: «والصحيح أن التابوت كانت فيه أشياء فاضلة من بقايا الأنبياء وآثارهم، فكانت النفوس تسكن إلىٰ ذلك وتأنس به وتقوىٰ»[1]، وذلك لأنهم لما رأوا التابوت وهو طائر في السماء تحمله ملائكة الرحمن سكنت قلوبهم وهدأت وزال عنهم الخوف[2]، وحصل اليقين لهم بأن الله ناصرهم[3].

وكان ذلك من أكبر الحوافز لهم علىٰ المسارعة في الجهاد[4]، قال عكرمة: (لما رأىٰ بنو إسرائيل التابوت سارعوا إلىٰ طاعته، والخروج معه)[5].

وكان في إتيان الملائكة بالتابوت إشعار بأن الملائكة سيشاركون معهم في مقاتلة المشركين، وأن الله سيمدّهم بجند من ملائكته يعينونهم ويشدّون من أزرهم ويثّبتونهم، وقد كان بنو إسرائيل بحاجة كبيرة إلىٰ هذه الدَّفعة المعنوية الكبيرة، خصوصاً وأن كثيراً منهم قد سيطر عليه الجبن المتأصل في النفسية اليهودية، والذي يتولد معه انهيار كامل للمعنويات، وكان هذا الرعب كافياً لإلحاق الهزيمة بهم.

---

(١) ابن عطية، **المحرر الوجيز**، مرجع سابق، (١/ ٣٣٣).

(٢) الرازي، **مفاتيح الغيب**، مرجع سابق، (٦/ ١٩١) بتصرف.

(٣) الشوكاني، **فتح القدير**، مرجع سابق، (١/ ٢٩١).

(٤) الثعلبي، **الكشف والبيان**، مرجع سابق، (ص١٥٠).

(٥) أبو حيان، **البحر المحيط**، مرجع سابق، (٢/ ٢٧٣).

وإلىٰ جانب رفع المعنويات لبني إسرائيل، جاء بالمقابل انهيار المعنويات للأعداء بقتل طاغيتهم (جالوت)، فقد انهارت معنويات جيشه بعد هلاكه، وحاقت بهم الهزيمة: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ ﴾ [البقرة:٢٥١].

إن الهدف الحيوي من الحرب، هو تحطيم الطاقات المادية والمعنوية للعدو، وحتىٰ يكون النصر كاملاً ويؤدي لاستسلام العدو لا بدّ من تحطيم معنوياته، وهي ما تسمىٰ بـ (الحرب النفسية) التي تستهدف الطاقات المعنوية بالدرجة الأولىٰ وقبل كل شيء[١]، وإن أهمّ هدف تسعىٰ إليه الحرب النفسية قديماً وحديثاً هو زرع الخوف في نفوس من توجه إليهم، لأن انفعال الخوف نفسياً متعلّق بغريزة حب الحياة وكراهية الموت؛ والذي يترتب عليه الهرب في المعارك[٢]، يقول **سون تزو**: «القتال والانتصار في جميع المعارك ليس هو قمة المهارة، فالتفوق الأعظم هو كسر مقاومة العدو دون أي قتال»[٣].

إن أكثر القادة والمفكرين، عسكريين كانوا أم سياسيين، يعتبرون أن الحرب النفسية أصبحت جزءاً كبيراً لا يستغنىٰ عنه في الحروب العسكرية أو السياسية، فهي سلاح فعال وشديد التأثير[٤].

---

(١) خطاب، محمود شيت، **بين العقيدة والقيادة**، ط١، (دمشق: دار القلم- بيروت: الدار الشامية، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م)، (ص ١٢٥) بتصرف.

(٢) النجار، فهمي، **الحرب النفسية**، ط١، (الرياض: دار الفضيلة، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م) (ص٧٤) بتصرف.

(٣) سون تزو، **فن الحرب**، مرجع سابق، الفصل ٣، (الفقرة ٢).

(٤) النعنع، علام عبد القادر، **التعبئة المعنوية في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير غير مطبوعة، (فلسطين، نابلس: جامعة النجاح الوطنية، ٢٠٠٧م)، (ص١١٠) بتصرف.

خامساً: تنمية تحمّل المسؤولية لدى الأفراد:

شعور المرء بالمسؤولية وتحمله لها تجاه نفسه وقومه ودينه من القيم الجوهرية في المجتمعات الحضارية، وحاجة الفرد إلىٰ هذا الشعور المتنامي يساهم بشكل فعّال في دفعه إلىٰ العمل والبحث عن حلول.

وقد كان بنو إسرائيل قبل مجيء طالوت دائماً ما يبحثون عن كبش فداء يحمّلونه أخطاءهم، وإذا ما حدثت لهم كارثة نسبوا مسؤوليتها لأنبيائهم وصالحيهم وقادتهم، دون أدنىٰ شعور بالمسؤولية، وهم الذين قالوا من قبل لموسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة:٢٤].

أما في عهد (طالوت) فقد بدا لديهم الإحساس بهذا الشعور، فبدؤوا أوّلاً بالمطالبة بالملك، وطلبوا أيضاً أن يذهبوا للجهاد، فدل ذلك علىٰ تحمّلهم المسؤولية، وليس ذلك مقتصراً علىٰ خاصة بني إسرائيل من (الملأ)؛ بل إنه «متىٰ عظم الشعور في نفوس خواص الأمّة بوجوب حفظ استقلالها، ودفع ضيم الأعداء عنها، فإنه لا يلبث أن يسري إلىٰ عامتها..»[1].

سادساً: توزيع المهام ووضع الشخص المناسب في المكان المناسب:

إن القائد الذي يتعامل مع جميع الأفراد كأنهم أصحاب مهمة واحدة، وهو صاحب المهمة المركزية وجميع المهام والتكاليف والصلاحيات بيده، إنما هو في حقيقة الأمر يقود قطيعاً خاملاً لا فريقاً عاملاً.

(١) رشيد رضا، **تفسير المنار**، مرجع سابق، (٢/ ٤٩٢).

فما جودة القيادة ودقّتها إلا بمعرفة فنون التفويض وتوزيع المهام علىٰ الأفراد ووضع الشخص المناسب في المكان الذي يناسبه، وما علىٰ القائد سوىٰ الإشراف والرقابة، والتدخّل في الحالات التي تقتضي منه ذلك في أقلّ الحالات.

ونحن نلاحظ من خلال الآيات هذا الملحظ المهم من خلال ثلاثة أحداث في القصّة هي:

أ/ اختيار (طالوت) من قبل النبي وتكليفه بالقيادة، وإعطاؤه الصلاحيات الكاملة مع وجود النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، كل ذلك مما يؤكد لنا أهمّية هذا الأمر، وهذا أيضاً من وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، خصوصاً وأن هذا الاختيار في موقع (القيادة)، وهو من المواقع الحساسة والمناصب الهامة.

ب/ تحريك الآخرين وإعطاؤهم الصوت، وتكليفهم بالدفاع عن حقيقة مفهوم النصر، وهو ما سمح به طالوت للثابتين المؤمنين الذين قالوا: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٤٩].

جـ/ اختيار (داود) وتكليفه بمهمة مجالدة ومبارزة الطاغية (جالوت)، فإن القيادة الرشيدة تختار النوابغ وتكلفهم بقيادة مهام قتالية محدّدة، وكان (داود) أنسب شخصيّة توفرت فيها سمات التكليف لهذه المهمة الصعبة.

ويحدّد **الماوردي** أركان التكليف ووضع الرجل المناسب في

المكان المناسب بثلاثة أمور يجب اعتبارها في كل من أوكلت إليه المهام:

١/ الصفات والسمات، وما طُبع عليه من خُلُق.

٢/ الكفاءة، وأن تتكامل فيه المميزات والعلوم والخبرة والآلة فيما يخدم به مهمته.

٣/ الهمّة والإرادة والرغبة من الفرد المكلف فيما خصّص به من مهام.

ثم يقول تعقيباً: « فلا يعطىٰ أحدهم منزلة لا يستحقّها لنقص أو خلل، ولا يستكفيه أمر ولايته، ولا ينهض بها، لعجز أو فشل، فإنهم آلات الملك، فإذا اختلّت كان تأثيرها مختلاً وفعلها معتلاً »[1].

فالواجب علىٰ القائد أن يعيّن من أفراده ممن هم تحت قيادته أصلح من يقدر عليه في كل موضع ومهمّة[2]، كما أن مبدأ وضع الرجل المناسب في المكان المناسب قائم علىٰ أساس المواءمة بين متطلبات العمل وبين قدرات الفرد الذي سوف يشغل هذا العمل، فإن قيام الفرد بالعمل الذي يناسب استعداداته وقدراته وميوله، يجعلنا نستفيد من إمكانياته أفضل استغلال، مما يرفع من مستوىٰ الأداء ومن مستوىٰ الكفاءة في تحقيق الأهداف[3].

ولذلك فالمطلوب من القائد أن يتعرّف جيداً علىٰ الرجال الذين

(١) الماوردي، **تسهيل النظر**، مرجع سابق، (ص ١٩٤).

(٢) ابن تيمية، **السياسة الشرعية**، مرجع سابق، (ص١٥).

(٣) محفوظ، **العسكرية في الإسلام**، مرجع سابق، (ص٥٨).

يرأسهم، وأن يكون شعاره الدائم هو أن يضع كل شخص في مكانه المناسب[1].

إن (طالوت) جعل من جميع الأفراد صناعًا للنصر، وهو أيضًا هيّأ رجالاً أمثال (داود) للقيادة.

وإن علىٰ القائد أن لا يربط أفراده بشخصه في كل ما يكلفهم به، وإنما يربطهم بالقيم والمبادئ، وقد كان هذا واضحًا من تعليل مجيء التابوت، والذي يحمل في طيّاته ﴿بَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ﴾، [البقرة:٢٤٨] فربطهم طالوت بتلك القيم والمبادئ الخالدة التي جاءت بها شريعة الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وإن من كمال إعطاء التكاليف حقّها أن يفرّغ القائد مَن كلّفهم للمهمة التي وكلوا بها، فلا ينصرف همّهم ولا ينشغل بالهم إلا بإنجاز ما كلفوا به حتىٰ تتحقّق أفضل النتائج، روي عن عكرمة قال: (قال لهم طالوت: لا يخرج معي من بنىٰ بناءً لم يفرغ منه، ولا من تزوج امرأة لم يدخل بها، ولا صاحب زرع لم يحصده، ولا صاحب تجارة لم يرحل بها، ولا من له أو عليه دين، ولا كبير ولا عليل)[2].

وقريب من هذا الكلام قاله (يوشع بن نون) عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضًا لقومه فقد جاء من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

---

(١) كورتوا، **الطريق إلىٰ القيادة وتنمية الشخصية**، مرجع سابق، (ص٤٣) بتصرف.

(٢) أبو حيّان، **البحر المحيط**، مرجع سابق، (٢/ ٢٧٣)؛ البغوي، **معالم التنزيل**، مرجع سابق، (١/ ٣٠١)؛ الزمخشري، **مفاتيح الغيب**، مرجع سابق، (١/ ٢٩٠)، الثعلبي، **الكشف والبيان**، مرجع سابق، (ص ١٥١)؛ الألوسي، **روح المعاني**، مرجع سابق، (٢/ ١٦٩).

(غزا نبي من الأنبياء، فقال لقومه: لا يتبعني رجل مَلَك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولمّا يَبْن بها، ولا أحد بنىٰ بيوتـًا ولم يرفع سقوفها، ولا آخر اشترىٰ غنمـًا أو خَلِفات وهو ينتظر ولادها)[1].

ولعلّ طالوت أخذ ذلك من سياسة (يوشع بن نون) عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في تفريغ المجاهدين في سبيل الله، وبإمكاننا أن نستوحي ذلك أيضـًا من لفظة (فَصَل) في قول الله سبحانه: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ﴾ [البقرة:٢٤٩]، إذ أنّها تقتضي الابتعاد عن المشغلات والمثيرات، والبُعد عن ملهيات الدنيا والتفرّغ للجهاد في سبيل الله.

قال **ابن جماعة**: «ينبغي لأهل الجيش ألا يشتغلوا بما يشغل قلوبهم من تجارة أو زراعة أو بناء رباع للمباهاة، لأن ذلك كله ليشغل عن صدق النية في الجهاد، ويصدّ عن المصابرة عند اللقاء، ويفتر العزم عن طلب الشهادة»[2].

فموضوع (التفرّغ) لإنجاز المهام هو من الأمور التي ينبغي مراعاتها وقت أداء المشاريع الكبرىٰ.

وأمر آخر ينبغي أن يلتفت إليه القائد، وهو أن (التكليف بالمهام) هو إشغال الأتباع بالعمل والبناء، فتذهب جهودهم وتنصرف أذهانهم في إتمام ما كلفوا به علىٰ أحسن وجه، أما إذا تركوا هملاً بلا مهام وتكاليف

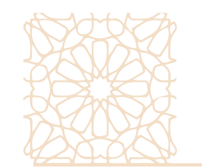
(١) متفق عليه، البخاري في **صحيحه**، كتاب (فرض الخُمس)، باب قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أحلت لي الغنائم)، برقم (٣١٢٤)، (٣/ ١١٣٦)؛ ومسلم في **صحيحه**، كتاب الجهاد والسير، باب تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة، برقم (١٧٤٧)، (٣/ ١٣٦٦).

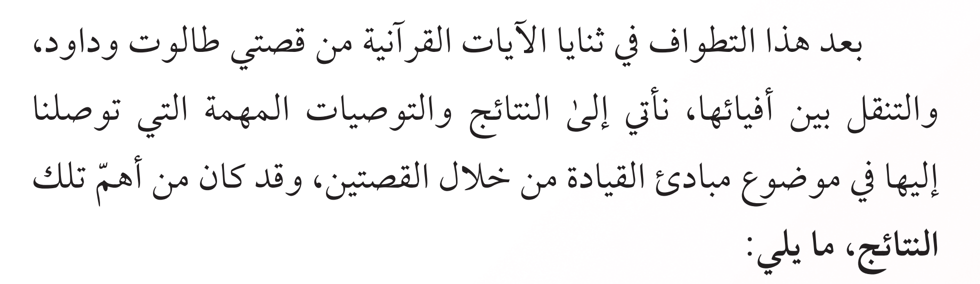
(٢) ابن جماعة، **تحرير الأحكام في تدبر أهل الإسلام**، مرجع سابق، (ص١٦٦).

تناط بهم فإنهم سرعان ما ينقلبون علىٰ القيادة، ويعيشون في (فراغ الجدل) الذي تهلك به الأمم.

ولذلك نجد في الآيات سرعة التعقيب بـ (الفاء): ﴿فَلَمَّا فَصَلَ﴾ [البقرة:٤٩]، والتي جاءت بعد مجيء التابوت، فأغلق باب النقاشات والجدل، وانطلق طالوت بمن معه موكلاً لهم مهمّات العمل، والأمّة عادة لا تقنع بعد العمل إلا بعمل أقوىٰ منه، حتىٰ تستمّر في عمليّة البناء.







الخاتمة

بعد هذا التطواف في ثنايا الآيات القرآنية من قصتي طالوت وداود، والتنقل بين أفيائها، نأتي إلىٰ النتائج والتوصيات المهمة التي توصلنا إليها في موضوع مبادئ القيادة من خلال القصتين، وقد كان من أهمّ تلك **النتائج، ما يلي:**

- القصّة القرآنية حقيقة واقعة، وهي مورد غزير لاستنباط العبر منها في جوانب الحياة المتعددة؛ ومنها الإصلاح القيادي وأهمّيته في تربية المجتمعات وفق سنن التدافع الربّانية.
- محور سورة البقرة هو (المدافعة)، وتأتي (قصّة طالوت) في سياق موضوع (المدافعة).
- حديث التوراة عن قصّة طالوت في (سفر صموئيل) مليئ بالثغرات الخطيرة، والتشويه المتعمّد لسيرة هذا الملك القائد، بينما القرآن الكريم قدّم شخصيته كأنموذج إصلاحي في واقع منحرف.
- كان من أكبر العوامل التي أدت إلىٰ الذل والمهانة لبني إسرائيل عقيدتهم السيئة في الله وعبادتهم غير الله، وإغراقهم في المعاصي، وغفلتهم عن أسباب التمكين، حتىٰ بلغ بنو إسرائيل قمة الانحطاط الحضاري قبل مجيء طالوت، وتمزقوا شرّ ممزّق، وتكالبت عليهم الأمم المجاورة، وتوالت عليهم الهزائم العسكرية، ولم يكن لهم سوىٰ نفوذ بدائي محدود.

- وضع القرآن صفات للقائد الراشد، ومن ذلك: امتلاكه المؤهلات الفكرية والعلمية والإدارية، وأن يكون له إلمام معرفي بالمنصب الذي هو فيه، سواء كان في الجوانب العسكرية أو السياسية أو الإدارية، كما أنه لا بد للقائد أن تتوافر فيه القدرات النفسية العالية، والاستعداد البدني المتكامل والأخلاق الرفيعة في التعامل مع الأفراد.
- من أكثر الأخطاء شيوعـًا قديمـًا وحديثـًا هو الالتفات في (انتخاب القيادات) إلىٰ معيار المال والجاه، وتقديم الأوصاف الخارجية للشخص علىٰ الأوصاف الذاتية، وكذلك من أخطاء النموذج الديمقراطي فتح باب الانتخاب لدهماء الناس ومن ليس لهم معرفة ولا دراية.
- مؤشرات النجاح القيادي لطالوت ولداود كثيرة، والتي تجعلهما بحق من أعظم القادة في التاريخ، وقد استطاعا أن يرفعا بني إسرائيل من حضيض الأمم إلىٰ تكوين دولة عزيزةٍ آمنة.
- الفروق القياديّة بين النبي صموئيل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وطالوت وداود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ هي التي ساهمت في نجاح كل واحد منهم في مرحلته الزمنيّة المناسبة لمواصفاته، وأن كل ذلك من التكامل القيادي، كما أن انتقال السلطة من طالوت إلىٰ داود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ كان بطريقة طبيعية وفق مقتضيات المرحلة الجديدة، ودعوىٰ الصراع الطويل بينهما مزيفة ومشبوهة.
- القرارات المتخذة في القصّة جاءت متنوعة، وقد رسمت لكل القادة قواعد إدارية وضوابط تربوية في اتخاذ القرارت.
- وضعت آيات القصص لنا منهجـًا تربويـًا يحكم علىٰ علاقة القائد

بالأفراد، وينبغي لمن أراد النجاح من القادة أن يحتذي بها؛ ومن ذلك الإعداد التربوي للأفراد قبل التكليف بالمهام والوظائف من الأمور الهامّة التي تساهم في قناعة الأفراد بتحقيق الأهداف.

- علىٰ القائد أن يضع التدريبات القياسية للأفراد، وأن ينمي فيهم الدافعية وتحمل المسؤولية، وأن يكون حريصاً علىٰ توزيع المهام وفق قاعدة: (وضع الرجل المناسب في المكان المناسب).

التوصيات:

وهي موجهة إلىٰ ثلاث فئات:

أ/ إلىٰ كل باحث في علوم القرآن:

ما زال هناك الكثير من المعين الذي لا ينضب في (كتاب الله)، ونحن بحاجة ماسة في وقتنا الحاضر أن نصرف جهودنا لاستخراج المناهج الربّانية والقواعد القرآنية التي نستفيد منها في حياتنا العملية والسلوكية، بدلا من الإغراق في جزئيات لا طائل منها في واقعنا الحياتي، ولا تقدم للأمّة سوىٰ سطور معلومات علىٰ رفوف المكاتب.

ومن دلف إلىٰ أبواب (التفسير الموضوعي) سيجد الجواهر التي تبهر الأفهام وعلىٰ سبيل المثال في باب القيادة والتربية: الجوانب القياديّة والتربويّة في قصّة سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في القرآن... والدروس القياديّة والتربويّة في قصّة ذي القرنين... إلخ.

ب/ إلىٰ قادة أمتنا بجميع مستوياتهم القياديّة:

علينا أن نستقي مُثُلنا القياديّة وأساليبنا التربويّة من القرآن العظيم، ونستلهم أسس وقواعد القيادة الناجحة منه أيضـًا، كما أن علىٰ كل قائد راشد أن يطبق المنهج القرآني في القيادة والتربية ليكون واقعـًا عمليـًا في ممارسته مع الأفراد.

ج/ إلىٰ آحاد الأمّة وعامّتها:

أن نربي النشء القادم علىٰ الاقتداء بسيرة الأبطال والقادة العظام كـ(طالوت)، لنكوّن جيل النصر الذي يحمل في فكره أجمل صورة وأجلاها لأبطال الإسلام، وعلىٰ عاتقنا جميعـًا نحمل مسؤولية تربية أبنائنا لنصنع منهم قادة عظاما.

والله أعلم وصلىٰ الله علىٰ محمد وآله وصحبه.

قائمة المراجع

* **القرآن العظيم.**

١. أبكاريوس، يوحنّا افندي، ١٨٨٥م، **قطف الزهور في تاريخ الدهور،** بيروت، ط٢.

٢. ابن الأثير، أبو الحسن علي، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، **النهاية في غريب الحديث،** تحقيق: طاهر أحمد الزاوىٰ - محمود محمّد الطناحي، بيروت: المكتبة العلمية، د.ط.

٣. ابن الأثير، أبو الحسن علي، ١٤١٥هـ، **الكامل في التاريخ،** تحقيق: عبدالله القاضي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢.

٤. الأحمد، أحمد عيسىٰ، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م، **داود وسليمان في العهد القديم والقرآن الكريم/ دراسة لغوية تاريخية مقارنة،** الكويت: مطبعة حكومة الكويت، د.ط.

٥. أحمد شاكر، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، **عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير (مختصر تفسير القرآن العظيم)**، مصر، المنصورة: دار الوفاء، ط٢.

٦. أحمد أبو زيد، ١٩٩٢م، **التناسب البياني في القرآن،** الرباط: مطبوعات جامعة محمّد الخامس، د.ط.

٧. أرمسترونج، كارين،١٩٩٨م، **القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث،** ترجمة: فاطمة نصر، محمّد عناني، لبنان: سطور، د.ط.

٨. ابن الأزرق، شمس الدين أبو عبد الله محمّد بن علي الغرناطي، د.ت، **بدائع السلك في طبائع الملك،** تحقيق: علي سامي النشار، العراق:

وزارة الإعلام، ط١.

٩. الألوسي، شهاب الدين محمود البغدادي، د.ت، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

١٠. البخاري، محمّد بن إسماعيل،١٤٢٢هـ، **الجامع الصحيح**، المحقق: محمّد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط١.

١١. البرغوثي، عمر الصالح، وطوطح، خليل، د.ت، **تاريخ فلسطين**، مصر، بور سعيد: مكتبة الثقافة الدينية.

١٢. بصبوص، أحمد، ١٩٨٨م، **فن القيادة في الاسلام**،، الأردن: مكتبة المنار، ط١.

١٣. البغوي، أبو محمّد الحسين بن مسعود، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، حققه: محمّد عبد الله النمر- عثمان جمعة ضميرية- سليمان مسلم الحرش، السعودية: دار طيبة، ط٤.

١٤. البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم، ١٣٩١هـ، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، الهند، حيدرآباد الدّكن: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط١.

١٥. البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز،٢٠٠٣م، **المسالك والممالك**، تحقيق: جمال طلبة، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.

١٦. بهجت، عبد الله محمّد؛ وكردي، إيمان عبد اللطيف، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، **القرار طريقك إلىٰ المثالية**، المدينة المنورّة: مكتبة دار الزمان، ط١.

١٧. البيضاوي، ناصرالدين أبوسعيد عبد الله بن عمر بن محمّد الشيرازي،

د.ت، **تفسير البيضاوي**، بيروت: دار الفكر.

١٨. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، **دلائل النبوة**، تحقيق: عبدالمعطي قلعجي، القاهرة: دار الريان للتراث، ط١.

١٩. بيومي مهران، ١٩٩٩م، **بنو إسرائيل**، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

٢٠. الترمذي، محمّد بن عيسىٰ بن سَوْرة، ١٩٩٨م، **سنن الترمذي**، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

٢١. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، ١٤٠٤هـ، **دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية**، تحقيق: د، محمّد السيد الجليند، دمشق: مؤسسة علوم القرآن، ط٢.

٢٢. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، **مجموع الفتاوىٰ**، تحقيق: أنور الباز- عامر الجزار، مصر، المنصورة: دار الوفاء، ط٣.

٢٣. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، د.ت، **السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية**، تحقيق: علي محمّد العمران، من مطبوعات مجمع الفقه الاسلامي، دار عالم الفوائد.

٢٤. الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمّد ابن إبراهيم، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، **الكشف والبيان**، تحقيق: الإمام أبي محمّد ابن عاشور، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ١.

٢٥. جاسم سلطان، **أداة فلسفة التاريخ**، سلسلة أدوات القادة، كتاب الكتروني عبر موقع ويب: (مشروع النهضة) www.4nahda.com.

٢٦. جاسم سلطان، **قواعد في الممارسة السياسية**، سلسلة أدوات القادة، كتاب الكتروني عبر موقع ويب: (مشروع النهضة) www.4nahda.com

٢٧. جاسم سلطان، **قوانين النهضة**، سلسلة أدوات القادة، كتاب الكتروني عبر موقع ويب: (مشروع النهضة) www.4nahda.com.

٢٨. جاسم سلطان، **النهضة.، من الصحوة إلىٰ اليقظة**، سلسة أدوات القادة، كتاب الكتروني: موقع مشروع النهضة (www.4nahda.com)

٢٩. جلوب، فون باجوت، ٢٠٠١م، **اليهود واليهودية في العصور القديمة**، وأصل الكتاب: السلام في الأرض المقدسة تحليل تاريخي لمشكلة فلسطين، ترجمة: رشاد الشامي، القاهرة: المكتب المصري،ط١.

٣٠. ابن جماعة، بدر الدين محمّد بن إبراهيم، د.ت، **تحرير الأحكام في تدبير أهل الاسلام**، تحقيق: فؤاد عبد المنعم، قطر: طبعة خاصة برئاسة المحاكم الشرعية، ط١.

٣١. جمجوم، هاشم نور، ١٩٩١م، **سيكولوجية الإدارة**، جدة: دار الشروق.

٣٢. ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمّد، ١٤٠٤هـ، **زاد المسير في علم التفسير**، بيروت: المكتب الإسلامي، ط٣.

٣٣. الجويني، أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله،١٤٠٠هـ، **غياث الأمم في التياث الظُلَم**، تحقيق: مصطفىٰ حلمي- فؤادعبدالمنعم، الإسكندرية: دار الدعوة.

٣٤. باحاذق، عمر محمّد عمر، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، **الجانب الفني في قصص القرآن الكريم**، دمشق: دار المأمون، ط١.

٣٥. ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، ١٣٧٩هـ، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، بيروت: دار المعرفة.

٣٦. ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، **تحفة النبلاء من قصص الأنبياء**، تحقيق: غنيم بن عباس، القاهرة: مكتبة التابعين، ط١.

٣٧. الحديدي، صالح، متىٰ نصر الله: **المؤامرة الكبرىٰ لتفتيت الدول الإسلامية وإقامة إسرائيل الكبرىٰ**، كتاب (المختار)، طبعة الكترونية.

٣٨. ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الظاهري، د.ت، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، القاهرة: مكتبة الخانجي.

٣٩. حمدان، جمال، ١٩٩٦م، **اليهود انثروبولوجيا**، القاهرة: كتاب الهلال، سلسلة شهرية تصدر عن دار الهلال، العدد ٥٤٢.

٤٠. حميدة، طارق مصطفىٰ محمّد، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م، **التناسب في سورة البقرة**، رسالة دكتوراه، القدس: جامعة القدس.

٤١. ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمّد الشيباني، د.ت، **المسند**، القاهرة: مؤسسة قرطبة.

٤٢. ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمّد الشيباني، د.ت، **الزهد**، بيروت: دار الكتب العلمية.

٤٣. أبو حيان، محمّد بن يوسف الأندلسي،١٤١٣هـ-١٩٩٣م، **البحر المحيط**، تحقيق: عادل عبد الموجود - علي معوض، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.

٤٤. الخازن، علاء الدين علي بن محمّد الشيحي، ١٤١٥هـ، **لباب التأويل**

في معاني التنزيل، تحقيق: محمّد علي شاهين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.

٤٥. الخالدي، صلاح عبد الفتاح، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، **الشخصيّة اليهودية من خلال القرآن**، دمشق: دار القلم، ط١.

٤٦. خضر، عبد العليم عبد الرحمن، ١٤١٥هـ -١٩٩٥م، **المسلمون وكتابة التاريخ**، المعهد العالي للفكر الاسلامي، ط٢.

٤٧. خطاب، محمود شيت، **بين العقيدة والقيادة**، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، دمشق: دار القلم- بيروت: الدار الشامية، ط١.

٤٨. خطاب، محمود شيت، **الإسلام والنصر**، كتاب الكتروني pdf.

٤٩. الخطيب، عبد الكريم، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م، **القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**، بيروت: دارالمعرفة، ط٢.

٥٠. ابن خلدون، عبد الرحمن، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر**، تحقيق: خليل شحادة - سهيل ركاز، بيروت: دار الفكر.

٥١. خليفة حسن، محمّد، ١٩٨٨م، **تاريخ الديانة اليهودية**، القاهرة: دار قباء، ط١.

٥٢. الخنين، ناصر بن عبد الرحمن بن ناصر، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، **النظم القرآني في آيات الجهاد**، الرياض: مكتبة التوبة، ط١.

٥٣. أبو الخير، كمال حمدي، ١٩٧٤م، **أصول الإدارة العلمية**، القاهرة: مكتبة عين شمس.

٥٤. أبوداود، سليمان بن الأشعث السجستاني، د.ت، **سنن أبي داود**،

تحقيق: محمّد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: دار الفكر.

٥٥. الدّبس، المطران يوسف، ١٩٩٤م، **تاريخ سورية الدنيوي والديني**، بيروت، دار نظير عبود.

٥٦. دبّور، محمّد عبد الله عبده، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م، **أسس بناء القصص من القرآن الكريم دراسة أدبية ونقدية**، رسالة دكتوراه، القاهرة: جامعة الأزهر.

٥٧. دروزة، محمّد عزة، **تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم: الجزء الأوّل**، القاهرة: الدار القومية، سلسلة: اخترت لك، رقم ٨٣.

٥٨. درويش، إبراهيم السيد، ١٩٨٨م، **الوسيط في الإدارة العامّة: النظرية والممارسة**، القاهرة: دار النهضة العربية، ط١.

٥٩. الدميجي، عبد الله بن عمر بن سليمان، د.ت، **الإمامة العظمىٰ عند أهل السنة والجماعة**، الرياض: دار طيبة، ط٢.

٦٠. الدينوري، أبوحنيفة أحمد بن داود، ١٨٨٨م، **الأخبار الطوال**، تحقيق: فيلاديمير جرجاس، هولندا، ليدن: مطبع بريل، ط١.

٦١. ديورانت، ويل، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، **قصّة الحضارة**، ترجمة: محمّد بدران، بيروت: دار الجيل.

٦٢. الذهبي، محمّد حسين، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م، **الإسرائيليّات في تفسير والحديث**، القاهرة: مكتبة وهبة، ط ٤.

٦٣. الرازي، محمّد فخر الدين بن عمر المشتهر بـ (خطيب الريّ)، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م، **تفسير الفخر الرازي المشتهر بـ(التفسير الكبير ومفاتيح الغيب)**، بيروت: دار الفكر، ط١.

٦٤. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمّد بن المفضل، ١٤١٢هـ، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دمشق: الدار الشامية، بيروت: دار العلم.

٦٥. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمّد بن المفضل، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، **الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة**، تحقيق: أبو اليزيد العجمي، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر، ط١.

٦٦. رحمة الله الهندي، محمّد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م، **إظهار الحق**، تحقيق: محمّد ملكاوي، السعودية: الرئاسة العامّة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، ط١.

٦٧. رشيد رضا، محمّد، ١٣٥٠هـ، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، مصر: مطبعة المنار، ط٢.

٦٨. الزبيدي، محمّدبن محمّد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بمرتضىٰ، د.ت، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: مجموعة من المحققين، طبعة دار الهداية.

٦٩. الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد، ١٩٧٤م، **تفسير أسماء الله الحسنىٰ**، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دمشق: دار الثقافة العربية.

٧٠. الزجاج، أبو اسحاق إبراهيم، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، **معاني القرآن وإعرابه**، تحقيق: عبد الجليل عبد ه شبلي، بيروت: عالم الكتب، ط١.

٧١. الزركشي، بدر الدين محمّد بن عبد الله بن بهادر، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دار المعرفة، ط١.

٧٢. الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، ١٤٠٧هـ، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، بيروت: دار الكتاب العربي.

٧٣. الزهراني، نايف بن سعيد، **معالم الاستنباط في التفسير**، طبعة الكترونية.

٧٤. أبو زهرة، محمّد، د.ت، **زهرة التفاسير**، القاهرة: دار الفكر العربي.

٧٥. سايمنتن، دين كيث: **العبقرية والإبداع والقيادة**، ترجمة: شاكر عبد الحميد، الكويت: سلسلة عالم المعرفة، رقم ١٧٦، المجلس الوطني للثقافة.

٧٦. سبحاني، محمّد عناية الله أسد، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م، **البرهان في نظام القرآن (نظام سور: الفاتحة والبقرة وآل عمران)**، جدة: دار الكتب، ط١.

٧٧. سبينوزا، باروخ، ٢٠٠٥م، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، ترجمة: حسن حنفي، بيروت: دار التنوير، ط١.

٧٨. ستيفين كوفي، ٢٠٠٥م، **القيادة المرتكزة علىٰ مبادئ**، ترجمة: مكتبة جرير، السعودية: مكتبة جرير، ط١.

٧٩. ابن سعدي، عبد الرحمن بن ناصر،١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، **تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، دمشق: مؤسسة الرسالة، ط١.

٨٠. سعفان، كامل، **اليهود تاريخ وعقيدة**، القاهرة: دار الاعتصام.

٨١. أبو السعود، محمّد بن مصطفىٰ العمادي، د.ت، **إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود)**، تحقيق: عبد القادر

أحمد عطا، الرياض: مكتبة الرياض الحديثة.

٨٢. السلمي، عياض بن نامي، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، **أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله**، الرياض: دار التدمرية، ط١.

٨٣. السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمّد، ١٤١٣هـ، **تفسير السمرقندي (بحر العلوم)**، تحقيق: علي معوض، وعادل أحمد، وزكريا النوتي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.

٨٤. السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمّد بن عبد الجبار، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، **تفسير القرآن**، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس، الرياض: دار الوطن.

٨٥. السموأل بن يحيىٰ بن عباس المغربي،١٤١٠هـ-١٩٨٩م، **بذل المجهود في إفحام اليهود**، تحقيق: عبد الوهاب أبوطويلة، دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية، ط١.

٨٦. السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، د.ت، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، تحقيق: أحمد الخراط، دمشق: دار القلم.

٨٧. السمين الحلبي، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، تحقيق: محمّد باسل عيون السود، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.

٨٨. سنيوبوس، شارل، د.ت، **تاريخ الحضارة**، تعريب: محمّد كرد علي، القاهرة: مطبعة الظاهر.

٨٩. السواح، فراس، ١٩٩٥م، **آرام دمشق وإسرائيل في التاريخ والتاريخ التوراتي**، دمشق: دار علاء الدين، ط١.

٩٠. السواح، فراس، ٢٠٠٢م، **لغز عشتار**، دمشق: دار علاء الدين، ط٨.

٩١. سون تزو، **فن الحرب**، ترجمة: رؤوف شبابك، (طبعة الكترونية).

٩٢. سيجال، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، **حول تاريخ الأنبياء عند بني إسرائيل**، ترجمة: حسن ظاظا، الكتاب يقع ضمن مجموعة كتب تحت عنوان: **أبحاث في الفكر اليهودي**، حسن ظاظا، دمشق: دار القلم- بيروت: دارة العلوم، ط١.

٩٣. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، **تناسق الدرر في تناسب السور**، تحقيق: عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.

٩٤. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: سعيد المندوب، لبنان: دار الفكر، ط١

٩٥. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، **الدر المنثور في التفسير بالماثور**، مصر: دار هجر.

٩٦. الشاطبي، إبراهيم بن موسىٰ الغرناطي، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، **الموافقات**، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن، القاهرة: دار ابن عفان.

٩٧. الشرباصي، أحمد، ١٩٨٨م، **قصّة التفسير**، بيروت: دار الجيل، ط٣.

٩٨. الشريف، طلال عبد الملك، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م، **الأنماط القياديّة وعلاقتها بالأداء الوظيفي**، رسالة ماجستير لم تطبع، السعودية: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.

٩٩. شلبي، أحمد، ١٩٨٨م، **مقارنة الأديان (اليهودية)**، القاهرة: مكتبة

النهضة، ط٨.

١٠٠. شلتوت، محمود، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م، **تفسير القرآن الكريم: الأجزاء العشرة الأوّلىٰ**، القاهرة: دار الشروق، ط١٢.

١٠١. الشنقيطىٰ، محمّد الأمين بن محمّد المختار بن عبد القادر الجكني، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، بيروت: دار الفكر.

١٠٢. أبو شهبة، محمّد بن محمّد، د.ت، **الإسرائيليّات والموضوعات في كتب التفسير**، مكتبة السنة، ط٤.

١٠٣. الشهرستاني، محمّد بن عبد الكريم بن أبي بكر، ١٤٠٤هـ، **الملل والنحل**، تحقيق: محمّد سيد كيلاني، بيروت: دار المعرفة.

١٠٤. شوفاني، إلياس، ١٩٩٦م، **الموجز في تاريخ فلسطين السياسي**، بيروت: موسسة الدراسات الفلسطينية، ط١.

١٠٥. الشوكاني، محمّد بن علي بن محمّد، ١٤١٢هـ، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، دمشق: دار الخير، ط١.

١٠٦. الشيزري، عبد الرحمن بن عبد الله بن نصر، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م، **المنهج المسلوك في سياسة الملوك**، تحقيق: علي عبد الله الموسىٰ، الأردن، الزرقاء: مكتبة المنار، ط١.

١٠٧. الصلاح، خالد رحال محمّد، د.ت، **العقائد المشتركة بين اليهود والنصارىٰ وموقف الإسلام منها**، لبنان: بيروت، دار العلوم العربية.

١٠٨. الصنعاني، عبد الرزاق بن همام، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م، **تفسير القرآن**، تحقيق: مصطفىٰ مسلم، الرياض: مكتبة الرشد، ط١.

١٠٩. أبو طالب، مسموع أحمد، ١٩٨٦م، **المنهج الموضوعي في التفسير**، القاهرة، دار الطباعة المحمّدية، ط٢.

١١٠. الطبري، أبو جعفر محمّد بن جرير، ١٤٠٧هـ، **تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)**، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.

١١١. الطبري، أبو جعفر محمّد بن جرير،١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، **جامع البيان في تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)**، تحقيق: محمود شاكر وأحمد شاكر، دمشق: مؤسسة الرسالة، ط١.

١١٢. الطرطوشي، أبو بكر محمّد بن الوليد الفهري، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، **سراج الملوك**، تحقيق: محمّد فتحي أبو بكر، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ط١.

١١٣. طعيمة، صابر، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، **بنو إسرائيل بين نبأ القرآن الكريم وخبر العهد القديم**، بيروت: عالم الكتب، ط١.

١١٤. طعيمة، صابر،١٤١١هـ-١٩٩١م، **التاريخ اليهودي العام**، بيروت: دار الجيل، ط٣.

١١٥. طنطاوي، محمّد سيّد، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، **بنو إسرائيل في القرآن والسنة**، القاهرة: دار الشروق، ط٢.

١١٦. طومسون، توماس، ١٩٩٥م، **التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي**، ترجم: صالح علي سوداح، لبنان: بيروت، بيسان للنشر والتوزيع، ط١.

١١٧. طويلة، عبد الوهاب عبد السلام، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، **توراة اليهود والإمام ابن حزم الأندلسي**، دمشق: دار القلم، ط١.

١١٨. ظاظا، حسن، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م، **أبحاث في الفكر اليهودي**، دمشق: دار القلم؛ بيروت: دار العلوم، ط١.

١١٩. ظاظا، حسن؛ وعاشور، محمّد، ١٩٧٦م، **شريعة الحرب عند اليهود**، مصر: دار الاتحاد العربي للطباعة، ط١.

١٢٠. الظواهري، كاظم، ١٩٩١م-١٤١٢هـ، **بدائع الإضمار القصصي في القرآن الكريم**، ط١.

١٢١. ابن عادل الدمشقي، أبو حفص عمر بن علي، د.ت، **اللباب في علوم الكتاب**، بيروت: دار الكتب العلمية.

١٢٢. العارف، عارف، ١٩٩٩م، **المفصل في تاريخ القدس**، القدس: مطبعة المعارف، ط٥.

١٢٣. ابن عاشور، محمّد الطاهر التونسي، ١٩٩٧م، **التحرير والتنوير**، تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع.

١٢٤. عباس، فضل حسن، ١٩٨٥م، **القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته**، عمان: دار الفرقان، ط ١.

١٢٥. ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله النمري، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، **جامع بيان العلم وفضله**، بيروت: دار الكتب العلمية.

١٢٦. عبد الستار فتح الله سعيد، ١٩٨٦م، **المدخل إلىٰ التفسير الموضوعي**، القاهرة، دار الطباعة والنشر الإسلامية.

١٢٧. عبد العليم، مصطفىٰ كمال، وراشد، سيد فرج، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، **اليهود في العالم القديم**، دمشق: دار القلم- بيروت: الدار الشامية، ط١.

١٢٨. عبد الواحد، خالد، ٢٠٠٢م-١٤٢٣هـ، **نهاية إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية**، طبعة الكترونية، الإصدار ٤.

١٢٩. ابن العبري، غريفوريوس أبو الفرج ابن اهرون الطبيب، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، **تاريخ مختصر الدول**، صححّه أنطون صالحاني اليسوعي، بيروت: دار الرائد اللبناني.

١٣٠. أبو عُبيد، القاسم بن سلاّم، ١٤٢٠هـ، **فضائل القرآن**، تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، دمشق: دار ابن كثير.

١٣١. أبو عبيدة معمر بن المثنىٰ، د.ت، **مجاز القرآن**، تحقيق: محمّد فؤاد سزكين، القاهرة: مكتبة الخانجي.

١٣٢. ابن عثيمين، محمّد بن صالح بن محمّد، **تفسير القرآن الكريم**، طبعة الكترونية، السعودية، عنيزة: مؤسسة الشيخ محمّد بن صالح العثيمين الخيرية.

١٣٣. ابن العربي، محمّد بن عبد الله أبو بكر المعافري الإشبيلي، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، **أحكام القرآن**، تحقيق: محمّد عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط٣.

١٣٤. العز بن عبد السلام، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م، **أحكام الجهاد وفضائله**، تحقيق: نزيه حمّاد، جدّة: دار الوفاء، ط١.

١٣٥. ابن عطية، عبد الحق بن غالب الأندلسي، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، بيروت: دار الكتب العلمية.

١٣٦. العقّاد، عباس محمود، **الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين**، مصر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، سلسلة المكتبة

الثقافية، رقم ١.

١٣٧. العقلا، عبد الله بن فريح، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م، **إعداد الجندي المسلم أهدافه وأسسه**، الرياض: مكتبة الرشد، ط١.

١٣٨. العك، خالد عبد الرحمن،١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، **أصول التفسير وقواعده**، بيروت:دار النفائس،ط٢.

١٣٩. العكبري، أبو البقاء عن عبد الله بن الحسين، د.ت، **التبيان في إعراب القرآن**، تحقيق: علي محمّد البجاوي، مطبعة عيسىٰ البابي الحلبي.

١٤٠. آل عمر، محمّد بن علي بن محمّد، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، **عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين**، السعودية: مطبوعات مجلة البيان، ط١.

١٤١. العمري، أحمد جمال، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، **دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني**، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط١.

١٤٢. العمري، محمّد بن سعيد، ١٤٠٧هـ، **المعايير القياديّة في الأنظمة الأمنية**، رسالة ماجستير غير مطبوعة، الرياض: أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية.

١٤٣. عميرة، عبد الرحمن، ٢٠٠٦م، **الإستراتيجية الحربية في إدارة المعارك في الإسلام**، القاهرة: الهيئة المصرية العامّة للكتاب.

١٤٤. عواطف بنت أديب بن علي سلامة، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، **أهل مدين دراسة للخصائص والعلاقات**، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية.

١٤٥. العيني، بدر الدين محمود بن أحمد، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، تحقيق: عبد الله محمود محمّد،

بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.

١٤٦. أبو العينين، جميل جودت، ٢٠٠١م، **أصول الإدارة في القرآن والسنّة**، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ط١.

١٤٧. الغرناطي، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير، ١٤٢٨هـ، **البرهان في تناسب سور القرآن**، تحقيق: سعيد بن جمعة الفلاح، السعودية: دار ابن الجوزي، ط١.

١٤٨. الغزالي، أبو حامد محمّد بن محمّد، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م، **التبر المسبوك في نصيحة الملوك**، تحقيق: أحمد شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.

١٤٩. الغزالي، محمّد، ١٤٢٠ هـ-٢٠٠٠م، **نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم**، القاهرة: دار الشروق، ط٤.

١٥٠. الغنيمي، عبد الفتاح مقلد، ٢٠٠٠م، **هل لإسرائيل حق تاريخي في فلسطين؟**، القاهرة: العربي للنشر، ط١.

١٥١. غوستاف لوبون، ٢٠٠٩م، **اليهود في تاريخ الحضارات الأوّلىٰ**، ترجمة: عادل زعيتر، تحقيق: محمود النجيري، القاهرة: مكتبة النافذة، ط١.

١٥٢. فؤاد حسنين علي، د.ت، **إسرائيل عبر التاريخ: في البدء**، القاهرة: دار النهضة العربية.

١٥٣. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمّد هارون، بيروت: دار الفكر.

١٥٤. فتاح، عرفان عبد الحميد، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، **اليهودية: عرض تاريخي، والحركات الحديثة في اليهودية**، عمّان: دار عمار - بيروت: دار البيارق، ط١.

١٥٥. فرج، طريف شوقي، ١٩٩٣م، **السلوك القيادي وفعالية الإدارة**، القاهرة: مكتبة غريب.

١٥٦. أبو الفضل، عبد الشافعي محمّد، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، **القيادة الإدارية في الإسلام**، القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١.

١٥٧. فوزي محمّد حميد، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، **حقائق وأباطيل في تاريخ بني إسرائيل**، دمشق: دار الصفدي، ط١.

١٥٨. الفيروزآبادي، مجد الدين محمّد بن يعقوب، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، تحقيق: محمّد علي النجار وعبد العليم الطحاوي، مصر: المجلس الأعلىٰ للشؤون الإسلامية، ط٦.

١٥٩. القادري، عبد الله أحمد، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م، **الجهاد في سبيل الله حقيقته وغايته**، جدة: دار المنار، ط٢.

١٦٠. القاسمي، محمّد جمال الدين، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م، **محاسن التأويل**، تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: مطبعة عيسىٰ البابي الحلبي، ط١.

١٦١. القالي، أبوعلي إسماعيل بن القاسم البغدادي، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م، **الأمالي في لغة العرب**، بيروت:دار الكتب العلمية.

١٦٢. **قاموس أعلام الكتاب المقدس**، ٢٠٠٦م، القاهرة: دار الكتاب المقدس، مطبعة كنيسة الإخوة.

١٦٣. **قاموس الكتاب المقدس**، نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص اللاهوتيين، هيئة التحرير: بطرس عبد الملك، جون إلكسندر، إبراهيم مطر، كتاب الكتروني، الحقوق محفوظة لشركة compubraill.

١٦٤. ابن قدامة، عبد الله بن أحمد المقدسي، ١٤٠٥هـ، **المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني**، بيروت: دار الفكر، ط١.

١٦٥. القرطبي، محمّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: سمير البخاري، الرياض: دار عالم الكتب.

١٦٦. قرموط، نايف شعبان عبد الله، ١٤٣٠ هـ- ٢٠٠٩م، **الإدارة في سورة يوسف** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، رسالة ماجستير (نسخة الكترونية)، غزة: الجامعة الإسلامية، كلية اصول الدين.

١٦٧. القمني، سيّد، ١٩٩٨م، **إسرائيل: التوراة..التاريخ..التضليل**، القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر.

١٦٨. ابن القيم، محمّد بن أبي بكر الزرعي، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م، **الروح**، بيروت:دار الكتب العلمية.

١٦٩. ابن قيم الجوزية، محمّد بن أبي بكر، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، بيروت: دار الكتب العلمية.

١٧٠. ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل الدمشقي، ١٤٠٨هـ، **البداية والنهاية**، القاهرة: دار الريان، ط١.

١٧١. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمّد سلامة،

الرياض: دار طيبة، ط٢.

١٧٢. الكلابي، سعد بن عبد الله، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، **نحو نموذج شامل في القيادة: دراسة نقدية لنظريات ومدخل القيادة الإدارية**، الرياض: مركز البحوث، كلية العلوم الإدارية بجامعة الملك سعود.

١٧٣. كنعان، نواف، ١٩٩٢م، **القيادة الإدارية**، الرياض: دار العلوم للطباعة والنشر، ط٢.

١٧٤. كورتوا، ١٩٩٩م، **الطريق إلىٰ القيادة وتنمية الشخصيّة**، ترجمة: سالم العيسىٰ، دمشق: دار علاء الدين، ط١.

١٧٥. ابن ماجه، أبو عبد الله محمّد بن يزيد القزويني، د.ت، **سنن ابن ماجه**، تعليق: محمود خليل، القاهرة: مكتبة أبي المعاطي.

١٧٦. مارسيل بريلو، د.ت، **علم السياسة**، ترجمة: محمّد برجاوي، بيروت: منشورات عويدات.

١٧٧. مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي، د.ت، **الموطأ**، تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي، مصر: دار إحياء التراث العربي.

١٧٨. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمّد بن حبيب، ١٩٨١م، **تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة المُلك**، تحقيق: محيي هلال السرحان، بيروت: دار النهضة العربية.

١٧٩. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمّد بن حبيب، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، **أدب الدنيا والدين**، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.

١٨٠. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمّد بن حبيب، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، تحقيق: أحمد

مبارك البغدادي، الكويت: دار ابن قتيبة، ط١.

١٨١. المباركفوري، أبو العلا محمّد عبد الرحمن بن عبد الرحيم، د.ت، **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، بيروت: دار الكتب العلمية.

١٨٢. مجممي، ناصر محمّد ابراهيم، ١٤٢٤هـ، **أنماط القيادة في بعض المؤسسات الصناعية الخاصة**، رسالة ماجستير لم تطبع، الرياض: جامعة الملك سعود.

١٨٣. محفوظ، محمّد جمال الدين، ١٩٩٤م، **العسكرية في الإسلام**، القاهرة: دار المعارف، سلسلة إقرأ، برقم ٥٩٨.

١٨٤. مراد كامل، ١٩٦٨م، **الكتب التاريخية في العهد القديم**، جامعة الدول العربية: معهد البحوث والدراسات العربية.

١٨٥. المسيري، عبد الوهاب محمّد، ديسمبر١٩٨٢م، **الأيديولوجية الصهيونية**، الكويت: سلسلة عالم المعرفة، الكتاب رقم ٦٠.

١٨٦. مصطفىٰ، صلاح عبد الحميد، والنابه، نجاة عبد الله، ١٩٨٦م، **الإدارة التربويّة: مفهومها- نظرياتها- وسائلها**، دبي: دار القلم، ط١.

١٨٧. مصطفىٰ مسلم ومجموعة باحثين، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، الإمارات: جامعة الشارقة، ط١.

١٨٨. مطاوع، سعيد عطية علي، ٢٠٠٦م، **الإعجاز القصصي في القرآن**، القاهرة: دار الآفاق العربية، ط١.

١٨٩. المظهري، محمّد ثناء الله العثماني، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، **التفسير المظهري**، تحقيق: غلام نبي تونسي، بيروت: دار إحياء التراث

العربي.

١٩٠. المقدسي، المطهر بن طاهر، ١٩٠٣م، **كتاب البدء والتاريخ**، المنسوب تأليفه لأبي زيد أحمد بن سهل البلخي، باريس: الخواجة آرنست الصحّاف.

١٩١. ملاك محارب، ١٩٩٧م، **دليل العهد القديم**، مكتب النسر للطباعة.

١٩٢. مُنىٰ، زياد، ٢٠٠٠م، **مقدمة في تاريخ فلسطين القديم**، بيروت: بيسان، ط١.

١٩٣. ابن منظور، محمّد بن مكرم أبو الفضل جمال الدين الأنصاري الإفريقىٰ، ١٤١٤هـ، **لسان العرب**، بيروت: دار صادر، ط٣.

١٩٤. موسكاتي، سبتينو، ١٩٨٦م، **الحضارات السامية القديمة**، ترجمة: السيد يعقوب بكر، بيروت: دار الرقي.

١٩٥. ابن الموصلي، محمّد بن محمّد بن عبد الكريم، ١٤١٦هـ، **حسن السلوك الحافظ دولة الملوك**، تحقيق: فؤاد عبد المنعم، الرياض: دار الوطن، ط١.

١٩٦. الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، **الأخلاق الإسلامية وأسسها**، دمشق: دار القلم، ط٥.

١٩٧. ناجي، سليمان، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، **اليهود عبر التاريخ**، دمشق: دار قتيبة، ط١.

١٩٨. النجار، فهمي، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، **الحرب النفسية**، الرياض: دار الفضيلة، ط١.

١٩٩. النحّال، طاهر حمد محمّد، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م، **القيادة والجندية**

في السنة النبوية، رسالة ماجستير في الحديث وعلومه، (طبعة الكترونية)، غزة: الجامعة الإسلامية.

٢٠٠. نعناعة، رمزي، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م، **الإسرائيليّات وأثرها في كتب التفسير**، دمشق:دار القلم، بيروت: دار الضياء، ط.

٢٠١. النعنع، علام عبد القادر، ٢٠٠٧م، **التعبئة المعنوية في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير غير مطبوعة، فلسطين، نابلس: جامعة النجاح الوطنية.

٢٠٢. أبو نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني،١٤٠٥هـ، **حلية الأوّلياء وطبقات الأصفياء**، بيروت: دار الكتاب العربي، ط٤.

٢٠٣. النمر، سعود محمّد، وآخرون، ١٩٩٧م، **الإدارة العامّة: الأسس والوظائف**، الرياض: مطابع الفرزدق، ط٤.

٢٠٤. هارفي بورتر، ١٤١١هـ-١٩٩١م، **موسوعة مختصر التاريخ القديم**، القاهرة:مكتبة مدبولي، ط١.

٢٠٥. الهرثمي، أبو سعيد الشعراني، د.ت، **مختصر سياسة الحروب**، تحقيق: عبد الرؤوف عون، طبعة وزارة الثقافة المصرية: المؤسسة المصرية العامّة.

٢٠٦. هيكل، محمّد خير، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، **الجهاد والقتال في السياسة الشرعية**، بيروت: دار البيارق، ط٢.

٢٠٧. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: عادل عبد الموجود- علي معوض- أحمد صيرة- أحمد الجمل - عبد الرحمن عويس، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.

٢٠٨. الياسين، جاسم بن محمّد مهلهل، ١٩٩٨م، **القيادة: الأسباب الذاتية للتنمية القياديّة**، القاهرة: دار الوفاء، ط١.

٢٠٩. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر الكاتب العباسي، **كتاب البلدان**، ١٨٨٣م، مطبعة بريل، مدينة ليدن.

٢١٠. أبو اليُمن، مجير الدين الحنبلي، د.ت، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، طبعة قديمةلم يسجّل عليها أيّ بيانات.

مراجع إلكترونية:

٢١١. **قاموس الكتاب المقدس**، موقع ويب: st-takla.org

٢١٢. مختار، محمّد، **طالوت بين الحق الإلهي والتجربة المرحلية**، مقال الكتروني في موقع: مشروع النهضة): www.4nahda.com

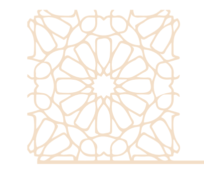
٢١٣. المسيري، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، (موقع الموسوعة في الشبكة).

٢١٤. موقع ويب: (شرح **الكتاب المقدس - العهد القديم** - القس انطونيوس فكري).

٢١٥. موقع ويب: **الخدمة العربية بالكرازة للإنجيل**، (Ar.arabicbible.com).

٢١٦. موقع ويب: wwww. holly-bible.com

٢١٧. موقع ويب: (**المعرفة**) www.marefa.org



فهرس المحتويات